سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٠٨)

لمّـة المَلَك و لمّـة الشّيطان

في أقوال المفسرين وشراح الحديث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١-"معنى الآيات:

بعدما رغب تعالى عباده المؤمنين في الإنفاق في سبيله في الآية السابقة ناداهم هنا بعنوان الإيمان، وأمرهم بإخراج زكاة أموالهم من جيد ما يكسبون فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين[١] آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم[٢] ومما أخرجنا﴾ يريد الحبوب والثمار كما أن ما يكسبونه يشمل النقدين والماشية من إبل وبقر وغنم، ونهاهم عن التصدق بالرديء من أموالهم، فقال: ﴿ولا تيمموا[٣] الخبيث منه[٤] تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ يريد لا ينبغي لكم أن تنفقوا الرديء وأنتم لو أعطيتموه في حق لكم ما كنتم لتقبلوه لولا أنكم تغمضون وتتساهلون في قبوله، وهذا منه تعالى تأديب لهم وتربية. وأعلمهم أخيرا أنه تعالى غني عن خلقه ونفقاتهم فلم يأمرهم بالزكاة والصدقات لحاجة به، وإنما أمرهم بذلك لإكمالهم وإسعادهم، وأنه تعالى حميد محمود بماله من إنعام على سائر خلقه، كان هذا معنى الآية(٢٦٧) أما الآية(٢٦٨) فإنه تعالى يحذر عباده من الشيطان ووسواسه فأخبرهم أن الشيطان يعدهم الفقر[٥]، أي: يخوفهم منه حتى لا يزكوا ولا يتصدقوا ويأمرهم بالفحشاء فينفقون أموالهم في الشر والفساد ويبخلون بها في الخير، والصالح العام، أما هو تعالى فإنه بأمره إياهم بالإنفاق يعدهم مغفرة ذنوبهم؛ لأن الصدقة تكفر الخطيئة، وفضلا منه وهو الرزق الواسع الحسن، وهو الواسع الفضل العليم بالخلق. فاستجيبوا أيها المؤمنون لنداء الله تعالى، وأعرضوا عن نداء الشيطان فإنه عدوكم لا يعدكم إلا بالشر، يأمركم إلا بالسوء والباطل، كان هذا ما تضمنته الآية الثانية، أما الآية الثالثة(٢٦٩) فإن الله تعالى يرغب في تعلم العلم النافع الذي يحمل على العمل الصالح، ولا يكون ذلك إلا علم الكتاب والسنة حفظا وفهما وفقها فيهما فقال

---

١ قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: ﴿الشيطان يعدكم...﴾ إلخ. اثنتان من الله تعالى، واثنتان من الشيطان. ويفسره حديث الترمذي إذ فيه قول صلى الله عليه وسلم: "إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك**: فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ، ثم قرأ: ﴿الشيطان...﴾ الآية.

٢ الآية في الزكاة قطعا، والنهي عن الإنفاق من الرديء يشمل الزكاة. والتطوع معا.

٣ روى الحاكم وصححه على شرط الشيخين في سبب نزول هذه الآية عن البراء قال: هذه الآية نزلت فينا، كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعصاه فيسقط من البسر والتمر فيأكل وكان أناس مما لا يرغبون في الخير يأتي بالقنو الحشف والشيص فيعلقه فنزلت: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ الآية.

٤ أي: من الخبيث الذي هو الرديء.

٥ تفتح فاء الفقر، وتضم كالضعف والضعف.". (١)

٢-"[٣٦] ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾
عطف على جملة ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ [فصلت:٣٥]، فبعد أن أرشد إلى ما هو عون على تحصيل هذا الخلق المأمور به وهو دفع السيئة بالتي هي أحسن، وبعد أن شرحت فائدة العمل بها بقوله ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ [فصلت:٣٤] صرف العنان هنا إلى التحذير من عوائقها التي تجتمع كثرتها في حقيقة نزغ الشيطان، فأمر بأنه إن وجد في نفسه خواطر تصرفه عن ذلك وتدعوه إلى دفع السيئة بمثلها فإن ذلك نزع من الشيطان دواؤه أن تستعيذ بالله منه فقد ضمن الله له أن يعيذه إذا استعاذة لأنه أمره بذلك، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم.
وفائدة هذه الاستعاذة تجديد داعية العصمة المركوزة في نفس النبي صلى الله عليه وسلم لأن الاستعاذة بالله من الشيطان استمداد للعصمة وصقل لزكاء النفس مما قد يقترب منها من الكدرات. وهذا سر من الاتصال بين النبي صلى الله عليه وسلم وربه وقد أشار إليه قول النبي صلى الله عليه وسلم "إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة" ، فبذلك تسلم نفسه من أن يغشاها شيء من الكدرات ويلحق به في ذلك صالحو المؤمنين.
وفي الحديث القدسي عند الترمذي "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببت كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه" .
ثم يلتحق بذلك بقية المؤمنين على تفاوتهم كما دل عليه حديث ابن مسعود عند الترمذي قال النبي صلى الله عليه وسلم "إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليستعذ بالله من الشيطان" .والنزغ: النخس، وحقيقته: مس شديد للجلد بطرف عود أو إصبع، فهو مصدر، وهو هنا مستعار لاتصال القوة الشيطانية بخواطر الإنسان تأمره بالشر وتصرفه عن الخير، وتقدم في قوله تعالى ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ [الأعراف:٢٠٠] في سورة الأعراف وإسناد ﴿ينزغنك﴾ إلى ﴿نزع﴾ مجاز عقلي من باب: جد جده، و ﴿من﴾ ابتدائية. ويجوز أن يكون المراد بالنزغ هنا: النازغ، وهو الشيطان، وصف بالمصدر للمبالغة، و﴿من﴾ بيانية، أي ينزغنك النازغ الذي هو الشيطان. والمبالغة حاصلة". (٢)

٣-"و لقد روى المفسرون في سياق آيات هذه السلسلة أحاديث نبوية عديدة فيها هي الأخرى توجيهات و تلقينات بليغة المدى متسقة مع توجيهات الآيات و تلقيناتها و توضيح لما سكت عنه القرآن. و من هذه الأحاديث ما ورد في الكتب الخمسة المعتبرة و منها ما ورد في كتب و مسانيد أئمة آخرين. من ذلك حديث رواه الطبري في صيغ عديدة

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري ٢٦١/١

(٢) التحرير والتنوير ٦١/٢٥

و من طرق مختلفة في سياق الآية [٢٦٨] عن عبد الله قال: «قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن للشيطان لمة من ابن آدم و للملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر و تكذيب بالحق. و أما **لمة الملك** فإيعاد بالخير و تصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله و ليحمد الله، و من وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء و الله يعدكم مغفرة منه و فضلا و الله واسع عليم (٢٦٨) «١».

و من ذلك حديث أورده ابن كثير في صدد الآية [٢٦٣] برواية مسلم عن أبي ذر قال: «قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة و لا ينظر إليهم و لا يزكيهم و لهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، و المسبل إزاره، و المنفق سلعته بالحلف الكاذب» «٢». و حديث آخر في صدد الآية أورده ابن كثير بإخراج ابن مردويه جاء فيه: «لا يدخل الجنة منان» و أورد ابن كثير في صدد الآية [٢٧٠]

(١) هذا الحديث رواه الترمذي أيضا في سياق الآية [٢٦٨]، انظر التاج ج ٤ ص ٦١.

(٢) انظر هذا الحديث في التاج ٢ ص ٣٩ و ٤٠ و انظر هذا الحديث في التاج ج ٣ ص ٤٠. [.....]

التفسير الحديث، ج ٦، ص: ٤٨٩". [1]

٤-"لا شك فيه ، والمعاد كائن لا محالة ، فلا تتلهوا بزخارف الدنيا ونعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة ، ولا يغرنكم الشيطان بالله ، فيجعلكم تعيشون في الأوهام والآمال المعسولة ، قائلا لكم : إن الله يتجاوز عنكم ، ويغفر لكم ، لسعة رحمته ، فتنزلقوا في المعاصي ، وتسرفوا في المخالفات ، فإنه غرار كذاب أفاك.

وهذه الآية كآية آخر سورة لقمان : فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور.

ثم بين الله تعالى علة عدم الاغترار بالشيطان وهي عداوة إبليس لابن آدم ، فقال :

إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوا أي إن عداوة الشيطان لكم عداوة قديمة عامة ظاهرة ، فعادوه أنتم أشد العداوة ، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به ، بطاعة الله ، ولا تطيعوه في معاصي الله تعالى.

ثم ذكر الله تعالى أغراض الشيطان ومقاصده الخبيثة فقال :

إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير أي إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب النار الشديد الدائم.

جاء في حديث عبد الله بن مسعود الذي أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن للشيطان لمة « ١ » بابن آدم وللملك لمة ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق » .

ثم ذكر تعالى جزاء حزب الشيطان وحزب الرحمن فقال :

الذين كفروا لهم عذاب شديد أي إن الذين كفروا بالله ورسوله وأنكروا البعث ، واتبعوا وساوس الشيطان ، لهم عذاب شديد

(١) التفسير الحديث ص/٤٠٨٥

في نار جهنم لأنهم أطاعوا الشيطان ، وعصوا الرحمن.

---

(١) اللمة : الخطرة التي تقع في القلب.

ج ٢٢ ، ص : ٢٣١". (١)

٥-"الحكمة : فقال السدي : هي النبوة. وقال ابن عباس : هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وغريبه ومقدمه ومؤخره (أي العلم بأصول الفقه). وقال قتادة ومجاهد : الحكمة : هي الفقه في القرآن. وقال مجاهد : الإصابة في القول والفعل. وقال ابن زيد : الحكمة : العقل في الدين. وقال مالك بن أنس : الحكمة : التفكر في أمر الله والاتباع له ، أو هي طاعة الله والفقه في الدين والعمل به. وكل هذه الأقوال تشترك في أن الحكمة : هي الفهم الصحيح والعلم النافع واتباع المعلوم المؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة « ١ » .

خيرا كثيرا لأن الحكمة أوصلته إلى السعادة الأبدية وما يذكر يتعظ ، وأصله :

يتذكر ، فأدغم التاء في الذال أولوا الألباب أصحاب العقول.

التفسير والبيان :

الشيطان عدو الإنسان من قديم ، وهو الذي أقسم فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين [ص ٣٨/ ٨٢-٨٣] يوسوس للناس ويخوفهم من الفقر إذا تصدقوا أو أنفقوا في سبيل الله ويقول لهم : إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا ، ويحرضهم ويغريهم على البخل والإمساك إغراء الآمر للمأمور. والفاحش عند العرب :

البخيل. والوعد : يستعمل في الخير والشر ، قال الله تعالى : النار وعدها الله الذين كفروا [الحج ٢٢/ ٧٢]. وسمي ذلك التخويف وعدا : مبالغة في الإخبار بتحقق وقوعه ، وكأن مجيئه بحسب إرادته ، مع العلم بأن الوعد : هو الإخبار بما سيكون من جهة المخبر ، والشيطان لم يقل : إني سأفقركم.

ويوضح هذا التخويف :

ما رواه ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للشيطان لمة « ٢ » بابن آدم ، وللملك لمة ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك ، فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله ، ومن وجد". (٢)

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٢٤٢/٢٢

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٦٤/٣

٦-"و أما المرأة الحرة : فعورة كلها إلا الوجه والكفين ، عند أكثر أهل العلم ، بدليل قول جمهور الفقهاء : من أراد أن يتزوج امرأة فلينظر إلى وجهها وكفيها ولأن ذلك واجب كشفه في الإحرام.

ودلت آية أنزلنا عليكم لباسا .. وريشا على مزيد نعمة الله تعالى بتوفير ما يحتاجه الإنسان في الدنيا ، وليعينه على أمر الدين والآخرة.

لكن لباس التقوى : وهو الإيمان والعمل الصالح والسمت الحسن في الوجه هو خير وأبقى ، وأخلد وأنقى ، وبه النجاة عند الله ، وهو طريق القربى إلى الله عز وجل ، لأن المعنى : ولباس التقوى المشار إليه ، الذي علمتموه ، خير لكم من لبس الثياب التي تواري سوءاتكم ، ومن الرياش التي أنزلنا إليكم فالبسوه.

وقوله تعالى : يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان يدل على تحذير الناس من قبول وسوسة الشيطان لأن المقصود من ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام حصول العبرة لمن يسمعها ، فكأنه تعالى لما ذكر قصة آدم ، وبين فيها شدة عداوة الشيطان لآدم وأولاده ، أتبعها بأن حذر أولاد آدم من قبول وسوسة الشيطان بدليل تأثيره على آدم وحواء وإيقاعهما في الزلة الموجبة لإخراجهما من الجنة ، فإذا أثر على آدم فكيف يكون حال آحاد الناس ؟

واللباس الذي نزعه الشيطان عن آدم وحواء : هو ثياب الجنة.

وقوله تعالى : من حيث لا ترونهم يدل على أن الإنس لا يرون الجن ، ويؤكده

الخبر الذي أخرجه أحمد : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى

ج ٨ ، ص : ١٧٣

الدم »

وقوله تعالى : الذي يوسوس في صدور الناس [الناس ١١٤/ ٥] و

قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي والنسائي وابن حبان عن ابن مسعود : « إن للملك لمة وللشيطان لمة- أي بالقلب- فأما **لمة الملك** : فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، وأما **لمة الشيطان** : فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق » .". [1]

٧-"يتبعوه أنفسهم ، فإذا هم أولو بصيرة ووعي وعقل ، وقد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه. وهذا الاعتصام بالله من الشيطان عمل وقائي ، ولا شك أن الوقاية خير من العلاج. فإذا وقع الإنسان في معصية بادر إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الله من قريب ، حتى يمحو الله عنه أثر الذنب.

ومن المعروف أن للإنسان نزعة إلى الخير ونزعة إلى الشر ، وبمقدار ما يجاهد به نفسه ، ويتغلب على هوى نفسه ، ووسوسة شيطانه ، كان مثابا مقربا إلى الله تعالى ،

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه الترمذي والنسائي وابن حبان عن ابن مسعود : « إن للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك لمة ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ١٧٥/٨

ذلك ، فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله على ذلك ، ومن وجد الأخرى ، فليتعوذ من الشيطان ، ثم قرأ : الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء.

ثم ذكر الله مدى تأثير الشيطان على الجاهلين الفاسدين فقال :

وإخوانهم أي وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين ، فإن الشياطين يتمكنون من إغوائهم ، ويمدونهم في الغي أي الضلال ، ويكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم ، ولا يقصرون أبدا في حملهم على المعصية أي لا يمسكون عن إغوائهم ، ولا يكفون عن إفسادهم ، حتى يصروا على الشر والفساد لأنهم لا يذكرون الله إذا نزغ بهم الشيطان ، ولا يستعيذون من وسواسه ، إما لعدم إيمانهم ، أو لخلو قلوبهم من التقوى.

فقه الحياة أو الأحكام :

تضمنت آية : خذ العفو أصول الفضائل والأخلاق الاجتماعية ، وهي تلي في المرتبة أصول العقيدة ، ففي المعاملات والعادات ولدي التعامل مع الآخرين تظهر أخلاق الناس ، وما أحوج الإنسان إلى هذه الأصول الخلقية في تعامله مع الغير. ج ٩ ، ص : ٢٢١". [١]

٨-"ج ١ ، ص : ١٨٤

وفي الصحيحين : « ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان ، يقول أحدهما :

اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا »

ولا غرابة فالله واسع الفضل بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء.

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للشيطان لمة (خطرة تقع في القلب) وللملك لمة ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان » « ١ » ، ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء

يؤتى الله الحكمة والعلم الصحيح النافع - وعلى الأخص فهم القرآن والدين - من يشاء من عباده الذين يحبهم ويتولاهم بعنايته ورعايته ، ومن يؤت الحكمة بهذا المعنى فقد أوتى خيرا كثيرا ، وأى خير في الدنيا والآخرة بعد توفيق الله وهدايته في فهم الأمور على حقيقتها وإدراك الأشياء على وضعها الصحيح ؟ وإنما يتذكر هذا أولو الألباب.

بعض أحكام الإنفاق [سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٧٠ الى ٢٧١]

وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار (٢٧٠) إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير (٢٧١)

المفردات :

من نذر النذر : التزام الطاعة قربة لله تعالى. فنعما هي الأصل : فنعم ما هي ، بمعنى فنعم شيئا إبداؤها.

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٩/٢٢٠

(١) أخرجه البخاري كتاب الزكاة باب قول الله [فأما من أعطى واقضى] حديث رقم ١٤٤٢.". [١]

٩-"ج ١ ، ص : ٨٠٠

للمتقين الأبرار ، وما أعد للعصاة الفجار فإذا هم مبصرون طريق الحق والخير ، فالمؤمن الكامل قوى الإيمان كالجسم الصحيح لا تدخله جراثيم المرض وإن دخلت ماتت ، كذلك المؤمن لا تدخله الوساوس وإن دخلت تذكر وطردها.

وكل إنسان يشعر بدوافع للخير ودوافع للشر ، فالأولى **لمة الملك** ، والثانية **لمة الشيطان** ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن للشيطان لمة وللملك لمة ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك منكم فليعلم أنه من الله وليحمد الله على ذلك ، ومن وجد الأخرى فليستعذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا « ١ » . وإخوانهم وهم الجهلاء غير المتقين الله ، الشياطين يمدونهم وينصرونهم ويتعاونون معهم على الإثم والعدوان ثم هم لا يقصرون أبدا في ذلك.

القرآن من عند الله [سورة الأعراف (٧) : آية ٢٠٣]

وإذا لم تأتهم بآية قالوا لو لا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٢٠٣)

المفردات :

لو لا اجتبيتها : هلا جمعتها من تلقاء نفسك واختلقتها ؟

المعنى :

كانوا طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم آيات كونية خاصة فلما لم يجابوا إلى طلبهم قالوا على سبيل التعنت : هل اختلقت آية وجمعتها من عندك ؟ يقصدون أن كل ما ينزل من القرآن إنما هو من عند محمد.

(١) سورة البقرة آية ٢٦٨.". [٢]

١٠-"ج ٣ ، ص : ١٥٥

ولا يغرنكم بالله الغرور ، فيقول لكم الشيطان وأتباعه : اعملوا ما شئتم فإن الله غفور ، يغفر السيئات ، ويعفو عن الخطيئات ، أيها الناس لا تغرنكم الأماني الكاذبة التي نسمعها من بعض الناس الذين يقولون : نحن أتباع النبي محمد فلن نصاب

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع ١/١٨٤

(٢) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع ١/٨٠٠

بسوء ، تلك أمانيهم ، وليس الإيمان والثواب عليه بالتمني الكاذب.

إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا أخبرنا الله – عز وجل – بأن الشيطان يبدو لنا من قديم الأزل فهو الذي أخرج أبانا آدم من الجنة ، وأوقعه في الزلة ، وهو الذي أقسم على إغوائنا وإضلالنا ولأضلنهم ولأمنينهم [سورة النساء آية ١١٩] لأقعدن لهم صراطك المستقيم. ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم [سورة الأعراف آية ١٦].

وإنه لعجيب أن نتولاه ونطيعه فيما يأمر به ويريده ، مع أن فيه هلاكنا! ولذا يقول الله : فاتخذوه عدوا في كل أعمالكم وأحوالكم الظاهرة والخفية ، وناصبوه العداء في سركم وجهركم ، واعلموا أن لوسوسة الشيطان علامة ، ولإلهام الملك علامة ،

عن النبي صلى الله عليه وسلم : « للشيطان لمة وللملك لمة – خطرة – تقع في القلب ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ..

الحديث » ، وهو مروى عن عبد الله بن مسعود.

احذروا الشيطان ، ولا تتبعوا خطواته فإنه إنما يدعو حزبه وأتباعه ليوردهم موارد الهلكة ، وليوقعهم في حبائله التي تقذف بهم في نار جهنم يتلظون بسعيرها وما لكم لا تسرعون في البعد عن حزب الشيطان والدخول في حزب الرحمن والقرآن ؟ .!

إن الذين كفروا واتبعوا الشيطان لهم عذاب شديد ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك حزب الله لهم مغفرة ورزق كريم ، وأجر كبير ، ولما ذكر الفريقين الكافر والمؤمن قال لنبيه : أفمن زين له عمله السيئ فرآه عند نفسه حسنا وصوابا كمن لم يزين له السوء بل اهتدى واتبع الحق ؟ ! وكأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا. فقال الله : فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء على معنى هذا الذي عمل السوء حتى أظلم قلبه وفرغ من خشية الله حتى أصبح عنده القبيح حسنا والحسن قبيحا ، هذا الصنف لا يعبأ به الله يخذله ويتركه ، ومن تاب فالله يهديه ويوفقه ويساعده على ذلك.". (١)

١١-"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١ ، ص : ٦١٨

بالحق ، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء « ١ ».

هذا ما يعده الشيطان للإنسان ، فما الذي يعده الله – تعالى – لعباده؟ لقد بين – سبحانه – ذلك فقال : والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم.

أى : إذا كان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، فالله – تعالى – يعدكم مغفرة منه لذنوبكم على ما تنفقونه من أموالكم في سبيله ففي الحديث الشريف « الصدقة تطفئ الخطيئة ». ويعدكم – أيضا – فضلا أى نماء وزيادة في أموالكم ، فإن الصدقات تزيد البركة في الرزق فيصير القليل منه في يد السخي كثيرا بتوفيق الله وتأييده.

---

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع ١٥٥/٣

وصدر له سبحانه – الجملة بلفظ الجلالة ، للإشارة إلى أن الوعد الذي وعد به المنفقين وعد حق لا يمكن أن يخالطه شك أو ريب ، لأنه وعد من الله الذي لا يخلف وعده ، وإذا كان الشيطان يهدد الناس بالفقر عند العطاء ، ويأمرهم بالفحشاء ، فالله – تعالى – يبشر عباده بمغفرته ورضوانه ، بسبب اتفاقهم في السراء والضراء ويعدهم على ذلك بالرزق الوفير ، والفضل الكبير في الدنيا والآخرة.

وقد ختم – سبحانه – الآية بقوله : والله واسع عليم تأكيدا لوعده الذي وعد به عباده المتقين المتصدقين بأن يزيدهم من فضله ، أى والله – تعالى – واسع الجود والعطاء والرحمة ، وسيحقق لكم ما وعدكم به من المغفرة وتضعيف ما تنفقونه ، وهو مع ذلك عليم بأحوال عباده صغيرها وكبيرها ، وسيجازى الذين اتبعوا أوامره بجزيل الثواب ، كما سيجازى الذين اتبعوا وسوسة الشيطان بسوء العذاب.

ثم قال – تعالى – : يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا.

قال الإمام الرازي : « اعلم أنه – تعالى – لما ذكر في الآية المتقدمة أن الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء ، وأن الرحمن يعد بالمغفرة والفضل نبه على أن الأمر الذي أوجب لأجله ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان هو أن وعد الرحمن ترجحه الحكمة والعقل ووعد الشيطان ترجحه الشهوة والنفس من حيث إنهما يأمران بتحصيل اللذة الحاضرة واتباع أحكام الخيال والوهم.

ولا شك أن حكم الحكمة والعقل هو الحكم الصادق المبرأ عن الزيغ والخلل ، وحكم الشهوة والنفس يوقع الإنسان في البلاء ، فكان حكم الحكمة والعقل أولى بالقبول ، فهذا هو وجه النظم » « ٢ ».

---

(١) تفسير القرطبي ج ٣ صفحة ٣٢٩.

(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٧ ص ٧٢.". [1]

١٢-" وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن الزهري قال : إذا كانت أم اليتيم محتاجة أنفق عليها من ماله يدها مع يده

قيل له : فالموسرة قال : لا شيء لها

والله أعلم

آية ٢٦٨

أخرج الترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١/٦١٨

وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : اثنتان من الله واثنتان من الشيطان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء يقول : لا تنفق مالك وأمسكه عليك فإنك تحتاج إليه والله يعدكم مغفرة منه على هذه المعاصي وفضلا في الرزق

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة والله يعدكم مغفرة منه لفحشائكم وفضلا لفقركم

وأخرج ابن المنذر عن خالد الربعي قال : عجبت لثلاث آيات ذكرهن الله في القرآن ادعوني أستجب لكم غافر الآية ٦٠ ليس بينهما حرف وكانت إنما تكون لنبي فأباحها الله لهذه الأمة والثانية قف عندها ولا تعجل اذكروني أذكركم فلو استقر يقينها في قلبك ما جفت شفتاك والثالثة الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا

وأخرج أحمد في الزهد عن ابن مسعود قال : إنما مثل ابن آدم مثل الشيء الملقى بين يدي الله وبين الشيطان فإن كان لله تبارك وتعالى فيه حاجة أجاره من الشيطان وإن لم يكن لله فيه حاجة خلى بينه وبين الشيطان ". (١)

١٣-"الرجل من مال ولده شيئا إلا إن يحتاج فيستنفق بالمعروف يعوله ابنه كما كان الأب يعوله فأما إذا كان موسرا فليس له أن يأخذ من مال ابنه فيقي به ماله أو يضعه فيما لا يحل.

وأخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد من طريق قتادة عن الحسن قال : يأخذ الرجل من مال ابنه ما شاء وإن كانت له جارية تسراها إن شاء ، قال قتادة : فلم يعجبني ما قال في الجارية.

وأخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد عن الزهري قال : إذا كانت أم اليتيم محتاجة أنفق عليها من ماله يدها مع يده ، قيل له : فالموسرة قال : لا شيء لها ، والله أعلم.

آية ٢٦٨.

أخرج الترمذي وحسنه والنسائي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم". (٢)

١٤-"" صفحة رقم ١٤٩ "

وقال ابن الزبير وعكرمة وقتادة والضحاك : هو ما بين الحدين : حد الدنيا وعذاب الآخرة ، وهي رواية العوفي والحكم بن

---

(١) الدر المنثور ٢/٦٥

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٣/٢٨٦

عيينة عن ابن عباس ، وقال الكلبي : اللمم على وجهين ، كل ذنب لم يذكر عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة ، فذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر ، والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه ، وقال مقاتل : اللمم ما بين الحدين من الذنوب . [نزلت في نبهان التمار وقد مضت القصة في سورة آل عمران ، وقال عطاء بن أبي رياح : اللمم عباده النفس الحين بن الحين ، وقال سعيد بن المسيب : هو ما لم على القلب ، اي حظر ، وقال محمد بن الحنفية : كل ما هممت به من خير أو شر فهو لمم .

ودليل هذا التأويل الخبر المروي (إن للشيطان لمة ، وللملك لمة ، **فلمة الشيطان** الوسوسة ، **ولمة الملك** الإلهام)

وقال الحسين بن الفضل : اللمم : النظرة من غير تعمد ، وهو مغفور ، فإن أعاد النظر فليس بلمم وهو ذنب ، وقال الفراء : اللمم : المتقارب من صغار الذنوب ، وأصل اللمم والإلمام هو ما يعمله الانسان المرة بعد المرة ، والحين بعد الحين ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه . يقال : ألممت به إذا زرته وانصرفت ، المام الخيال ، قال الاعشى :

ألم خيال من قتيلة بعدما

وهى حبلها من حبلنا فتصرما

وقال آخر :

أنى ألم بك الخيال يطيف

ومطافه لك ذكرة وشغوف

) إن ربك واسع المغفرة (لا يتعاظمه ذنب ، نظيره) ورحمتي وسعت كل شيء (.

أخبرني ابن فنجويه ، قال : حدثنا الفضل بن الفضل الكندي ، قال : حدثنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن النعمان بن عبدالسلام الأصفهاني قال : حدثنا محمد بن عاصم ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب عن عمرو بن مرة عن أبي وائل قال : رأى أبو مسيرة عمرو بن شرحبيل ، وكان من أفاضل أصحاب عبدالله في المنام قال : رأيت كأني دخلت الجنة فإذا قباب مضروبة فقلت : لمن هذه ؟ فقالوا : لذي الكلاع وحوشب وكانا ممن قتل مع معاوية فقلت فأين عمار وأصحابه ؟ فقالوا : أمامك ، قلت : وقد قتل بعضهم بعضا ؟ : إنهم لقوا الله سبحانه فوجدوه واسع المغفرة .". (١)

١٥-"فهذه الآية مما قيد الوعد فيها بمكروه وهو " الفقر " و " الفحشاء " كل ما فحش وفحش ذكره ومعاصي الله كلها فحشاء وروى حيوة عن رجل من أهل الرباط أنه قرأ الفقر بضم الفاء وهي لغة وقال ابن عباس في الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله تعالى وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن للشيطان لمة من ابن آدم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق فمن وجد ذلك فليتعوذ وأما **لمة الملك** فوعد بالحق وتصديق بالخير فمن وجد ذلك فليحمد الله) ثم قرأ عليه السلام " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم " الآية والمغفرة هي الستر على

---

(١) الكشف والبيان ـ موافق للمطبوع ٩/١٤٩

عباده في الدنيا والآخرة والفضل هو الرزق في الدنيا والتوسعة فيه والتنعيم في الآخرة وبكل قد وعد الله تعالى وذكر النقاش أن بعض الناس تأنس بهذه الآية في أن الفقر أفضل من الغنى لأن الشيطان إنما يبعد العبد من الخير وهو بتخويفه الفقر يبعد منه

قال القاضي أبو محمد وليس في الآية حجة قاطعة أما إن المعارضة بها قوية وروي أن في التوراة عبدي أنفق من رزقي أبسط عليك فضلي فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة وفي القرآن مصداقه وهو " وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين " سبأ ٣٩ و " واسع " لأنه وسع كل شيء رحمة وعلما ثم أخبر تعالى عن نفسه أنه " يؤتي الحكمة " أي يعطيها لمن يشاء من عباده

واختلف المتأولون في " الحكمة " في هذا الموضع فقال السدي " الحكمة " النبوءة وقال ابن عباس هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وعربيته

وقال قتادة " الحكمة " الفقه في القرآن وقاله مجاهد وقال مجاهد أيضا " الحكمة " الإصابة في القول والفعل وقال ابن زيد وأبوه زيد بن أسلم " الحكمة " العقل في الدين وقال مالك " الحكمة " المعرفة في الدين والفقه فيه والاتباع له وروى عنه ابن القاسم أنه قال " الحكمة " التفكر في أمر الله والاتباع له وقال أيضا " الحكمة " طاعة الله والفقه في الدين والعمل به وقال الربيع " الحكمة " الخشية ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (رأس كل شيء خشية الله تعالى) وقال إبراهيم " الحكمة " الفهم وقاله زيد بن أسلم وقال الحسن " الحكمة " الورع وهذه الأقوال كلها ما عدا قول السدي قريب بعضها من بعض لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في عمل أو قول

وكتاب الله حكمة وسنة نبيه حكمة

وكل ما ذكر فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس

وقرأ الجمهور من يؤت الحكمة على بناء الفعل للمفعول

وقرأ الزهري ويعقوب ومن يؤت بكسر التاء على معنى ومن يؤت الله الحكمة " فمن " مفعول أول مقدم و " الحكمة " مفعول ثان وقرأ الأخفش ومن

٣٦٥

". (١)

١٦-"٥٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الناس

قال ابن عباس وغيره هي مدنية وقال قتادة هي مكية

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع ٣٦١/١

قوله عز وجل

سورة الناس١ – ٦

" الوسواس " اسم من أسماء الشيطان وهو ايضا ما توسوس به شهوات النفس وتسوله وذلك هو الهواء الذي نهي المرء عن اتباعه وامر بمعصيته والغضب الذي وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرحه وتركه حين قال له رجل اوصني فقال لا تغضب قال زدني قال لا تغضب وقوله " الخناس " معناه على عقبه المستتر احيانا وذلك في الشيطان متمكن اذا ذكر العبد وتعوذ وتذكر فأبصر كما قال تعالى " إن الذين اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون " الأعراف ٢٠١ وإذا فرضنا ذلك في الشهوات والغضب ونحوه فهو يخنس بتذكير النفس اللوامة **بلمة الملك** وبأن الحياء يردع والايمان بردع بقوة فتخنس تلك العوارض المتحركة وتنقمع عند من اعين بتوفيق

وقد اندرج هذان المعنيان من الوسواس في قوله تعالى " من الجنة والناس " أي من الشياطين ونفس الانسان ويظهر ايضا ان يكون قوله " والناس " يراد به من يوسوس بخدعه من البشر ويدعو الى الباطل فهو في ذلك كالشيطان وكلهم قرأ " الناس " غير ممالة وروى الدوري عن الكسائي انه امال النون من " الناس " في حال الخفض ولا يميل في الرفع والنصب وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى الى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرا " قل هو الله احد " الإخلاص ١ والمعوذتين ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده فيبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده ففعل ذلك ثلاثا وقال قتادة رحمه الله ان من الناس شياطين ومن الجن شياطين فتعوذوا بالله من شياطين الإنس والجن.

تم الكتاب والحمد لله أولا وآخر وظاهرا وباطنا.". (١)

١٧-" صفحة رقم ٣٤٤

والثاني : مضاعفة العذاب .

) والله واسع عليم (روي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (إن للشيطان لمة من ابن آدم ، وللملك لمة ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله ، ومن وجد الأخر فليتعوذ بالله) . ثم تلا هذه الآية . قوله تعالى :) يؤتي الحكمة من يشاء (في الحكمة سبعة تأويلات :

أحدها : الفقه في القرآن ، قاله ابن عباس .

والثاني : العلم بالدين ، قاله ابن زيد .

والثالث : النبوة .

والرابع : الخشية ، قاله الربيع .

والخامس : الإصابة ، قاله ابن أبي نجيح عن مجاهد .

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع ٥/٥٠٥

والسادس : الكتابة ، قاله مجاهد .". [1]

١٨-"قال الجمل : وفي هذه الآية لطيفة وهي أن الشيطان يخوف الرجل أولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التجويف إلى أن يأمره بالفحشاء وهو البخل ، وذلك لأن البخل صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل إلا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال .

﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشآء ﴾ .

وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله A : " إن للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك لمة - أي همة وخطرة تقع في القلب - فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشآء ﴾ " .

هذا ما يعده الشيطان للإنسان ، فما الذي يعده الله - تعالى - لعباده؟ لقد بين - سبحانه - ذلك فقال : ﴿ والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ .

أي : إذا كان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، فالله - تعالى - يعدكم مغفرة منه لذنوبكم على ما تنفقونه من أموالكم في سبيله ففي الحديث الشريف " الصدقة تطفئ الخطيئة " ويعدكم - أيضا - ﴿ وفضلا ﴾ أي نماء وزيادة في أموالكم ، فإن الصدقات تزيد البركة في البرزق فيصير القليل منه في يد السخي كثيرا بتوفيق الله وتأييده .

وصدر له سبحانه - الجملة بلفظ الجلالة ، للإشارة إلى أن الوعد الذي وعد به المنفقين وعد حق لا يمكن أن يخالطه شك أو ريب ، لأنه وعد من الله الذي لا يخلف وعده ، وإذا كان الشيطان يهدد الناس بالفقر عند العطاء ، ويأمرهم بالفحشاء ، فالله - تعالى - يبشر عباده بمغفرته ورضوانه ، بسبب إتفاقهم في السراء والضراء ويعدهم على ذلك بالرزق الوفير ، والفضل الكبير في الدنيا والآخرة .

وقد ختم - سبحانه - الآية بقوله : ﴿ والله واسع عليم ﴾ تأكيدا لوعده الذي وعد به عباده المتقين المتصدقين بأن يزيدهم من فضله ، أي والله - تعالى - واسع الجود والعطاء والرحمة ، وسيحقق لكم ما وعدكم به من المغفرة وتضعيف ما تنفقونه ، وهو مع ذلك عليم بأحوال عباده صغيرها وكبيرها ، وسيجازي الذين اتبعوا أوامره بجزيل الثواب ، كما سيجازي الذين اتبعوا وسوسة الشيطان بسوء العذاب .

ثم قال - تعالى - : ﴿ يؤتي الحكمة من يشآء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾ .

قال الإمام الرازي : " اعلم أنه - تعالى - لما ذكر في الآية المتقدمة أن الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء ، وأن الرحمن يعد بالمغفرة والفضل نبه على أن الأمر الذي أوجب لأجله ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان هو أن وعد الرحمن ترجحه الحكمة والعقل ووعد الشيطان ترجحه الشهوة والنفس من حيث إنهما يأمران بتحصيل اللذة الحاضرة واتباع أحكام الخايل

---

(١) النكت والعيون . موافق للمطبوع ٣٤٤/١

والوهم .". (١)

١٩-"ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق» صواع الملك وان الملك ذو بطش وقوة لا طاقة لنا به ، وقصوا له ما حدث بينه وبين كبيرهم روبيل ، وتحقق العجز عن تخليصه بمشاهدتنا كلنا «وما شهدنا إلا بما علمنا» من ثبوت السرقة بوجود الصاع في رحله فقط ، إذ لا شاهد على الفعل ، وبما أن وجوده في رحله يحتمل أن دسه فيه وقع ممن لا يعرف طلبنا منه العفو عنه وأن يسدينا معروفا فوق أفضاله السابقة علينا فلم يفعل ، لأن السارق لا يعفى عنه بشريعته هذا «وما كنا للغيب حافظين ٨١» ولو لم تعلم ما قدر عليه من غيب الله ما أعطيناك ذلك الموثق الذي أخذته علينا ، بل لما أخذنا معنا ، فاذا صدقكم فيها والا قولوا له «وسئل القرية التي كنا فيها» أي أهل مصر «والعير» واسأل أهل العير «التي أقبلنا فيها» إذ كلوا من كنعان جيران ليعقوب عليه السلام ، وأصل العير قافلة الحمير ثم توسع بها لكل قافلة ، لذلك قلنا آنفا في الآية ٧٠ المارة إنها قافلة الإبل وأكدوا قولكم بما شئتم ، فقولوا له «وإنا لصادقون ٨٢» فيما ذكرناه لك ، وإنما تآمروا على هذا القول الفصل مبالغة في إزالة التهمة عنهم بسبب واقعة يوسف ، قالوا فذهبوا وتركوا كبيرهم في السن في مصر ليديم المراجعة بشأن أخيهم ويتعاهده برا بعهدهم

(٢٤٥/٣)

بيان المعاني ، ج ٣ ، ص : ٢٤٦

يحفظه ، ولما وصلوا قصوا له القصة وما تفرع عنها من المناجاة **ومكالمة الملك** لأخيهم ، فقال لهم ومن أعلم الملك بأن السارق عندنا يؤخذ بسرقته لو لا أنكم أخبرتموه ؟". (٢)

٢٠-"بيان المعاني ، ج ٣ ، ص : ٢٤٦

يحفظه ، ولما وصلوا قصوا له القصة وما تفرع عنها من المناجاة **ومكالمة الملك** لأخيهم ، فقال لهم ومن أعلم الملك بأن السارق عندنا يؤخذ بسرقته لو لا أنكم أخبرتموه ؟

قالوا إنما أخبرناه حينما سألنا عن جزاء السارق بعد إنكارنا لسرقة الصواع لعلمنا أننا براء من سرقته ، فذكرنا له ذلك لئلا يؤثر علينا كذبا ، هذا ولا يقال كيف يجوز ليعقوب عليه السلام وهو نبي أن يقول هذا القول لما فيه من إخفاء الحكم الشرعي ، لأن هذا مشروط فيما إذا كان المسروق منه مؤمنا تابعا لشريعته ومن يعامل معاملة المؤمنين بالمثل ، لا إذا كان كافرا ، وكان عليه السلام يظن أن حكومة مصر كافرة إذ ذاك ، قالوا فلم يقبل عذرهم ، لذلك «قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا» أردتموه في بنيامين فزينت لكم أنفسكم إيقاع السوء به كما زينته لكم قبلا في يوسف «فصبر جميل» على فعلكم هذا معى بأخويكم ، اذهبوا عني «عسى الله أن يأتيني بهم جميعا» يوسف وبنيامين وروبيل.

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي ص/٤٩٩

(٢) بيان المعاني ٣٤٧/١

قال هذا من قبيل الإلهام الإلهي وحسن الظن بالله ، إذ كان حزينا على يوسف فاشتد حزنه على بنيامين وروبيل أيضا وما بعد الشدة إلا الفرج ، وأنه عليه السلام لم يصدق أولاده بهلاك يوسف وقد وقر في صدره أنه سيرده الله عليه ويرى تأويل رؤيته وهو يترقب ذلك كله ، ولذلك قال عسى إلخ «إنه هو العليم» بحالي ووجدي عليهم «الحكيم ٨٣» فيما يدبره ويقضيه من إتيانهم إلي «وتولى عنهم» ولا هم ظهره وأعرض عنهم لأنه لما سمع كلامهم ضاق صدره ولم يبق بوسعه مكالمتهم ولم يقدروا أن يعيدوا عليه الكلام لما رأوا من شدة حزنه فانكفوا عنه ثم طلبهم ليوقفهم على حاله «وقال يا أسفى على يوسف» الأسف أشد الحزن لأن الحزن إذا تقادم وأتاه حزن آخر جدد الأول فكان أوجع للقلب ، وأعظم لهيجان الحزن الأول الماكث فيه ، قال متمم ابن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على أخيه مالك وصار يبكي ويقول :

يقول أتبكي كل قبر رأيته لقبر توى بين اللوى والدكائك

فقلت له إن الأسى يبعث الأسى فدعني فهذا كله قبر مالك

يعني أن الحزن يجدد الحزن ، وانما تأسف على يوسف مع أن الحادث مصيبة أخيه ، ". (١)

٢١-"جواد وسيجزيه بها ويضاعفها له أضعافا كثيرة من يقرض غير عديم ولا ظلوم وهو الحميد أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره لا إله إلا هو ولا رب سواه.

الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (٢٦٨)

الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا " الآية وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما جميعا عن هناد بن السري وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى الموصلي عن هناد به وقال الترمذي : حسن غريب وهو حديث أبي الأحوص يعني سلام بن سليم لا نعرفه مرفوعا إلا من حديثه كذا قال : وقد رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره عن محمد بن أحمد عن محمد بن عبد الله بن مسعود مرفوعا نحوه ولكن رواه مسعر عن عطاء بن السائب عن أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة عن ابن مسعود فجعله من قوله والله أعلم ومعنى قوله تعالى" الشيطان يعدكم " أي يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله " ويأمركم بالفحشاء " أي مع نهيه إياكم عن

(١) بيان المعاني ٣/٢٤٦

٤٧١@@@". (١)

٢٢-"فليعلم أن الله غني واسع العطاء، كريم جواد، ويجزيه بها، ويضاعفها له أضعافا كثيرة، من يقرض غير عديم ولا ظلوم، وهو الحميد أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وقوله: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير والتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان" ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ الآية، وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما جميعا، عن هناد بن السري. وأخرجه ابن حبان في صحيحه، عن أبي يعلى الموصلي، عن هناد به، وقال الترمذي: حسن غريب، وهو حديث أبي الأحوص، يعني سلام بن سليم، لا نعرفه مرفوعا إلا من حديثه، كذا قال: وقد رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عبد الله بن مسعود مرفوعا نحوه، ولكن رواه مسعر عن عطاء بن السائب، عن أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة، عن ابن مسعود، فجعله من قوله، والله أعلم، ومعنى قول تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ أي يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله. ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ أي مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق، يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق، قال تعالى: ﴿والله يعدكم مغفرة منه﴾ أي في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء. ﴿وفضلا﴾ أي في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر ﴿والله واسع عليم﴾

وقوله: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله، وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا "الحكمة القرآن" يعني تفسيره، قال ابن عباس: فإنه قد قرأه البر والفاجر، رواه ابن مردويه، وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: يعني بالحكمة الإصابة في القول، وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾: ليست بالنبوة، ولكنه العلم والفقه والقرآن، وقال أبو العالية: الحكمة خشية الله، فإن خشية الله رأس كل حكمة، وقد روى ابن مردويه من طريق بقية عن عثمان ابن زفر الجهني، عن أبي عمار الأسدي، عن ابن مسعود مرفوعا "رأس الحكمة مخافة الله " وقال أبو العالية في رواية عنه: الحكمة الكتاب والفهم، وقال إبراهيم النخعي، الحكمة الفهم، وقال أبو مالك: الحكمة السنة، وقال ابن وهب، عن مالك، قال زيد بن أسلم: الحكمة العقل، قال مالك: وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله، ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلا في أمر الدنيا إذا نظر فيها، وتجد آخر ضعيفا في أمر دنياه، عالما بأمر دينه بصيرا به، يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا، فالحكمة الفقه في دين الله، وقال السدي: الحكمة النبوة،

---

(١) تفسير ابن كثير - ط قرطبة ٢/٤٧٠

والصحيح أن الحكمة كما قال الجمهور: لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها، وأعلاها النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع، كما جاء في الأحاديث "من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه" رواه وكيع بن الجراح في تفسيره، عن إسماعيل بن رافع، عن رجل لم يسمه، عن عبد الله بن عمر، وقوله: وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع ويزيد، قالا: حدثنا إسماعيل يعني ابن أبي خالد عن قيس وهو ابن أبي حازم، عن ابن مسعود، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل". [١]

٢٣-"وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد، حدثنا حماد بن سلمة، عن حماد -هو ابن أبي سليمان -عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بضب فلم يأكله ولم ينه عنه. قلت: يا رسول الله، نطعمه (١) المساكين؟ قال: "لا تطعموهم مما لا تأكلون" (٢) .

ثم رواه عن عفان (٣) عن حماد بن سلمة، به. فقلت: يا رسول الله، ألا أطعمه المساكين؟ قال: "لا تطعموهم ما لا تأكلون".

وقال الثوري: عن السدي، عن أبي مالك، عن البراء ﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ يقول: لو كان لرجل على رجل، فأعطاه ذلك لم يأخذه؛ إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه رواه ابن جرير.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ يقول: لو كان لكم على أحد حق، فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه. قال: فذلك قوله: ﴿ إلا أن تغمضوا فيه ﴾ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم، وحقي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه!!

رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير، وزاد: وهو قوله: ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران:٩٢] . ثم روى من طريق العوفي وغيره، عن ابن عباس نحو ذلك، وكذا ذكر غير واحد.

قوله (٤) : ﴿ واعلموا أن الله غني حميد ﴾ أي: وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها فهو غني عنها، وما ذاك إلا ليساوي الغني الفقير، كقوله: ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ [الحج : ٣٧] وهو غني عن جميع خلقه، وجميع خلقه فقراء إليه، وهو واسع الفضل لا ينفد ما لديه، فمن تصدق بصدقة من كسب طيب، فليعلم أن الله غني واسع العطاء، كريم جواد، سيجزيه بها ويضاعفها له أضعافا كثيرة من يقرض غير عديم ولا ظلوم، وهو الحميد، أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله (٥) وشرعه وقدره، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وقوله: ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن للشيطان للمة (٦) بابن آدم، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر ١/٣٩٦

بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان". ثم قرأ: ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾ الآية.

وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتابي (٧) التفسير من سننيهما جميعا، عن هناد بن السري (٨) .

---

(١) في جـ: "ألا نطعمه".

(٢) المسند (١٠٥/٦).

(٣) في جـ: "عن عثمان".

(٤) في جـ، أ، و: "وقوله".

(٥) في جـ: "في جميع أقواله وأفعاله".

(٦) في جـ: "لمة".

(٧) في جـ: "في كتاب".

(٨) سنن الترمذي برقم (٢٩٨٨) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٠٥١).". [١]

٢٤-"" صفحة رقم ٣٣٢ "

عموم نفي الأخذ بأي طريق أخذ الخبيث ، من أخذ حق ، أوهبة .

والهاء في : بآخذيه ، عائدة على الخبيث ، وهي مجرورة بالإضافة ، وأن كانت من حيث المعنى مفعوله . قال بعض المعربين : والهاء في موضع نصب : بآخذين ، والهاء والنون لا يجتمعان ، لأن النون زائدة ، وهاء الضمير زائدة ومتصلة كاتصال النون ، فهي لا تجتمع مع المضمر المتصل . إنتهى كلامه . وهو قول الأخفش : أن التنوين والنون قد تسقطان للطافة الضمير لا للإضافة ، وذلك في نحو : ضاربك ، فالكاف ضمير نصب ، ومذهب الجمهور أنه لا يسقط شيء منها للطافة الضمير ، وهذا مذكور في النحو . وقد أجاز هشام : ضاربنك ، بالتنوين ، ونصب الضمير ، وقياسه جواز إثبات النون مع الضمير ، ويمكن أن يستدل له بقوله :

هم الفاعلون الخير والآمرونه

وقوله :

ولم يرتفق والناس محتضرونه

) إلا أن تغمضوا فيه (موضع أن نصب أو خفض عند من قدره إلا بأن تغمضوا ، فحذف الحرف ، إذ حذف جائز مطرد ، وقيل : نصب بتغمضوا ، وهو موضع الحال ، وقد قدمنا قبل ، أن سيبويه لا يجيز انتصاب أن والفعل مقدرا بالمصدر في

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة ٦٩٩/١

موضع الحال ، وقال الفراء : المعنى معنى الشرط والجزاء ، لأن معناه إن أغمضتم أخذتم ، ولكن إلا وقعت على أن ففتحتها ، ومثله : (الا أن يخافه) و) إلا أن يعفون (هذا كله جزاء ، وأنكر أبو العباس وغيره قول الفراء ، وقالوا : أن ، هذه لم تكن مكسورة قط ، وهي التي تتقدر ، هي وما بعدها ، بالمصدر ، وهي مفتوحة على كل حال ، والمعنى : إلا بإغماضكم .

وقرأ الجمهور : تغمضوا ، من أغمض ، وجعلوه مما حذف مفعوله ، أي : تغمضوا ، بضم التاء وفتح الغين وكسر الميم مشدودة ، ومعناه معنى قراءة الجمهور . وروى عنه : تغمضوا ، بفتح التاء وسكون الغين وكسر الميم ، مضارع : غمض ، وهي لغة في أغمض ، ورويت عن اليزيدي : تغمضوا ، بفتح وضم الميم ، ومعناه : إلا أن يخفي عليكم رأيكم فيه . وروي عن الحسن : تغمضوا مشددة الميم مفتوحة . وقرأ قتادة تغمضوا ، بضم التاء وسكون الغين وفتح الميم مخففا ، ومعناه : إلا أن يغمض لكم .

وقال أبو الفتح : معناه إلا أن توجدوا قد أغمصتم في الأمر بتأولكم أو بتساهلكم ، كما تقول : أحمد الرجل أصيب محمودا ، وقيل : معنى قراءة قتادة : إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه .

(واعلموا أن الله غني حميد (أي : غني عن صدقاتكم ، وإنما هي أعمالكم ترد عليكم ، حميد أي : محمود على كل حال ، إذ هو مستحق للحمد .

وقال الحسن : يستحمد إلى خلقه ، أي : يعطيهم نعما يستدعي بها حمدهم . وقيل : مستحق للحمد على ما تعبدكم به .

البقرة : (٢٦٨) الشيطان يعدكم الفقر . . . . .

(الشيطان يعدكم الفقر (أي : يخوفكم بالفقر ، يقول للرجل أمسك فإن تصدقت افتقرت وروى أبو حيوة عن رجل من أهل الرباط أنه قرأ : الفقر ، بضم الفاء ، وهي لغة . وقرىء : الفقر ، بفتحتين .

(ويأمركم بالفحشاء (أي : يغريكم بها إغراء الآمر ، والفحشاء : البخل وترك الصدقة ، أو المعاصي مطلقا ، أو الزنا ، أقوال . ويحتمل أن تكون الفحشاء : الكلمة السيئة ، كما قال الشاعر : ولا ينطق الفحشاء من كان منهم

إذا جلسوا منا ولا من سوائنا

وكأن الشيطان يعد الفقر لمن أراد أن يتصدق ، ويأمره ، إذ منع ، بالرد القبيح على السائل ، وبخه وأقهره بالكلام السيء .

وروي ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وسلم)) ، أنه قال : (إن للشيطان لمة من ابن آدم ، وللملك لمة ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، فمن وجد ذلك فليتعوذ . وأما **لمة الملك** فوعد بالحق وتصديق بالخير ، فمن وجد ذلك فليحمد الله) . ثم قرأ عليه السلام :) الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (الآية .

وتقدم وعد الشيطان على أمره ، لأنه بالوعد يحصل". [1]

٢٥-"" صفحة رقم ٥٣٥ "

١١٤

(سورة الناس)

مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ ( ) قل أعوذ برب الناس ملك الناس إلاه الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ٢ ( )

) قل أعوذ برب الناس ملك الناس إلاه الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس).

الناس : (١ - ٣) قل أعوذ برب . . . . .

تقدم أنها نزلت مع ما قبلها . والخلاف أهي مدنية أم مكية ؟ وأضيف الرب إلى الناس ، لأن الاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم ، استعاذوا بربهم مالكهم وإلههم ، كما يستعيذ العبد بمولاه إذا دهمه أمر . والظاهر أن) ملك الناس إلاه الناس (صفتان . وقال الزمخشري : هما عطفا بيان ، كقولك : سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ، ثم زيد بيانا بإله الناس لأنه قد يقال لغيره : رب الناس ، كقوله :) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله). وقد يقال : ملك الناس ، وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه ، فجعل غاية للبيان ، انتهى . وعطف البيان المشهور أنه يكون بالجوامد ، وظاهر قوله أنهما عطفا بيان لواحد ، ولا أنقل عن النحاة شيئا في عطف البيان ، هل يجوز أن يتكرر لمعطوف عليه واحد أم لا يجوز ؟ .

وقال الزمخشري : فإن قلت : فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرة واحدة ؟ قلت : لأن عطف البيان للبيان ، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار ، انتهى .

الناس : (٤ - ٦) من شر الوسواس . . . . .

والوسواس ، قالوا : اسم من أسماء الشيطان ؟ والوسواس أيضا : ما يوسوس به شهوات النفس ، وهو الهوى المنهى عنه . والخناس : الراجع على عقبه ، المستتر أحيانا ، وذلك في الشيطان متمكن إذا ذكر العبد الله تعالى تأخر . وأما الشهوات فتخنس بالإيمان **وبلمة الملك** وبالحياء ، فهذان المعنيان يندرجان في الوسواس ، ويكون معنى) من الجنة والناس (: من الشياطين ونفوس الناس ، أو يكون الوسواس أريد به الشيطان ، والمغري : المزين من قرناء السوء ، فيكون) من الجنة والناس (، تبيينا لذلك الوسواس . قال تعالى :) عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا). وقال قتادة : إن من الإنس شياطين ، ومن الجن شياطين ، فنعوذ بالله منهم . وقال أبو ذر لرجل : هل تعوذت من

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (الكتب العلمية) ٣٣٢/٢

شياطين الإنس ؟
وقال الزمخشري :) الوسواس (اسم بمعنى الوسوسة ، كالزلزال بمعنى الزلزلة ؛ وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال ، والمراد به الشيطان ، سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه ، لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه ؛ أو أريد ذو الوسواس .
وقد تكلمنا معه في دعواه أن الزلزال بالفتح اسم وبالكسر مصدر في) إذا زلزلت (، ويجوز في الذي الجر على الصفة ، والرفع والنصب على الشتم ، ومن في) من الجنة والناس (للتبعيض ، أي كائنا من الجنة والناس ، فهي في موضع الحال أي ذلك الموسوس هو بعض الجنة وبعض الناس . وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون من متعلقا بيوسوس ، ومعناه ابتداء الغاية ، أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة ومن جهة الناس ، انتهى .
ولما كانت مضرة الدين ، وهي آفة الوسوسة ، أعظم من مضرة الدنيا وإن عظمت ، جاء البناء في الاستعاذة منها بصفات ثلاث : الرب والملك والإله ، وإن اتحد المطلوب ، وفي". [1]

٢٦-"عن اليزيدي : تغمضوا ، بفتح وضم الميم ، ومعناه : إلا أن يخفي عليكم رأيكم فيه. وروي عن الحسن : تغمضوا مشددة الميم مفتوحة. وقرأ قتادة تغمضوا ، بضم التاء وسكون الغين وفتح الميم مخففا ، ومعناه : إلا أن يغمض لكم.
وقال أبو الفتح : معناه إلا أن توجدوا قد أغمصتم في الأمر بتأولكم أو بتساهلكم ، كما تقول : أحمد الرجل أصيب محمودا ، وقيل : معنى قراءة قتادة : إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه.
﴿واعلموا أن الله غني حميد﴾ أي : غني عن صدقاتكم ، وإنما هي أعمالكم ترد عليكم ، حميد أي : محمود على كل حال ، إذ هو مستحق للحمد.
وقال الحسن : يستحمد إلى خلقه ، أي : يعطيهم نعما يستدعي بها حمدهم. وقيل : مستحق للحمد على ما تعبدكم به.
﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ أي : يخوفكم بالفقر ، يقول للرجل أمسك فإن تصدقت افتقرت وروى أبو حيوة عن رجل من أهل الرباط أنه قرأ : الفقر ، بضم الفاء ، وهي لغة. وقرىء : الفقر ، بفتحتين.
﴿ويأمركم بالفحشآء﴾ أي : يغريكم بها إغراء الآمر ، والفحشاء : البخل وترك الصدقة ، أو المعاصي مطلقا ، أو الزنا ، أقوال. ويحتمل أن تكون الفحشاء : الكلمة السيئة ، كما قال الشاعر :
ولا ينطق الفحشاء من كان منهمإذا جلسوا منا ولا من سوائنا
وكأن الشيطان يعد الفقر لمن أراد أن يتصدق ، ويأمره ، إذ منع ، بالرد القبيح على السائل ، وبخه وأقهره بالكلام السيء.
وروي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : "إن للشيطان لمة من ابن آدم ، وللملك لمة ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، فمن وجد ذلك فليتعوذ. وأما **لمة الملك** فوعد بالحق وتصديق بالخير ، فمن وجد ذلك فليحمد الله". ثم قرأ عليه السلام : ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشآء﴾ الآية.

---
(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (الكتب العلمية) ٨/٥٣٥

وتقدم وعد الشيطان على أمره ، لأنه بالوعد يحصل الاطمئنان إليه ، فإذا اطمأن إليه وخاف الفقر تسلط عليه بالأمر ، إذ الأمر استعلاء على المأمور.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣١٥

وقال الزمخشري : والفاحش عند العرب البخيل ، وقال أيضا : ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات ، انتهى. فتكون الجملة الثانية كالتوكيد للأولى ، ونظرنا إلى ما شرحه الشراح في الفاحش في نحو قول الشاعر :

حتى تأوى إلى لا فاحش برمولا شحيح إذا أصحابه غنموا

وقال الآخر :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفعقيلة مال الفاحش المتشدد

فقالوا : الفاحش السيء الخلق ، ولو كان الفاحش هو البخيل لكان قوله : ولا شحيح ، من باب التوكيد. وقال في قول امرىء القيس :

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش

إن معناه ليس بقبيح ، ووافق الزمخشري أبا مسلم في تفسير الفاحش بالبخيل ، والفحشاء بالبخل ، قال بعضهم. وأنشد أبو مسلم قول طرفة :

عقيلة مال الفاحش المتشدد

قال : والأغلب في كلام العرب ، وفي تفسير البيت الذي أنشده أن الفاحش السيء الرد لضيفانه ، وسؤاله. قال : وقد وجدنا بعد ذلك شعرا يشهد لتأويل أبي مسلم أن الفحشاء البخل. وقال راجز من طيء :

قد أخذ المجد كما أراداليس بفحاش يصر الزادا

انتهى. ولا حجة في هذا البيت على أنه أراد بالفحاش البخيل ، بل يحمل على السيء الخلق ، أو السيء الرد ، ويفهم البخيل من قوله : يصر الزادا.

﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾ أي سترا لذنوبكم مكافأة للبذل ، وفضلا زيادة على مقتضى ثواب البذل. وقيل : وفضلا ، أن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم ، أو وثوابا عليه في

٣١٩

الآخرة ، ولما تقدم قوله : ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ وكان الحامل لهم على ذلك إنما هو الشح والبخل بالجيد الذي مثيره الشيطان ، بدىء بهذه الجملة من قوله ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ وإن ما تصدقتم من الخبيث إنما ذلك من نزغات الشيطان ليقبح لهم ما ارتكبوه من ذلك بنسبته إلى الشيطان ، فيكون أبعد شيء عنه.

ثم ذكر تعالى في مقابلة وعد الشيطان وعد الله بشيئين : أحدهما : الستر لما اجترحوه من الذنوب ، والثاني : الفضل وهو زيادة الرزق والتوسعة في الدنيا والآخرة. روي أن في التوراة : عبدي ، أنفق من رزقي أبسط عليك فضلي ، فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة ، وفي كتاب الله مصداقه : ﴿ومآ أنفقتم من شىء فهو يخلفها﴾ .

﴿والله واسع عليم﴾ أي : واسع بالجود والفضل على من أنفق ، عليم بنيات من أنفق ، وقيل : عليم أين يضع فضله ،

ووردت الأحاديث بتفضيل الإنفاق والسماحة وذم البخل ، منها حديث البراء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله يحب الإنفاق ويبغض الإقتار فكل وأطعم ولا تصرر ، فيعسر عليك الطلب". وقوله صلى الله عليه وسلم : "وأي داء أردأ من البخل".

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣١٥

". (١)

٢٧-"سورة الناس

مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥٣٠

﴿قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إلاه الناس * من شر الوسواس الخناس * الذى يوسوس فى صدور الناس * من الجنة والناس﴾ .

تقدم أنها نزلت مع ما قبلها. والخلاف أهي مدنية أم مكية ؟ وأضيف الرب إلى الناس ، لأن الاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم ، استعاذوا بربهم مالكهم وإلههم ، كما يستعيذ العبد بمولاه إذا دهمه أمر. والظاهر أن ﴿ملك الناس * إلاه الناس﴾ صفتان. وقال الزمخشري : هما عطفا بيان ، كقولك : سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ، ثم زيد بيانا

٥٣١

بإله الناس لأنه قد يقال لغيره : رب الناس ، كقوله : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ . وقد يقال : ملك الناس ، وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه ، فجعل غاية للبيان ، انتهى. وعطف البيان المشهور أنه يكون بالجوامد ، وظاهر قوله أنهما عطفا بيان لواحد ، ولا أنقل عن النحاة شيئا في عطف البيان ، هل يجوز أن يتكرر لمعطوف عليه واحد أم لا يجوز ؟.

وقال الزمخشري : فإن قلت : فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرة واحدة ؟ قلت : لأن عطف البيان للبيان ، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار ، انتهى. والوسواس ، قالوا : اسم من أسماء الشيطان ؟ والوسواس أيضا : ما يوسوس به شهوات النفس ، وهو الهوى المنهى عنه. والخناس : الراجع على عقبه ، المستتر أحيانا ، وذلك في الشيطان متمكن إذا ذكر العبد الله تعالى تأخر. وأما الشهوات فتخنس بالإيمان **وبلمة الملك** وبالحياء ، فهذان المعنيان يندرجان في الوسواس ، ويكون معنى ﴿من الجنة والناس﴾ : من الشياطين ونفوس الناس ، أو يكون الوسواس أريد به الشيطان ، والمغري : المزين من قرناء السوء ، فيكون ﴿من الجنة والناس﴾ ، تبيينا لذلك الوسواس. قال تعالى : ﴿عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ . وقال قتادة : إن من الإنس شياطين ، ومن الجن شياطين ، فنعوذ بالله

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (دار الفكر) ٢/٢٤١

منهم. وقال أبو ذر لرجل : هل تعوذت من شياطين الإنس ؟
جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥٣١
وقال الزمخشري : ﴿الوسواس﴾ اسم بمعنى الوسوسة ، كالزلزال بمعنى الزلزلة ؛ وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال ، والمراد به الشيطان ، سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه ، لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه ؛ أو أريد ذو الوسواس. وقد تكلمنا معه في دعواه أن الزلزال بالفتح اسم وبالكسر مصدر في ﴿إذا زلزلت﴾ ، ويجوز في الذي الجر على الصفة ، والرفع والنصب على الشتم ، ومن في ﴿من الجنة والناس﴾ للتبعيض ، أي كائنا من الجنة والناس ، فهي في موضع الحال أي ذلك الموسوس هو بعض الجنة وبعض الناس. وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون من متعلقا بيوسوس ، ومعناه ابتداء الغاية ، أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة ومن جهة الناس ، انتهى.
ولما كانت مضرة الدين ، وهي آفة الوسوسة ، أعظم من مضرة الدنيا وإن عظمت ، جاء البناء في الاستعاذة منها بصفات ثلاث : الرب والملك والإله ، وإن اتحد المطلوب ، وفي الاستعاذة من ثلاث : الغاسق والنفاثات والحاسد بصفة واحدة وهي الرب ، وإن تكثر الذي يستعاذ منه. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا آوى إلى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرأ : قل هو الله أحد والمعوذتين ، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاثا ، صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد وكرم ، وعلى آله وصحبه ذوي الكرم وسلم تسليما كثيرا.
٥٣٢
جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥٣١
تم الكتاب والحمد لله أولا وآخر وظاهرا وباطنا.". (١)

٢٨-" منه عائد على ما كسبتم كأنه في موضع نصب على الحال والمعنى في الآية فلا تفعلوا مع الله مالا ترضونه لأنفسكم واعلموا أن الله غني عن صدقاتكم فمن تقرب وطلب مثوبة فليفعل ذلك بماله قدر ت وهذا يقوي القول بأنها في الزكاة المفروضة وحميد معناه محمود وقوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر الآية هذه الآية وما بعدها وإن لم تكن أمرا بالصدقة فهي جالبة النفوس إلى الصدقة بين عز و جل فيها نزغات الشيطان ووسوسته وعداوته وذكر بثوابه هو سبحانه لا رب غيره وذكر بتفضله بالحكمة وأثنى عليها ونبه أن أهل العقول هم المتذكرون الذين يقيمون بالحكمة قدر الإنفاق في طاعة الله وغير ذلك ثم ذكر سبحانه علمه بكل نفقة ونذر وفي ذلك وعد ووعيد ثم بين الحكم في الإعلان والإخفآء وكذلك إلى ءاخر المعنى والوعد في كلام العرب إذا أطلق فهو في الخير وإذا قيد بالموعود فقد يقيد بالخير وقد يقيد بالشر كالبشارة وهذه الآية مما قيد الوعد فيها بمكروه والفحشاء كل ما فحش وفحش ذكره روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال أن للشيطان لمة من ابن ءادم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ صلى الله

(١) تفسير البحر المحيط. موافق للمطبوع (دار الفكر) ٣٩٨/٨

عليه و سلم الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية قلت هذا حديث صحيح خرجه أبو عيسى الترمذي وقال فيه حسن غريب صحيح والمغفرة هي الستر على عباده في الدنيا والآخرة والفضل هو الرزق في الدنيا والتوسعة فيه والنعيم في الآخرة وبكل قد وعد الله جل وعلا وروي أن في التوراة عبدي انفق من رزقي أبسط عليك فضلي فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة وفي القرءان مصداقة وهو وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير ". (١)

٢٩-" في أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ما أتى عفوا دون تكلف فالعفو هنا الفضل والصفو قال مكي قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف الآية قال بعض أهل المعاني في هذه الآية بيان قول النبي صلى الله عليه و سلم أوتيت جوامع الكلم فهذه الآية قد جمعت معان كثيرة وفوائد عظيمة وجمعت كل خلق حسن لأن في أخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين وإعطاء المانعين وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وطاعته وصلة الرحم وصون الجوارح عن المحرمات وسمي هذا ونحوه عرفا لأن كل نفس تعرفه وتركن إليه وفي الأعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مخاطبة السفيه ومنازعة اللجوج وغيره ذلك من الأفعال المرضية انتهى من الهداية وقوله وأمر بالعرف معناه بكل ما عرفته النفوس مما لا ترده الشريعة ومن ذلك أن تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك الحديث فالعرف بمعنى المعروف

وقوله عز و جل وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم هذه الآية وصية من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه و سلم تعم أمته رجلا رجلا والنزغ حركة فيها فساد وقلما تستعمل إلا في فعل الشيطان لأن حركته مسرعة مفسدة ومنه قول النبي صلى الله عليه و سلم لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح لا ينزغ الشيطان في يده فالمعنى في هذه الآية فأما تلمن بك لمة من الشيطان فاستعذ بالله وعبارة البخاري ينزغنك يستخفنك انتهى ونزغ الشيطان عام في الغضب وتحسين المعاصي واكتساب الغوائل وغير ذلك وفي جامع الترمذي عن النبي صلى الله عليه و سلم قال ان للملك لمة وللشيطان لمة الحديث قال ع وعن هاتين اللمتين هي الخواطر من الخير والشر فالآخذ بالواجب يلقى **لمة الملك** بالامتثال والاستدامة **ولمة الشيطان** بالرفض والاستعاذة واستعاذ معناه طلب أن يعاذ وعاذ معناه ". (٢)

٣٠-" صفحة رقم ٢٩٠

فينا معشر الأنصار ، كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته ، وقلته : وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد ، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فضربه بعصا ، فسقط البسر أو التمر فيأكل وكان ناس من لا يرغب في الخير ، يأتي بالقنوفية الشيص والحشف ، وبالقنو قد انكسر فيعلقه فأنزل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه (قال : لو أن أحدكم أهدي إليه مثل ما أعطى لم يأخذه إلا على إغماض وحياء قال : فكنا بعد ذلك

---

(١) تفسير الثعالبي ٢١٧/١

(٢) تفسير الثعالبي ٧٦/٢

يأتي أحدنا بصالح ما عنده أخرجه الترمذي.
وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم ، ويعزلون الجيد لأنفسهم فانزل الله تعالى : (ولا تيمموا الخبيث (يعني الردئ منه تنفقون يعني تتصدقون) ولستم بآخذيه (يعني ذلك الشيء الخبيث الردء) إلا أن تغمضوا فيه (الإغماض في اللغة غض البصر ، وإطباق الجفن والمراد به هنا التجويز والمساهلة ، وذلك أن الإنسان إذا رأى ما يكره أنه قد أغمض لئلا يرى ذلك قال ابن عباس : معناه لو أن لأحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض عن حقه وتركه وقال البراء : هو لو أهدى ذلك ما أخذتموه إلا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون إلى ما لا ترضون لأنفسكم إذا كان المال كله جيدا فليس له إعطاء الرديء لأن أهل السهمان شركاء له فيما عنده ، وإن كان كله رديئا فلا بأس بإعطاء الردئ) واعلموا أن الله غني (يعني عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوز واحتياج إليها) حميد (أي محمود في أفعاله ، وقيل : حميد بمعنى حامد أي أجركم على ما تفعلونه من الخير.
(
البقرة : (٢٦٨ - ٢٦٩) الشيطان يعدكم الفقر...
" الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب " (قوله عز وجل : (الشيطان يعدكم الفقر (أي يخوفكم الفقر يقال : ووعدته شرا وإذا لم يذكر الخير والشر يقال : في الخير وعدته وفي الشر أوعدته والفقر سوء الحال ، وقلة ذات اليد وأصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية أن الشيطان يخوفكم بالفقر ، ويقول للرجل أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدقت افتقرت) ويأمركم بالفحشاء (يعني يوسوس لكم ويحسن لكم ، البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فهي الزنا إلا هذا الموضع وفي هذه الآية لطيفة وفي أن الشيطان يخوف الرجل أولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء ، وهي البخل وذلك لأن البخيل على صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل إلا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر ، فلهذا قال تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه (يعني مغفرة لذنوبكم وسترا لكم) وفضلا (يعني رزقا وخلفا.
فالمغفرة إشارة إلى منافع الآخرة والفضل إشارة إلى منافع الدنيا ، وما يحصل من الرزق والخلف.
عن ابن مسعود قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ) الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ( ) أخرجه الترمذي.
وقال هذا حديث حسن". (١)

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع ١/ ٢٩٠

٣١-" صفحة رقم ٢٩١

غريب قوله : إن للشيطان لمة وبابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الإلمام وهو القرب من الشيء والمراد بهذه اللمة اللمة التي تقع في القلب من فعل خير أو شر والعزم فأما **لمة الشيطان** فوسوسة وأما **لمة الملك** فإلهام من الله تعالى) والله واسع (أي غني قادر على إغنائكم وأخلاف ما تنفقونه) عليم (يعني بما تنفقونه لا تخفى عليه خافيه

(ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان يقول : أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا)

(ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (قال الله تعالى أنفق ينفق عليك) وفي رواية (يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، وقال : أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده) وفي رواية (فإنه لم يغض ما في يمينه ، وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع) وفي رواية وبيده الأخرى الفيض القبض يرفع ويخفض

(ق) عن أسماء بنت أبو بكر الصديق قالت : قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (أنفقي ولا تحصي فيحصى عليك ولا توعي فيوعى عليك) قوله : ولا توعي أي لا تشحي فيشح الله عليك فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لك ، والمعنى لا تجمعي وتمنعي بل أنفقي ولا تعدي ولا تشحي.

قوله عز وجل : (يؤتي الحكمة من يشاء (قال ابن عباس : هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه ، وقال الضحاك : القرآن والفهم فيه وإنما قال : ذلك لتضمن القرآن الحكمة وقال في القرآن : مائة وتسع آيات ناسخه ومنسوخه وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كأهل النهروان يعني الخوارج تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وإنما نزلت في أهل الكتاب فجهلوا علمها فسفكوا بها الدماء ، وانتهبوا الأموال وشهدوا على أهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فيما نزل لم يختلف في شيء منه ، وقيل : هي القرآن والعلم والفقه وقيل هي الإصابة في القول والفعل ، وحاصل هذه الأقوال إلى شيئين : العلم والإصابة فيه ، ومعرفة الأشياء بذواتها وأصل الحكمة المنع ومنه حكمه الدابة لأنها تمنعها قال الشاعر :

٨٩ (أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم) ٨٩

أي امنعوا سفهاءكم ، وقال السدي : الحكمة النبوة لأن النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله لأن الورع يمنع صاحبه من أن يقع في الحرام ، أو ما لا يجوز له فعله) ومن يؤت الحكمة (يعني ومن يؤته الله الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا (تنكير تعظيم معناه فقد أوتي أي خير كثير.

". (١)

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع ٢٩١/١

٣٢-"﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم ءاياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (البقرة : ١٢٩) ولهذا كان يقول عليه الصلاة والسلام : "أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى" وهو قوله : ﴿ومبشرا برسول يأتى منا بعدى اسمه ا أحمد ﴾ (الصف : ٦) فإنه مشتق من الحمد والاسم المشتق من الحمد ليس إلا لنبينا فإن اسمه محمد وأحمد ومحمود. قيل إن صفته في التوراة أن مولده بمكة ومسكنه بطيبة وملكه بالشام وأمته الحمادون. والسادس : قال المسيح للحواريين : "أنا أذهب وسيأتيكم الفار قليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يقال له" وتصديق ذلك : ﴿إن أتبع إلا ما يوحى ا إلى ﴾ (الأنعام : ٥٠) وقوله : ﴿قل ما يكون لى أن أبدله من تلقآى نفسى ا إن أتبع إلا ما يوحى ا إلى ﴾ (يونس : ١٥) أما "الفارقليط" ففي تفسيره وجهان : أحدهما أنه الشافع المشفع وهذا أيضا صفته عليه الصلاة والسلام ، الثاني : قال بعض النصارى : الفار قليط هو الذي يفرق بين الحق والباطل وكان في الأصل فاروق كما يقال راووق للذي يروق به وأما "ليط" فهو التحقيق في الأمر كما يقال شيب أشيب ذو شيب وهذا أيضا صفة شرعنا لأنه هو الذي يفرق بين الحق والباطل. والسابع : قال دانيال ليختنصر حين سأله عن الرؤيا التي كان رآها من غير أن قصها عليه : رأيت أيها الملك منظرا هائلا رأسه من الذهب الأبريز وساعده من الفضة وبطنه وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد وبعضها / من خزف ورأيت حجرا يقطع من غير قاطع وصك رجل ذلك الصنم ودقها دقا شديدا فتفتت الصنم كله حديده ونحاسه وفضته وذهبه وصارت رفاتا وعصفت بها الرياح فلم يوجد لها أثر وصار ذلك الحجر الذي صك ذلك الرجل من ذلك الصنم جبلا عاليا امتلأت به الأرض فهذا رؤياك أيها الملك. وأما تفسيرها فأنت الرأس الذي رأيته من الذهب ويقوم بعدك مملكة أخرى دونك والمملكة الثالثة التي تشبه النحاس تنبسط على الأرض كلها ، والمملكة الرابعة تكون قوتها مثل الحديد ، وأما الرجل التي كان بعضها من خزف فإن بعض المملكة يكون عزيزا وبعضها يكون ذليلا وتكون **كلمة الملك** متفرقة ويقيم إله السماء في تلك الأيام مملكة أبدية لا تتغير ولا تزول وإنها تزيل جميع الممالك وسلطانها يبطل جميع السلاطين وتقوم هي إلى الدهر الداهر فهذا تفسير الحجر الذي رأيت أنه يقطع من جبل بلا قاطع حتى دق الحديد والنحاس والخزف والله أعلم بما يكون في آخر الزمان. فهذه هي البشارات الواردة في الكتب المتقدمة بمبعث رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٢٧

". (١)

٣٣-"الذي يفرق بين الحق والباطل وكان في الأصل فاروق كما يقال راووق للذي يروق به وأما (ليط) فهو التحقيق في الأمر كما يقال شيب أشيب ذو شيب وهذا أيضا صفة شرعنا لأنه هو الذي يفرق بين الحق والباطل والسابع قال دانيال ليختنصر حين سأله عن الرؤيا التي كان رآها من غير أن قصها عليه رأيت أيها الملك منظرا هائلا رأسه من الذهب الأبريز وساعده من الفضة وبطنه وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد وبعضها من خزف ورأيت حجرا يقطع من

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٤٠٦

غير قاطع وصك رجل ذلك الصنم ودقها دقا شديدا فتفتت الصنم كله حديده ونحاسه وفضته وذهبه وصارت رفاتا وعصفت بها الرياح فلم يوجد لها أثر وصار ذلك الحجر الذي صك ذلك الرجل من ذلك الصنم جبلا عاليا امتلأت به الأرض فهذا رؤياك أيها الملك وأما تفسيرها فأنت الرأس الذي رأيته من الذهب ويقوم بعدك مملكة أخرى دونك والمملكة الثالثة التي تشبه النحاس تنبسط على الأرض كلها والمملكة الرابعة تكون قوتها مثل الحديد وأما الرجل التي كان بعضها من خزف فإن بعض المملكة يكون عزيزا وبعضها يكون ذليلا وتكون **كلمة الملك** متفرقة ويقيم إله السماء في تلك الأيام مملكة أبدية لا تتغير ولا تزول وإنها تزيل جميع الممالك وسلطانها يبطل جميع السلاطين وتقوم هي إلى الدهر الداهر فهذا تفسير الحجر الذي رأيت أنه يقطع من جبل بلا قاطع حتى دق الحديد والنحاس والخزف والله أعلم بما يكون في آخر الزمان فهذه هي البشارات الواردة في الكتب المتقدمة بمبعث رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم)

أما قوله تعالى أوف بعهدكم فقالت المعتزلة ذلك العهد هو ما دل العقل عليه من أن الله تعالى يجب عليه إيصال الثواب إلى المطيع وصح وصف ذلك الوجوب بالعهد لأنه بحيث يجب الوفاء به فكان ذلك أوكد من العهد بالإيجاب بالنذر واليمين وقال أصحابنا إنه لا يجب للعبد على الله شيء وفي هذه الآية ما يدل على ذلك لأنه تعالى لما قدم ذكر النعم ثم رتب عليه الأمر بالوفاء بالعهد دل على أن تلك النعم السالفة توجب عهد العبودية وإذا كان كذلك كان أداء العبادات أداء لما وجب بسبب النعم السالفة وأداء الواجب لا يكون سببا لواجب آخر فثبت أن أداء التكاليف لا يوجب الثواب فبطل قول المعتزلة بل التفسير الحق من وجهين الأول أنه تعالى لما وعد بالثواب وكل ما وعد به استحال أن لا يوجد لأنه لو لم يوجد لانقلب خبره الصدق كذبا والكذب عليه محال والمفضي إلى المحال محال فكان ذلك واجب الوقوع فكان ذلك آكد مما ثبت باليمين والنذر الثاني أن يقال العهد هو الأمر والعبد يجوز أن يكون مأمورا إلا أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مأمورا لكنه سبحانه وتعالى جرى في ذلك على موافقة اللفظ كقوله يخادعون الله وهو خادعهم (النساء ١٤٢) ومكروا ومكر الله (آل عمران ٥٤) وأما قوله وإياى فارهبون فاعلم أن الرهبة هي الخوف قال المتكلمون الخوف منه تعالى هو الخوف من عقابه وقد يقال في المكلف إنه خائف على وجهين أحدهما مع العلم والآخر مع الظن أما العلم فإذا كان على يقين من أنه أتى بكل ما أمر به واحترز عن كل ما نهى عنه فإن خوفه إنما يكون عن المستقبل وعلى هذا نصف الملائكة والأنبياء عليهم السلام بالخوف والرهبة قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم (النحل ٥٠) وأما الظن فإذا لم يقطع بأنه فعل". [١]

٣٤-"

﴿ فتعالى.. ﴾ [المؤمنون: ١١٦] تنزه وتقدس، وكلمة العلو تعني علو المنزلة. نقول: علا فلان على فلان، أما حين نقول: تعالى الله، فالمراد العلو الأعلى، وإن وهب علوا للغير فهو علو الداني، وعلو المتغير، بدليل أنه تعالى يعليك، وإن شاء سلبك، فالعلو ليس ذاتيا **فيك**.

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٣٧/٣

وكلمة الملك نعرفها فيمن يملك قطعة من الأرض بمن فيها ويحكم وله رعية، ومن هذه المادة: المالك. ويطلق على أي مالك لأي شيء، ولو لم يكن لديه إلا الثوب الذي يلبسه فهو مالك، أما: الملك فهو من يملك الذين يملكون، فله ملك على المالكين، وهذا الملك لم يأخذ ملكه بذاته، إنما بإيتاء الله له.

لذلك يقول تعالى:﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشآء وتنزع الملك ممن تشآء وتعز من تشآء وتذل من تشآء.. ﴾[آل عمران: ٢٦].

فلو كان ملك هؤلاء الملوك ذاتيا ما نزع منهم، ألا ترى الملك من ملوك الدنيا يقوي ويستتب له الأمر، ويكون له صولجان وبطش وفتك.. إلخ، ومع كل هذا لا يستطيع الاحتفاظ بملكه؟ وفي لحظة ينهار هذا الملك ولو على يد جندي من جنوده، بل وربما تلفظه بلاده، ولا تقبل حتى أن يدفن بها، وتتطوع له بعض الدول، وتقبل أن تواري رفاته بأرضها، فأي ملك هذا؟

وهذه آية من الآيات نراها في كل عصر – وكأنها قائمة – دليلا على صدق الآية:﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشآء وتنزع الملك ممن تشآء وتعز من تشآء وتذل من تشآء.. ﴾[آل عمران: ٢٦] إذن: إن ملكك الله فاعلم أنه ملك موهوب، مهما استتب لك فلا تضمن بقاءه؛ لأن الله تعالى ملكك لغاية، ولا يملك الغاية إلا هو سبحانه.

لذلك كان الحق – سبحانه وتعالى – ﴿ الملك الحق.. ﴾ [المؤمنون: ١١٦] يعني: الذي لا يزحزحه أحد عن ملكه، أو يسلبه منه، وهو الذي يتصرف في ملكه كيف يشاء لا ينازعه فيه أحد، وإن أعطى من باطن ملكه تعالى ملكا لأحد، فيظل في يده سبحانه زمام هذا الملك، إن شاء بسطه، وإن شاء سلبه ونزعه. فهو وحده الملك الحق، أما غيره فملكهم موهوب مسلوب، وإن ملك سبحانه أناسا. أمر أناس في الدنيا يأتي يوم القيامة فيقول:﴿ لمن الملك اليوم.. ﴾[غافر: ١٦].

وتلحظ أن كلمة﴿ تؤتي الملك.. ﴾[آل عمران: ٢٦] سهلة على خلاف﴿ وتنزع الملك.. ﴾[آل عمران: ٢٦]، ففي النزع دليل على المشقة والمعاناة؛ لأن صاحب الملك يحاول أن يتمسك به ويتشبث وينازع، لكن أينازع الله؟

فقوله سبحانه: ﴿ فتعالى الله الملك الحق.. ﴾ [المؤمنون: ١١٦] المراد: تعالى عن أن يكون خلقكم عبثا، وتعالى عن أن تشردوا من قبضته، أو تخرجوا عن نفوذه، أو تستقلوا بخلقكم عن سيطرته، وتعالى أن تفلتوا من عقابة أو تمتنعوا عنه؛ لأنه لا إله غيره: ﴿ لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

فالحق تبارك وتعالى يحكم في إطار:﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾[الإخلاص: ١ – ٤].

فإذا قال لك شيئا فاعلم أنه لا إله غيره يعارضه.

والعرش: رمز لاستتباب الأمر للمالك؛ لأنه ينشغل بتدبير ملكه والقضاء على المناوئين له وتأديب أعدائه، فإذا ما استتب له ذلك جلس على عرشه، إذن: الجلوس على العرش يعني استقرار الأمور واستتباب أمر الملك؛ لذلك فإن الحق سبحانه بعد أن خلق الخلق استوى على العرش.

والعرش يفيد أيضا السيطرة والتحكم، وعرش الله عرش كريم؛ لأنه تعالى عليك لا ليذلك ويهنيك، وإنما تعالى عليك ليعاليك إليه ويعطيك من فضله. كما سبق أن قلنا: إن من مصلحتنا أن يكون الله تعالى متكبرا، ومن عظمة الحق سبحانه أن يكون له الكبرياء، فساعة يعلم الجميع أن الكبرياء لله وحدة لا يتكبر أحد على أحد.

يقول الحق سبحانه:﴿ وله الكبريآء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾[الجاثية: ٣٧].

لذلك يقولون في الأمثال: (اللي ملوش كبير يشتري له كبير) يعني: ليعيش في ظله، فالحق – تبارك وتعالى – يتعالى لصالح خلقه.

ومن ذلك ما قلناه في مسألة العبودية، وأنها مكروهه ثقيلة إن كانت للبشر؛ لأن السيد يأخذ خير عبده، إنما هي محبوبة إن كانت لله تعالى؛ لأن العبودية لله يأخذ العبد خير ربه.

فإن كانت عروش الدنيا للسيطرة والتحكم في مصائر الناس وامتصاص دمائهم وأخذ خيراتهم، فعرش ربك عرش كريم، والكريم في كل شيء أشرف غاياته، اقرأ قوله تعالى:﴿ كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم ﴾[الدخان: ٢٥ – ٢٦].

وحين يوصينا بالوالدين، يقول سبحانه:﴿ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴾[الإسراء: ٢٣].

فالعرش الكريم أشرف غايات الملك؛ لأن الملك ليس تسلطا وقهرا، إنما هو ملك لصالح الناس، والحق – تبارك وتعالى – حينما خلق الحياة وزع فيها أسباب الفضل، ولكنه جعل فيها القوي القادر، وجعل فيها الضعيف العاجز، ثم أمر القوي أن يأخذ بيد الضعيف، وأن يعوله، فالكرم استطراق نفع القوى للضعيف، فكل خصلة من خصال الخير توصف بالكرم.

إذن: إياك أن تفهم أن عرش ربك للسيطرة والعلو والجبروت؛ لأنه عرش كريم.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له.. ﴾.

". (١)

٣٥-" إلا أن يهضم لكم منه

عبد الرزاق قال نا الثوري قال قال مجاهد لعلكم تتفكرون قال تطيعون

عبد الرزاق عن رجل عن عمار الدهني عن أبي جعفر في قوله تعالى إن تبدوا الصدقت فنعما هى يعني الزكاة المفروضة وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء يعني التطوع

عبد الرزاق قال نا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى الشيطن يعدكم الفقر قال إن للملك لمة وللشيطان لمة **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجدها فليحمد الله **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق فمن وجدها فليستعذ بالله

---

(١) تفسير الشعراوي ص/٢٧٦٤

عبد الرزاق قال نا معمر عن قتادة في قوله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء قال الحكمة القرآن والفقه في القرآن

عبد الرزاق قال نا معمر عن قتادة في قوله تعالى للفقرآء الذين أحصروا في سبيل الله قال حصروا أنفسهم للغزو فلا يستطيعون تجارة

يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف عبد الرزاق عن معمر عن مجاهد قال تعرفهم بسيمهم قال التخشع ". (١)

٣٦-"عن مرة، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن للشيطان لمة من ابن آدم، وللملك لمة: فأما **لمة الشيطان**، فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق. وأما **لمة الملك**، فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك، فليعلم أنه من الله وليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان، ثم قرأ:"الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء". (١)

٦١٧١ - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير بن سليمان، قال: حدثنا عمرو، عن عطاء بن السائب، عن مرة، عن عبد الله، قال: إن للإنسان من الملك لمة، ومن الشيطان لمة. فاللمة من الملك إيعاد بالخير، وتصديق بالحق، واللمة من الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق. وتلا عبد الله:"الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا"= قال عمرو: وسمعنا في هذا الحديث أنه كان يقال: إذا أحس أحدكم من **لمة الملك** شيئا فليحمد الله، وليسأله من فضله، وإذا أحس من **لمة الشيطان** شيئا، فليستغفر الله وليتعوذ من الشيطان. (٢) .

٦١٧٢ - حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، قال: حدثنا عطاء بن السائب، عن أبي الأحوص= أو عن مرة= قال: قال عبد الله: ألا إن للملك لمة وللشيطان لمة. **فلمة الملك**: إيعاد بالخير وتصديق بالحق، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وذلكم بأن الله يقول: (٣) .

"الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم"، فإذا وجدتم من هذه شيئا فاحمدوا الله عليه، وإذا وجدتم من هذه شيئا فتعوذوا بالله من الشيطان. (٤) .

---

(١) الحديث : ٦١٧٠ -أبو الأحوص : هو سلام بن سليم الكوفي الحافظ . سبق توثيقه : ٢٠١٥٨ .

عطاء بن السائب : مضى في : ١٥٨ ، ٤٤٣٣ أنه تغير في آخر عمره ، وأن من سمع منه قديما فحديثه صحيح . والظاهر من مجموع كلامهم أن اختلاطه كان حين قدم البصرة . قال أبو حاتم : "في حديث البصريين عنه تخاليط كثيرة ، لأنه قدم عليهم في آخر عمره" . وعطاء كوفي ، والراوي عنه هنا أبو الأحوص كوفي أيضا . فالظاهر أنه سمع منه قبل الاختلاط .

مرة : هو مرة الطيب ، وهو ابن شراحيل الهمداني الكوفي . مضت ترجمته : ٢٠٢١ .

عبد الله : هو ابن مسعود .

والحديث رواه الترمذي ٤ : ٧٧ -٧٨ ، عن هناد -وهو ابن السري ، شيخ الطبري هنا -بهذا الإسناد . وقال : "هذا

---

(١) تفسير الصنعاني ١٠٩/١

حديث حسن غريب [وفي بعض نسخه : حسن صحيح غريب] . وهو حديث أبي الأحوص . لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث أبي الأحوص" .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤٤ ، من رواية ابن أبي حاتم ، عن أبي زرعة ، عن هناد . ووقع في إسناده هناك تخليط من الناسخين . ثم أشار إلى بعض رواياته مرفوعا وموقوفا .

وذكر ابن كثير أنه رواه أيضا النسائي في كتاب التفسير من سننه ، عن هناد بن السري . وأنه رواه ابن حبان في صحيحه ، عن أبي يعلي الموصلي ، عن هناد . وكتاب التفسير في النسائي إنما هو في السنن الكبرى .

وذكره السيوطي ١ : ٣٤٨ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، والبيهقي في الشعب .

وسيأتي بنحوه ، موقوفا على ابن مسعود : ٦١٧١ ، ٦١٧٢ ، ٦١٧٤ ، ٦١٧٦ ، من رواية عطاء ، عن مرة ، عن مسعود . ويأتي موقوفا أيضا : ٦١٧٣ ، من رواية الزهري ، عن عبيد الله ، عن ابن مسعود . و : ٦١٧٥ ، من رواية المسيب بن رافع ، عن عامر بن عبدة ، عن ابن مسعود .

وكأن الترمذي -وتبعه ابن كثير -يريدان الإشارة إلى تعليل هذا الإسناد المرفوع ، برواية الحديث موقوفا . ولكن هذه علة غير قادحة بعد صحة الإسناد . فإن الرفع زيادة من ثقة ، فهي مقبولة .

وأيضا : فإن هذا الحديث مما يعلم بالرأي ، ولا يدخله القياس ، فلا يعلم إلا بالوحي من المعصوم صلى الله عليه وسلم . فالروايات الموقوفة لفظا ، هي مرفوعة حكما .

(٢) الحديث : ٦١٧١ -الحكم بن بشير بن سلمان : مضت ترجمته في : ١٤٩٧ . ووقع اسم جده في المطبوعة هنا"سليمان" ، وهو خطأ .

عمرو : هو ابن قيس الملائي . مضت ترجمته في : ٨٨٦ .

والحديث في معنى ما قبله . وهو هنا موقوف لفظا ، ولكنه مرفوع حكما ، كما ذكرنا . ولكن قول عمرو بن قيس في آخره : "وسمعنا في هذا الحديث أنه كان يقال..." -يكون بلاغا منقطعا في هذا الإسناد ، وأن كان صحيحا في ذاته بالأسانيد الأخر .

(٣) في المطبوعة : "وذلكم بأن الله..." بزيادة واو ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) الحديث : ٦١٧٢ -أبو الأحوص -شيخ عطاء بن السائب : هو عوف بن مالك ابن نضلة ، وهو تابعي ثقة معروف ، وثقه ابن معين وغيره .

وتردد عطاء بن السائب في أنه عن"أبي الأحوص" هذا ، أو عن"مرة الطيب" -لا يؤثر في صحة الحديث ، فأنه انتقال من ثقة إلى ثقة . ولعله مما أخطأ فيه عطاء ، لأن ابن علية بصري ، فيكون ممن سمع منه بعد تغيره . وقد نص على ذلك الدار قطني ، كما في ترجمة عطاء في التهذيب .

ولكن ذكر ابن كثير ٢ : ٤٤ أنه رواه"مسعر ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة ، عن ابن مسعود . فجعله من قوله . فهذا يثبت حفظ رواية عطاء إياه عن أبي الأحوص أيضا . لأن مسعر بن كدام كوفي قديم ، من طبقة شعبة والثوري ، فهو ممن سمع من عطاء قبل تغيره .

ولم يشر ابن كثير إلى شيء من الروايات الموقوفة لهذا الحديث ، إلا إلى رواية مسعر وحده . والروايات الموقوفة بين يديه في الطبري ستة كما ترى .". [1]

٣٧-"٦١٧٣ – حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود في قوله:"الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء"، قال: إن للملك لمة، وللشيطان لمة. **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجدها فليحمد الله؛ **ولمة الشيطان**: إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فمن وجدها فليستعذ بالله. (١) .

٦١٧٤ – حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا حجاج بن المنهال، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني أن ابن مسعود قال: إن للملك لمة، وللشيطان لمة. **فلمة الملك**: إيعاده بالخير وتصديق بالحق، **ولمة الشيطان**: إيعاد بالشر وتكذيب بالحق. (٢) فمن أحس من **لمة الملك** شيئا فليحمد الله عليه، ومن أحس من **لمة الشيطان** شيئا فليتعوذ بالله منه. ثم تلا هذه الآية:"الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم". (٣) .

٦١٧٥ – حدثني المثنى، قال: حدثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن فطر، عن المسيب بن رافع، عن عامر بن عبدة، عن عبد الله، بنحوه. (٤) .

---

(١) الحديث : ٦١٧٣ –وهذا إسناد صحيح آخر للحديث ، من وجه آخر ، يؤيد رواية عطاء بن السائب . وهو وإن كان موقوفا لفظا فهو مرفوع حكما ، كما قلنا من قبل .

(٢) في المطبوعة : "إيعاد بالخير ... إيعاد بالشر" بغير إضافتها إلى الضمير . وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب . وصواب أيضا يقرآ جميعا"إيعادة" ، على معنى المرة من"الإيعاد" .

(٣) الحديث : ٦١٧٤ –وهذا إسناد صحيح . لأن حماد بن سلمة سمع من عطاء قبل تغيره ، كما نص عليه يعقوب بن سفيان وابن الجارود ، في نقل التهذيب عنهما ٧ : ٢٠٧ .

(٤) الحديث : ٦١٧٥ –فطر –بكسر الفاء وسكون الطاء المهملة وآخره راء : هو ابن خليفة الكوفي ، وهو ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وغيرهما .

المسيب بن رافع الكاهلي الكوفي : تابعي ثقة ، مضى في : ١٢٨ .

عامر بن عبدة –بفتح العين المهملة والباء الموحدة –البجلي ، أبو إياس الكوفي : تابعي ثقة ، والكنى للدولابي ١ : ١١٥ ، والمشتبه للذهبي ، ص : ٣٣٩ .

وهذا إسناد ثالث للحديث صحيح ، من وجه آخر ، يؤيد روايات عطاء عن مرة ، وأبي الأحوص عن ابن مسعود ، ورواية

---

(١) تفسير الطبري ٥/٥٧٢

الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن ابن مسعود .". [١]

٣٨-"٦١٧٦ - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن عطاء، عن مرة بن شراحيل، عن عبد الله بن مسعود، قال: إن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فتكذيب بالحق وإيعاد بالشر، وأما **لمة الملك**: فإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله عليه. ومن وجد الأخرى فليستعذ من الشيطان. ثم قرأ:"الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا". (١) .

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ والله واسع عليم (٢٦٨) ﴾

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره:"والله واسع" الفضل الذي يعدكم أن يعطيكموه من فضله وسعة خزائنه= (٢) "عليم" بنفقاتكم وصدقاتكم التي تنفقون وتصدقون بها، يحصيها لكم حتى يجازيكم بها عند مقدمكم عليه في آخرتكم.

* * *

---

(١) الحديث : ٦١٧٦ -وهذا إسناد حسن ، لأن سماع جرير -وهو ابن عبدالحميد الضبي -من عطاء كان بعد تغيره ولكنه يرتفع إلى درجة الصحة بالمتابعات السابقة الصحيحة .

(٢) انظر تفسير"واسع عليم"فيما سلف ٢ : ٥٣٧ /ثم ٥ : ٥١٦ .". [٢]

٣٩-"٣٤١ - قال عبد الرزاق وحدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود ، في قوله تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر (١)) قال : « إن للملك لمة ، وللشيطان لمة ، **فلمة الملك** إيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجدها فليحمد الله ، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر ، وتكذيب الحق ، فمن وجدها فليستعذ بالله »

---

(١) سورة : البقرة آية رقم : ٢٦٨". [٣]

٤٠-"عليه وسلم:" إن للشيطان لمة «١» بابن آدم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان- ثم قرأ- الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء". قال: هذا حديث حسن صحيح «٢». ويجوز في غير القرآن" ويأمركم الفحشاء" بحذف الباء، وأنشد سيبويه:

---

(١) تفسير الطبري ٥/٥٧٤

(٢) تفسير الطبري ٥/٥٧٥

(٣) تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني ١/٣٤٨

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ... فقد تركتك ذا مال وذا نشب

والمغفرة هي الستر على عباده في الدنيا والآخرة. والفضل هو الرزق في الدنيا والتوسعة والنعيم في الآخرة، وبكل قد وعد الله تعالى. الثالثة- ذكر النقاش أن بعض الناس تأنس بهذه الآية في أن الفقر أفضل من الغنى، لأن الشيطان إنما يبعد العبد من الخير، وهو بتخويفه الفقر يبعد منه. قال ابن عطية: وليس في الآية حجة قاطعة بل المعارضة بها قوية. وروي أن في التوراة" عبدي أنفق من رزقي أبسط عليك فضلي فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة". وفي القرآن مصداقه وهو قوله:" وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين «٣» ". ذكره ابن عباس. (والله واسع عليم) تقدم معناه «٤». والمراد هنا أنه سبحانه وتعالى يعطي من سعة ويعلم حيث يضع ذلك، ويعلم الغيب والشهادة. وهما اسمان من أسمائه ذكرناهما في جملة الأسماء في" الكتاب الأسنى" والحمد لله.

[سورة البقرة (٢): آية ٢٦٩]

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب (٢٦٩)

---

(١). اللمة (بفتح اللام): الهمة والخطرة تقع في القلب. أراد إلمام الملك أو الشيطان به والقرب منه، فما كان من خطوات الخير فهو من الملك، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان. (عن نهاية ابن الأثير). [.....]

(٢). كذا في الأصول. والذي في سنن الترمذي:" ... حسن غريب".

(٣). راجع ج ١٤ ص ٣٠٧.

(٤). راجع المسألة الخامسة ج ٢ ص ٨٤". [١]

٤١-"فيه مسألتان: الأولى- قوله تعالى: (لا يفتننكم) أي لا يصرفنكم الشيطان عن الدين، كما فتن أبويكم بالإخراج من الجنة." أب" للمذكر، و" أبة" للمؤنث. فعلى هذا قيل: أبوان (ينزع عنهما لباسهما) في موضع نصب على الحال. ويكون مستأنفا فيوقف على" من الجنة"." ليريهما" نصب بلام كي. (إنه يراكم هو وقبيله) الأصل يرءاكم ثم خففت الهمزة. وقبيله عطف على المضمر وهو توكيد ليحسن العطف كقوله: (اسكن أنت وزوجك الجنة) وهذا يدل على أنه يقبح رأيتك وعمرو، وأن المضمر كالمظهر وفي هذا أيضا دليل على وجوب ستر العورة، لقوله: (ينزع عنهما لباسهما). قال الآخرون: إنما فيه التحذير من زوال النعمة، كما نزل بآدم. هذا أن لو ثبت أن شرع آدم يلزمنا، والأمر بخلاف ذلك. الثانية- قوله تعالى: (إنه يراكم هو وقبيله) " قبيله" جنوده. قال مجاهد: يعني الجن والشياطين. ابن زيد:" قبيله" نسله. وقيل: جيله. من حيث لا ترونهم قال بعض العلماء: في هذا دليل على أن الجن لا يرون، لقوله" من حيث لا ترونهم" قيل: جائز أن يروا، لأن الله تعالى إذا أراد أن يريهم كشف أجسامهم حتى ترى. قال النحاس:" من حيث لا ترونهم" يدل على أن الجن لا يرون

---

(١) تفسير القرطبي ٣/٣٢٩

إلا في وقت نبي، ليكون ذلك دلالة على نبوته، لأن الله جل وعز خلقهم خلقا لا يرون فيه، وإنما يرون إذا نقلوا عن صورهم. وذلك من المعجزات التي لا تكون إلا في وقت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. قال القشيري: أجرى الله العادة بأن بني آدم لا يرون الشياطين اليوم. وفي الخبر (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم). وقال تعالى:" الذي يوسوس في صدور الناس «١» ". وقال عليه السلام: (إن للملك لمة وللشيطان لمة- أي بالقلب- فأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق وأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق (. وقد تقدم

---

(١). راجع ج ٢٠ ص ٢٦٣.". [1]

٤٢-"عليه وسلم: " إن للشيطان لمة (١) بابن آدم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان - ثم قرأ - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ".

قال: هذا حديث حسن صحيح (٢).

ويجوز في غير القرآن " ويأمركم الفحشاء " بحذف الباء، وأنشد سيبويه: أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نشب والمغفرة هي الستر على عباده في الدنيا والآخرة.

والفضل هو الرزق في الدنيا والتوسعة والنعيم في الآخرة، وبكل قد وعد الله تعالى.

الثالثة - ذكر النقاش أن بعض الناس تأنس بهذه الآية في أن الفقر أفضل من الغنى، لان الشيطان إنما يبعد العبد من الخير، وهو بتخويفه الفقر يبعد منه.

قال ابن عطية:

وليس في الآية حجة قاطعة بل المعارضة بها قوية.

وروى أن في التوراة " عبد ى أنفق من رزقي أبسط عليك فضلى فإن يدى مبسوطة على كل يد مبسوطة ".

وفى القرآن مصداقه وهو قوله: " وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين (٣) ".

ذكره ابن عباس.

(والله واسع عليم) تقدم معناه (٤).

والمراد هنا أنه سبحانه وتعالى يعطى من سعة ويعلم حيث يضع ذلك، ويعلم الغيب والشهادة.

وهما اسمان من أسمائه ذكرناها في جملة الاسماء في " الكتاب الاسنى " والحمد لله.

قوله تعالى: يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلآ أولوا الالبب (٢٦٩)

---

(١) تفسير القرطبي ١٨٦/٧

(١) اللمة (بفتح اللام): الهمة والخطرة تقع في القلب.
أراد إلمام الملك أو الشيطان به والقرب منه، فما كان من خطوات الخير فهو من الملك، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان.
(عن نهاية ابن الاثير).
(٢) كذا في الاصول.
والذى في سنن الترمذي: "...حسن غريب ".
(٣) راجع ج ١٤ ص ٣٠٧ (٤) راجع المسألة الخامسة ج ٢ ص ٨٤". [(١)]

٤٣-"فيه مسألتان: الأولى - قوله تعالى: (لا يفتننكم) أي لا يصرفنكم الشيطان عن الدين، كما فتن أبويكم بالإخراج من الجنة.
" أب " للمذكر، و " أبة " للمؤنث.
فعلى هذا قيل: أبوان (ينزع عنهما لباسهما) في موضع نصب على الحال.
ويكون مستأنفا فيوقف على " من الجنة ".
" ليريهما " نصب بلام كي.
(إنه يراكم هو وقبيله) الأصل يرءاكم ثم خففت الهمزة.
وقبيله عطف على المضمر وهو توكيد ليحسن العطف كقوله: (اسكن أنت وزوجك الجنة) وهذا يدل على أنه يقبح رأيتك وعمرو، وأن المضمر كالمظهر وفي هذا أيضا دليل على وجوب ستر العورة، لقوله: (ينزع عنهما لباسهما).
قال الآخرون: إنما فيه التحذير من زوال النعمة، كما نزل بآدم.
هذا أن لو ثبت أن شرع آدم يلزمنا، والأمر بخلاف ذلك.
الثانية - قوله تعالى: (إنه يراكم هو وقبيله) " قبيله " جنوده.
قال مجاهد: يعني الجن والشياطين.
ابن زيد: " قبيله " نسله.
وقيل: جيله.
من حيث لا ترونهم قال بعض العلماء: في هذا دليل على أن الجن لا يرون، لقوله " من حيث لا ترونهم " قيل: جائز أن يروا، لأن الله تعالى إذا أراد أن يريهم كشف أجسامهم حتى ترى.
قال النحاس: " من حيث لا ترونهم " يدل على أن الجن لا يرون إلا في وقت نبي، ليكون ذلك دلالة على نبوته، لأن الله جل وعز خلقهم خلقا لا يرون فيه، وإنما يرون إذا نقلوا عن صورهم.

---

(١) تفسير القرطبي ٣٢٩/٣

وذلك من المعجزات التي لا تكون إلا في وقت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

قال القشيري: أجرى الله العادة بأن بني آدم لا يرون الشياطين اليوم.

وفي الخبر (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم).

وقال تعالى: " الذي يوسوس في صدور

الناس (١) ".

وقال عليه السلام: (إن للملك لمة وللشيطان لمة – أي بالقلب – فأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق وأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق).

وقد تقدم

(١) راجع ج ٢٠ ص ٢٦٣.

(*)".[1]

٤٤-"إنما يأمركم بالسوء والفحشاء السوء في الأصل اسم لما يسوء صاحبه يقول ساءه يسوءه سواء ومساءة أى أحزنه وسأته فسيء أى حزنته فحزن – والفحشاء مصدر على وزن بأساء وضراء والمراد بهما الإثم والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء لاستقباحه إياه وقيل السوء مطلق المعصية والفحشاء الكبيرة أو ما فيه حد – والمراد بامره وسوسته وذالا يقتضى سلطانه الا على من اتبعه من الغاوين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس فادناهم منه منزلة أعظم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا – ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت – رواه مسلم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما **لمة الشيطان** فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما **لمة الملك** فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء – رواه الترمذي وفى حديث ابن عباس قوله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي رد امره إلى الوسوسة – رواه أبو داود – وأن تقولوا في موضع الجر عطفا على السوء على الله ما لا تعلمون (١٦٩) من تحريم الحرث والانعام – .

وإذا قيل لهم أى لليهود اتبعوا ما أنزل الله قصة مستانفة والضمير عن غير مذكور – أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى

(١) في الأصل طروقه

(١) تفسير القرطبي ١٨٦/٧

التفسير المظهري ج ١ ، ص : ١٦٦". [١]

٤٥-"لا بعث ولا عذاب وطول الحيوة وادراك الاخرة مع ارتكاب المعاصي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم متفق عليه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما **لمة الشيطان** فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما **لمة الملك** فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليستعذ بالله من الشيطان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء رواه الترمذي وقال حديث غريب ولآمرنهم فليبتكن البتك القطع والشق والتبتيك للتكثير والتكرير أى ليقطعن ويشققن آذان الأنعام وهى عبارة عما كانت تفعل بالبحائر قال قتادة والسدى كانوا يبتكون آذانها لطواغيتهم قال فى القاموس البحر الشق وشق الاذن ومنه البحيرة كانوا إذا أنتجت الناقة عشرة ابطن بحروها أى شقوا اذنها وتركوها ترعى وحرموا لحمها إذا ماتت على نسائهم وأكلها الرجال وفيه اشارة إلى تحريم كل ما أحل الله وتنقيص كل ما خلق كاملا بالفعل أو بالقوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة « ١ » أو صفة « ٢ » ويندرج فيه فقوعين الحامى وخصاء العبيد والوشيم « ٣ » والوشير « ٤ » والمثلة واللواطة والسحق وعبادة الشمس والقمر والحجارة لانها ما وضعت لها واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا وتغيير فطرة الله التي هى الإسلام ، عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهود انه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء « ٥ » هل تحسون فيها من جدعاء « ٦ » ثم يقول فطرت الله

)". [٢]

٤٦-"مسئلة دية مسلم لم يهاجر ومسلم ليس له وارث مسلم - ١٩٢ مسئلة مقدار دية الكافر - ١٩٣ مسئلة الكفارة بالصوم - ١٩٥ مسئلة شبه العمد فى الإثم كالعمد ١٩٦ مسئلة هل تقبل توبة القاتل عمدا - ١٩٦ مسئلة مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مخلد فى النار ١٩٧ فصل فيما ورد فى القاتل عمدا - ١٩٨ قوله تعالى إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ١٩٩ مسئلة المجتهد قد يخطئ وخطاؤه مغفور ويجب عليه التثبت والتبيين - ٢٠١ مسئلة إذا راى الغزاة فى قرية شعار الإسلام كفوا عنه - ٢٠١ ما ورد فى فضل المجاهدين على القاعدين من غير عذر والقاعدين بعذر - ٢٠٢ قد يبلغ القاعد بعذر درجة المجاهد - ٢٠٢ مسئلة حرمة الفرار عند التقاء الصفين - ٢٠٤ مسئلة يشترط للجهاد الزاد والراحلة - ٢٠٤ مسئلة إذا هجم العدو يكون الجهاد فرض عين - ٢٠٤ حديث حضور ملائكة الرحمة للمؤمن وملائكة العذاب للكافر عند الموت - ٢٠٦ مسئلة الهجرة من دار الكفر على من قدر عليها فريضة محكمة ٢٠٧ مسئلة يجب الهجرة على

---

(١) تفسير المظهرى ص/٣٠٤

(٢) تفسير المظهرى ص/١٦٦٦

العبد بغير اذن سيده – ٢٠٩ حديث من خرج إلينا من العبيد فهو حر – ٢٠٩ مسائل قصر الصلاة فى السفر من غير خوف مسائل صلوة الخوف وانحائها – ٢١٨ مسئلة الواجب التشبث بالأسباب والمحافظة على التيقظ والتدبر فى الجهاد مع التوكل على الله تعالى ٢٢٤ حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه والظاهر ان المراد به دوام الحضور – ٢٢٤ مسئلة اوقات الصلاة – ٢٢٥ قصة سرقة طعمة بن أبيرق من مشربة رفاعة بن زيد – ٢٢٩ مسئلة حجية الإجماع وحرمة مخالفته – ٢٣٦ حديث الدعاء هو العبادة – ٢٣٧ ما ورد فى الوسوسة وان الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم – وفى لمة الشيطان ولمة الملك – ٢٣٨ حديث ما من مولود الا يولد على الفطرة ٢٣٩ حديث قدسى انا اغنى الشركاء من الشرك – ٢٤٠ حديث بايعونى على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا إلخ – ٢٤١ ما ورد فى ان المؤمنين يجزون فى الدنيا بذنوبهم حتى". (١)

٤٧–"ففيه تحريض الآمر بالامور المذكورة على فعلها ﴿ ابتغاء مرضاة الله ﴾ اى طلب رضى الله تعالى علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به غير الحرمان : قال السعدى

كرت بيخ اخلاص در بوم نيست ... ازين دركسى جون تو محروم نيست

زعمرو اى بسر جشم اجرت مدار ... جو در خانه زيد باشى بكار

﴿ فسوف نؤتيه اجرا عظيما ﴾ يقصر عنه الوصف ويستحقر دونه ما فات من اعراض الدنيا ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق الآخر ﴿ من بعد ما تبين له الهدئ ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ اى غير ما هم مستمرون عليه من اعتقاد وعمل وهو الدين القيم ﴿ نوله ما تولى ﴾ اى نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلى بينه وبين ما اختار ﴿ ونصله جهنم ﴾ اى ندخله فيها ﴿ وساءت مصيرا ﴾ اى جهنم روى ان طعمة عاند حكم الله وخالف رسول الله خوفا من فضاحة قطع اليد فهرب الى مكة واتبع دين اهلها ومات كافرا فعلى العاقل ان لا يخالف الجماعة وهم المؤمنون فان الشاة الخارجة عن القطيع يأكلها الذئب وسبيل المؤمنين هو السبيل الحق الموصل الى الجنة والقربة والوصلة واللقاء

والاشارة انه ﴿ لا خير فى كثير من نجواهم ﴾ اى الذين يتناجون من النفس والشيطان والهوى لانهم شرار ولا فيما يتناجون به لانهم يأمرون بالسوء والفحشاء والمنكر ثم استثنى وقال ﴿ الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ﴾ اى الا فيمن امر بهذه الخيرات فان فيه الخير وهو الله تعالى فانه يأمر بالخيرات بالوحى عموما او يأمر بالخاطر الرحمانى والالهام الربانى خواص عباده فالخاطر يكون بواسطة الملك وبغير الواسطة كما قال عليه السلام « ان للملك لمة وان للشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير ولمة الشيطان ايعاد بالشر » والالهام ما يكون من الله تعالى بغير الواسطة وهو على ضربين . ضرب منه ما لا شعور به للعبد انه من الله . وضرب منه ما يكون باشارة صريحة يعلم العبد انه آت من الله تعالى لتعليم نور الالهام وتعريفه لا يحتاج الى معرفة آخر انه من الله تعالى وهذا يكون للولى وغير الولى كما قال بعض المشايخ حدثنى

---

(١) تفسير المظهرى ص/١٧٦٠

قلبي عن ربي وقال عليه السلام « ان الحق لينطق على لسان عمر » وقال « كادت فراسته ان تسبق الوحى » ثم قال ﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ﴾ اى ومن يفعل بما الهمه الله طلبا لمرضاته ﴿ فسوف نؤتيه اجرا عظيما ﴾ ذكر بفاء التعقيب قوله فسوف يعنى عقيب الفعل نؤتيه اجرا وهو جذبة العناية التى تجذبه عنه وتوصله الى العظيم ثم قال ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ اى يخالف الالهام الربانى الذى هو رسول الحق اليه ﴿ من بعد ما تبين له الهدى ﴾ بتعريف الالهام ونوره ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ الموقنين بالالهام بان يتبع الهوى وتسويل النفس وسبيل الشيطان ﴿ نوله ما تولى ﴾ اى نكله بالخذلان الى ما تولى ﴿ ونصله ﴾ بسلاسل معاملاته التى تولى بها الى ﴿ جهنم ﴾ سفليات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ﴿ وساءت مصيرا ﴾ اى ما صار اليه من عبادة الهوى واتباع النفس والشيطان واشراكهم بالله فى المطاوعة كذا فى التأويلات النجمية". [١]

٤٨-"« ان للشيطان وللملك لمة **فلمة الشيطان** الوسوسة **ولمة الملك** الالهام » وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه ا لا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ولم يثبت عليها فان الله يقبل توبته ويؤده قوله عليه السلام « ان تغفر اللهم فاغفر جما واى عبد لك لا الما » فالاستثناء على هذا متصل وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما رأيت اشبه باللمم مما نقله ابو هريرة رضى الله عن رسول الله عليه السلام « ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى فزنى العينين النظر وزنى اللسان النطق وزنى الشفتين القبلة وزنى اليدين البطش وزنى الرجلين المشى والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك كله او يكذبه فان تقدم فرجه كان زانيا والا فهو اللمم » وفى الاسئلة المقحمة الذنوب كلها كبائر على الحقيقة لان الكل تتضمن مخالفة امر الله تعالى لكن بعضها اكبر من بعض عند الاضافة ولا كبيرة اعظم من الشرك واما اللمم فهو من جملة الكبائر والفواحش ايضا الا ان الله تعالى أراد باللمم الفاحشة التى يتوب عنها مرتكبها ومجترحها وهو قول مجاهد والحسن وجماعة من الصحابة منهم ابو هريرة رضى الله عنه ﴿ ان ربك واسع المغفرة ﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه من حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية

وفى التأويلات النجمية كبائر الاثم ثلاث مراتب محبة النفس الامارة بالسوء ومحبة الهوى النافخ فى نيران النفس ومحبة الدنيا التى هى رأس كل خطيئة ولكل واحدة من هذه المحبات الثلاث فاحشة لازمة غير منفكة عنها اما فاحشة محبة النفس الامارة بالسوء فماوفقة الطبيعة ومخالفة الشريعة واما فاحشة محبة الهوى فحب الدنيا وشهواتها واما فاحشة محبة الدنيا فالاعراض عن الله والاقبال على ماسواه قوله الا اللمم اى الميل اليسير الى النفس والهوى والدنيا بحسب الضرورة البشرية من استراحة البدن ونيل قليل من حظوظ الدنيا بحسب الحقوق لابحسب الحظوظ فان مباشر الحقوق مغفور ومبادر الحظوظ مغرور كما قال ان ربك واسع المغفرة ومن سعة غفرانه ستر ظلمة الوجود المجازى بنور الوجود الحقيقى بالفناء عن ناسوتيته والبقاء بلا هوتيته انتهى قال بعض الكبار من استرقه الكون بحكم مشروع كالسعى فى مصالح العباد والشكر لاحد من المخلوقين من جهة نعمة اسداها اليه فهو لم يبرح عن عبوديته لله تعالى لانه فى اداء واجب اوجبه الحق عليه واما تعبد العبد

---

(١) تفسير حقي ٩١/٣

فمخلوق عن امر الله لايقدح فى العبودية بخلاف من استرقه الكون لغرض نفسى ليس للحق فيه رآئحة ا مر فان ذلك يقدح فى عبوديته لله تعالى ويجب عليه الرجوع الى الحق تعالى وقال بعض العارفين من المحال ان يأتى مؤمن معصية توعد ا لله عليها بالعقوبة فيفرغ منها الا ويجد فى نفسه الندم على وقوعها منه وقد قال A". (١)

٤٩-"إما جسمانية كإعطاء المال وإليه الإشارة بقوله عز وجل : ﴿إلا من أمر بصدقة﴾ .

وإما روحانية وإليه الإشارة بقوله : ﴿أو معروف﴾ .

وأما دفع الضرر فقد أشير إليه بقوله : ﴿أو إصلاحا بين الناس﴾ ﴿ومن يفعل ذالك﴾ إشارة إلى الأمور المذكورة أعني الصدقة والمعروف والإصلاح فإنه يشار به إلى متعدد وإنما بنى الكلام على الأمر حيث قال أولا إلا من أمر فهو كلام في حق الآمر بالفعل ورتب الجزاء على الفعل حيث قال : ومن يفعل فهو كلام في حق الفاعل وكان المناسب للأول أن يبين حكم الآمر ويقول ومن يأمر بذلك ليدل على أنه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم وأن العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الأمر من حيث أنه وصلة إليه.

ففي تحريض الآمر بالأمور المذكورة على فعلها ﴿ابتغآء مرضات الله﴾ أي : طلب رضى الله تعالى علة للفعل والتقييد به لأن الأعمال بالنيات وأن من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به غير الحرمان.

قال السعدي :

كرت بيخ إخلاص در بوم نيست

ازين دركسي ون تو محروم نيست

زعمرو اي سر شم اجرت مدار

و در خانه زيد باشي بكار

﴿فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ يقصر عنه الوصف ويستحقر دونه ما فات من أعراض الدنيا ﴿ومن يشاقق الرسول﴾ يخالفه من الشق فإن كلا من المخالفين في شق غير شق الآخر ﴿منا بعد ما تبين له الهدى﴾ ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته

٢٨٤

﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ أي غير ما هم مستمرون عليه من اعتقاد وعمل وهو الدين القيم ﴿نوله ما تولى﴾ أي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بأن نخلي بينه وبين ما اختار ﴿ونصله جهنم﴾ أي ندخله فيها ﴿وسآءت مصيرا﴾ أي : جهنم.

. روي . أن طعمة عاند حكم الله وخالف رسول الله خوفا من فضاحة قطع اليد فهرب إلى مكة واتبع دين أهلها ومات كافرا فعلى العاقل أن لا يخالف الجماعة وهم المؤمنون فإن الشاة الخارجة عن القطيع يأكلها الذئب وسبيل المؤمنين هو

---

(١) تفسير حقي ٣٣٥/١٤

السبيل الحق الموصل إلى الجنة والقربة والوصلة واللقاء.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٨٢

والإشارة أنه ﴿لا خير فى كثير من نجواهم﴾ أي الذين يتناجون من النفس والشيطان والهوى لأنهم شرار ولا فيما يتناجون به لأنهم يأمرون بالسوء والفحشاء والمنكر ثم استثنى وقال ﴿إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاحا بين الناس﴾ أي إلا فيمن أمر بهذه الخيرات فإن فيه الخير وهو الله تعالى فإنه يأمر بالخيرات بالوحي عموما أو يأمر بالخاطر الرحماني والإلهام الرباني خواص عباده فالخاطر يكون بواسطة الملك وبغير الواسطة كما قال عليه السلام : "إن للملك لمة وإن للشيطان لمة **فلمة الملك** إيعاد بالخير **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر" والإلهام ما يكون من الله تعالى بغير الواسطة وهو على ضربين.

ضرب منه ما لا شعور به للعبد أنه من الله.

وضرب منه ما يكون بإشارة صريحة يعلم العبد أنه آت من الله تعالى لتعليم نور الإلهام وتعريفه لا يحتاج إلى معرفة آخر أنه من الله تعالى وهذا يكون للولي وغير الولي كما قال بعض المشايخ حدثني قلبي عن ربي وقال عليه السلام : "إن الحق لينطق على لسان عمر" وقال : "كادت فراسته أن تسبق الوحي" ثم قال : ﴿ومن يفعل ذالك ابتغآء مرضات الله﴾ أي : ومن يفعل بما ألهمه الله طلبا لمرضاته ﴿فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ ذكر بفاء التعقيب قوله فسوف يعني عقيب الفعل نؤتيه أجرا وهو جذبة العناية التي تجذبه عنه وتوصله إلى العظيم ثم قال : ﴿ومن يشاقق الرسول﴾ أي : يخالف الإلهام الرباني الذي هو رسول الحق إليه ﴿منا بعد ما تبين له الهدى﴾ بتعريف الإلهام ونوره ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ الموقنين بالإلهام بأن يتبع الهوى وتسويل النفس وسبيل الشيطان ﴿نوله ما تولى﴾ أي : نكله بالخذلان إلى ما تولى ﴿ونصله﴾ بسلاسل معاملاته التي تولى بها إلى ﴿جهنم﴾ سفليات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ﴿وسآءت مصيرا﴾ أي ما صار إليه من عبادة الهوى واتباع النفس والشيطان وإشراكهم بالله في المطاوعة كذا في "التأويلات النجمية".

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٨٢

". (١)

٥٠-"جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٠٨

يقول الفقير : الاجتناب من باب التخلية بالمعجمة وهي أقدم فلذا جعلت مقصودة بالنسبة وصيغة الاستقبال في صلته دون صلة الموصوف أو المبدل منه للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره يعني للإشعار بأن ترك المعصية سوء كانت بارتكاب المحرمات أو بترك الواجبات ينبغي أن يستمر عليه المؤمن ويجعل الاجتناب عنها دأبا له وعادة حتى يستحق المثوبة الحسنى فإن من اجتنب عنها مرة وانهمك عليها في باقي الأزمان لا يستحقها بخلاف الحسنات المتطوع بها فإن من أتى بها ولو مرة يؤجر عليها وكبائر

٢٤١

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٢٢٧/٢

الإثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه كالشرك والزنى مطلقا خصوصا بحليلة جاره وقتل النفس مطلقا لا سيما الأولاد وهي الموؤودة وقال ابن جبير : هي ما لا يستغفر منه لقوله عليه السلام : لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار وفي الحديث : إياكم والمحقرات من الذنوب قال ابن عباس رضي الله عنهما : هي إلى سبعين أقرب وتمام التفصيل سبق في حمعسق في نظر الآية ﴿والفواحش﴾ وما فحش من الكبائر خصوصا الزنى والقتل بغير حق وغيرهما فهو من قبيل التخصيص بعد التعميم قال الراغب : الفحش والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال ﴿إلا اللمم﴾ اللمم مقاربة المعصية ويعبر به عن الصغيرة من قولك الممت بكذا أي نزلت به وقاربته من غير مواقعة وألم الغلام قارب البلوغ والاستثناء منقطع لأن المراد باللمم الصغائر وهي لا تدخل في الكبائر والمعنى إلا ما قل وصغر فإنه مغفور ممن يجتنب الكبائر يعني أن الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر قال تعالى : إن الحسنات يذهبن السيئات وقال : إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقيل : هي النظر بلا تعمد فإن أعاد النظر فليس بلمم وهو مذنب والغمزة والقبلة كما روى أن نبهان التمار أتته امرأة لتشتري التمر فقال لها : ادخلي الحانوت فعانقها وقبلها فقالت المرأة : خنت أخاك ولم تصب حاجتك فندم وذهب إلى رسول الله عليه السلام فنزلت وقيل : هي الخطرة من الذنب أي ما خطره من الذنب على القلب بلا عزم.

وازقوت بفعل نيايد.

وقيل : كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقال بعضهم : اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا إقامة عليه قال محمد بن الحنفية : كل ما هممت به من خير وشر فهو لمم دليله قوله عليه السلام : إن للشيطان وللملك لمة فلمة الشيطان الوسوسة ولمة الملك الإلهام وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه إلا أن يلمم بالفاحشة مرة ثم يتوب ولم يثبت عليها فإن الله يقبل توبته ويؤيده قوله عليه السلام أن تغفر اللهم فاغفر جما واي عبد لك لا الما فالاستثناء على هذا متصل وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما نقله أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله عليه السلام : إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى فزنى العينين النظر وزنى الشفتين القبلة وزنى اليدين البطش وزنى الرجلين المشي والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه فإن تقدم فرجه كان زانيا وإلا فهو اللمم وفي الأسئلة المقحمة الذنوب كلها كبائر على الحقيقة لأن الكل تتضمن مخالفة أمر الله تعالى لكن بعضها أكبر من بعض عند الإضافة ولا كبيرة أعظم من الشرك وأما اللمم فهو من جملة الكبائر والفواحش أيضا إلا أن الله تعالى أراد باللمم الفاحشة التي يتوب عنها مرتكبها ومجترحها وهو قول مجاهد والحسن وجماعة من الصحابة منهم أبو هريرة رضي الله عنه

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٠٨

﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على أن إخراجه من حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية.

وفي التأويلات النجمية : كبائر الإثم ثلاث مراتب : محبة النفس الأمارة بالسوء ومحبة لهوى النافخ في نيران

٢٤٢

". (١)

٥١-"عاقبة اتباع خطوات الشيطان

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ [النور:٢١] هذا هو المقطع الثاني من الآية الكريمة، بين الله تبارك وتعالى فيه عاقبة من اتبع سبيل الشيطان، وأطاعه في اتباع تلك الخطوات، بين العاقبة التي ينتهي إليها في الدنيا، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ [النور:٢١].

(فإنه) أي: الشيطان.

(يأمر بالفحشاء) وهي: جمع فاحشة، والفحشاء: المراد بها الفاحشة، وقد تطلق على القول الذي لا يحبه الله تبارك وتعالى، وقد تطلق على الفعل: فمن إطلاقها على الفعل: قوله تعالى: ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة ﴾ [الإسراء:٣٢] فأخبر سبحانه وتعالى أن الزنا فاحشة مع أن الزنا فعل من الأفعال، فهذا من إطلاق لفظ: (الفاحشة) على الفعل.

ومن إطلاق الفاحشة على القول: قول عائشة رضي الله عنها: (إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا) صلوات الله وسلامه عليه، أي: ما كان ليقول أو يفعل ما لا خير فيه.

وقوله تعالى (والمنكر): المنكر ضد المعروف، وهو ما أنكره الله تبارك وتعالى في كتابه، وأنكره رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، والمنكر وصف بذلك لما فيه من النكارة وهي كل ما لا يحبه الله ويرضاه فإذا فعل العبد ما حرم الله عليه فإنه قد أصاب منكرا؛ لأنه من أعظم ما يكون جريمة أن يعصي العبد ربه، فبمعصيته لمن خلقه ورزقه، وأطعمه وكساه كان بذلك مرتكبا لأمر منكر لا يحبه الله ولا يرضاه.

يقول الله تعالى: (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه) أي: الشيطان.

أما الفائدة الثانية: أن الآية فيها منهج تربوي لمن أراد أن يعلم أو يربي غيره، ذلك أن الله تبارك وتعالى نهى العباد عن متابعة الشيطان، وذكر عاقبة من اتبع الشيطان، قال بعض العلماء: ذكر عاقبة من اتبع الشيطان أبلغ في زجر الناس عن متابعة الشيطان، بمعنى إذا أراد الإنسان أن ينهى صبيا أو يعلم جاهلا فإنه ينبغي له أن يجمع في النهي بين أمرين: الأمر الأول: أن يحدد له الشيء الذي ينهاه عنه.

والأمر الثاني: أن يبين له عاقبة الشيء الذي نهاه عنه.

فذلك أبلغ في التربية والتوجيه والتعليم.

وقد اشتملت الآية الكريمة على كلا الأمرين، فحذرنا الله تبارك وتعالى عن اتباع سبيل الشيطان، وأخبرنا عن العاقبة التي ينتهي إليها كل من اتبعه وسار على نهجه وارتضاه، فقال: (فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) هذا الأمر الذي يوجهه الشيطان إلى الإنسان إنما يوجهه بالوسوسة، فهي سبيل الشيطان للإنسان، ولذلك إذا وقف الإنسان أمام معصية من المعاصي وجد في نفسه دعوة تدعوه إلى تلك المعصية، وهي **لمة الشيطان** والعياذ بالله، ووجد في نفسه ما يزجره عن فعل

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٩/١٩٨

تلك المعصية وهي لمة الخير التي جعلها الله عز وجل للملك، ولذلك يعيش الإنسان بين اللمتين: منهما: **لمة الشيطان** كما بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: (فإن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان**: فتسويف بالخير و إيعاد بالشر، وأما **لمة الملك**: فنهي عن الشر وإيعاد بالخير)، فهاتان لمتان موجودتان في الإنسان.

وبناء على ذلك: فكل ما يجده الإنسان في نفسه من الدعوة إلى الحرام ينبغي أن يعلم أنه من الشيطان، وعلاج ذلك بينه الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ [فصلت:٣٦] فمن أراد أن ينجو من هذه الأوامر التي يسولها الشيطان لأوليائه، فما عليه إلا أن يستعيذ بالله عز وجل، فإنه نعم المولى ونعم النصير.". (١)

٥٢–"قال قتادة : ؟ ولا تيمموا ؟ ، لا تعمدوا . وعن البراء : ؟ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ؟ يقول : لو كان لرجل على رجل فأعطاه ذلك لم يأخذه ، إلا أنه يرى أنه قد نقصه من حقه . وعن ابن سيرين قال : سألت عبيدة عن هذه الآية ؟ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه ؟ . فقال عبيدة : إنما هذا في الواجب ، ولا بأس أن يتطوع الرجل بالتمرة ، والدرهم الزائف خير من التمرة .

وقوله تعالى : ؟ واعلموا أن الله غني حميد ؟ ، أي : غني عن صدقاتكم ، حميد : بقبولها منكم ، وإثباتكم على أعمالكم ، وهو المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره .

قوله عز وجل : ؟ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (٢٦٨) ؟ .

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « إن للشيطان لمة من ابن آدم ، وللملك لمة ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان » ثم قرأ : « ؟ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ؟ » . رواه ابن جرير وغيره .

قوله عز وجل : ؟ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب (٢٦٩) ؟ .

قال قتادة : الحكمة : القرآن ، والفقه في القرآن .". (٢)

٥٣–"وعن عبد الله بن مغفل في هذه الآية ﴿ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ قال : (كسب المسلم لا يكون خبيثا ، ولكن لا يصدق بالحشف والدرهم الزيف وما لا خير فيه) ، وقال الإمام أحمد عن عائشة قالت : « أتي رسول الله A بضب فلم يأكله ولم ينه عنه قلت : يا رسول الله نطعمه المساكين؟ قال : » لا تطعموهم مما لا تأكلون « وعن البراء

---

(١) تفسير سورة النور ٣/٦

(٢) توفيق الرحمن / فيصل آل مبارك ٣١٠/١

﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ يقول : لو كان لرجل على رجل فأعطاه ذلك لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه؟ ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ يقول : لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم ، وحقي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه؟

وقوله تعالى : ﴿ واعلموا أن الله غني حميد ﴾ أي وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها فهو غني عنها ، وما ذلك إلا أن يساوي الغني الفقير ، كقوله : ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دمآؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ [الحج : ٣٧] وهو غني عن جميع خلقه ، وجميع خلقه فقراء إليه . وهو واسع الفضل لا ينفذ ما لديه ، فمن تصدق بصدقة من كسب طيب فليعلم أن الله غني واسع العطاء كريم؛ جواد وسيجزيه بها ويضاعفها له أضعافا كثيرة ، من يقرض غير عديم ولا ظلوم ، وهو الحميد : أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ، لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشآء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ ، قال ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله A : » إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما **لمة الملك** بإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان « ثم قرأ : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشآء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾ الآية . ومعنى قوله تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ﴾ أي يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله ، ﴿ ويأمركم بالفحشآء ﴾ : أي مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق ، يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق ، قال تعالى : ﴿ والله يعدكم مغفرة منه ﴾ أي في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء ، ﴿ وفضلا ﴾ أي في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر ﴿ والله واسع عليم ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشآء ﴾ ، قال ابن عباس : يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخرة وحلاله وحرامه وأمثاله .". (١)

٥٤-"قال ابن عباس : في هذه الآية اثنتان من الله تعالى واثنتان من الشيطان.

وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " قال : هذا حديث حسن صحيح.

ويجوز في غير القرآن "ويأمركم الفحشاء" بحذف الباء ؛ وأنشد سيبويه :

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به . . .

---

(١) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ص/٢٩٩

فقد تركتك ذا مال وذا نشب. أ هـ ﴿تفسير القرطبي حـ ٣ صـ ٣٢٨ . ٣٢٩﴾

وقال ابن عاشور :

ومعنى ﴿يعدكم﴾ يسول لكم وقوعه في المستقبل إذا أنفقتم خيار أموالكم ، وذلك بما يلقيه في قلوب الذين تخلقوا بالأخلاق الشيطانية.

وسمي الإخبار بحصول أمر في المستقبل وعدا مجازا لأن الوعد إخبار بحصول شيء في المستقبل من جهة المخبر ، ولذلك يقال : أنجز فلان وعده أو أخلف وعده ، ولا يقولون أنجز خبره ، ويقولون صدق خبره وصدق وعده ، فالوعد أخص من الخبر ، وبذلك يؤذن كلام أئمة اللغة.

فشبه إلقاء الشيطان في نفوسهم توقع الفقر بوعد منه بحصوله لا محالة ، ووجه الشبه ما في الوعد من معنى التحقق ، وحسن هذا المجاز هنا مشاكلته لقوله : ﴿والله يعدكم مغفرة﴾ فإنه وعد حقيقي.

ثم إن كان الوعد يطلق على التعهد بالخير والشر كما هو كلام "القاموس" تبعا لفصيح ثعلب ففي قوله يعدكم الفقر مجاز واحد ، وإن كان خاصا بالخير كما هو قول الزمخشري في الأساس ، ففي قوله : ﴿يعدكم الفقر﴾ مجازان. أ هـ ﴿التحرير والتنوير حـ ٣ صـ ٥٩﴾

فائدة

قال أبو السعود : ". (١)

٥٥-"الإرهاص في المشهور أن يتقدم على دعوى النبوة ما يشبه المعجزة كإظلال الغمام لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم الحجر معه ، وهذا بظاهره يقتضي وقوع الخارق على يد النبي صلى الله عليه وسلم لكن قبل أن ينبأ لا على يد غيره كما فيما نحن فيه ، ويمكن أن يدفع بالعناية ؛ وأورد على الثاني بأنه بعيد جدا إذ لم يقع الكلام مع زكريا عليه السلام ولم يقترن ذلك بالتحدي أيضا فكيف يكون معجزة له ، واستدل بهذه الآية من ذهب إلى نبوة مريم لأن تكليم الملائكة يقتضيها ، ومنعه اللقاني بأن الملائكة قد كلموا من ليس بنبي إجماعا فقد روي أنهم كلموا رجلا خرج لزيارة أخ له في الله تعالى وأخبروه أن الله سبحانه يحبه كحبه لأخبه فيه ولم يقل أحد بنبوته ، وادعى أن من توهم أن النبوة مجرد الوحي **ومكالمة الملك** فقد حاد عن الصواب.

ومن الناس من استدل على عدم استنباء النساء بالإجماع وبقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالا ﴾ [الأنبياء : ٧] ولا يخفى ما فيه ، أما أولا : فلأن حكاية الإجماع في غاية الغرابة فإن الخلاف في نبوة نسوة كحواء ، وآسية ، وأم موسى ، وسارة ، وهاجر ، ومريم موجود خصوصا مريم فإن القول بنبوتها شهير ، بل مال الشيخ تقي الدين السبكي في "الحلبيات" ، وابن السيد إلى ترجيحه ، وذكر أن ذكرها مع الأنبياء في سورتهم قرينة قوية لذلك. وأما ثانيا : فلأن الاستدلال بالآية لا يصح لأن المذكور فيها الإرسال وهو أخص من الاستنباء على الصحيح المشهور ، ولا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم

---

(١) جامع لطائف التفسير ١١٥/٩

فافهم.". (١)

٥٦-" انتهى وهو قريب مما ذكرته ولعل ما ذكرته على ضعفي أولى منه وباب التأويل واسع وبطون كلام الله تعالى لا تحصى وإذ قالت الملكة تتمة لشرح أحكام اصطفاء آل عمران ووقعت قصة زكريا ويحيى عليهما السلام في البين لما فيها مما يؤكد ذلك الاصطفاء وإذ في المشهور منصوب باذكر والجملة معطوفة على الجملة السابقة عطف القصة على القصة وبينهما كمال المناسبة لان تلك مسوقة أولا وبالذات لشرح حال الأم وهذه لشرح حال البنت والمراد من الملائكة رئيسهم جبريل عليه السلام والكلام هنا كالكلام فيما تقدم وجوز أبو البقاء كون الظرف معطوفا على الظرف السابق وناصبه والاول أولى والمراد اذكر أيضا من شواهد اصطفاء أولئك الكرام وقت قول الملائكة عليهم السلام يمريم إن الله اصطفك أي اختارك من أول الامر ولطف بك وميزك على كل محرر وخصك بالكرامات السنية والتأكيد اعتناء بشأن الخبر وقوى الملائكة لها ذلك كان شفاها على ما دلت عليه الاخبار ونطقت به الظواهر وفي بعض ما يقتضي تكرار هذا القول من الملائكة لها فقد أخرج ابن جرير عن ابن إسحق أنه قال : كانت مريم حبيسا في الكنيسة ومعها فيها غلام اسمه يوسف وقد كان أمه وأبوه جعلاه نذيرا حبيسا فكانا في الكنيسة جميعا وكانت مريم إذا نفد ماؤها وماء يوسف أخذا قلتيهما فانطلقا إلى المغارة التي فيها الماء فيملآن ثم يرجعان والملائكة في ذلك مقبلة على مريم بالبشارة يا مريم إن الله اصطفاك الآية فإذا سمع ذلك زكريا عليه السلام قال : إن لابنة عمران لشأنا وقيل : إن الملائكة عليهم السلام ألهموها ذلك ولا يخفى أن تفسير القول بالالهام وإسناده للملائكة خلاف الظاهر وإن كان لا منع من أن يكون بواسطتهم أيضا على أنه قول لا يعضده خبر أصلا وعلى القول الأول يكون التكليم من باب الكرامة التي يمن بها الله سبحانه على خواص عباده ومن أنكرها زعم أن ذلك إرهاص و تأسيس لنبوة عيسى عليه السلام أو معجزة لزكريا عليه السلام وأورد على الأول أن الارهاص في المشهور أن يتقدم على دعوى النبوة ما يشبه المعجزة كاظلال الغمام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتكلم الحجر معه وهذا بظاهره يقتضي وقوع الخارق على يد النبي لكن قبل أن ينبأ لا على يد غيره كما فيما نحن فيه ويمكن أن يدفع بالعناية وأورد على الثاني بأنه بعيد جدا إذ لم يقع الكلام مع زكريا عليه السلام ولم يقترن ذلك بالتحدي أيضا فكيف يكون معجزة له واستدل بهذه الآية من ذهب إلى نبوة مريم لأن تكليم الملائكة يقتضيها ومنعه اللقاني بأن الملائكة قد كلموا من ليس بنبي إجماعا فقد روى أنهم كلموا رجلا خرج لزيارة أخ له في الله تعالى وأخبروه أن الله سبحانه يحبه كحبه لاخيه فيه ولم يقل أحد بنبوته وادعى أن من توهم أن النبوة مجرد الوحي **ومكالمة الملك** فقد حاد عن الصواب

ومن الناس من استدل على عدم استنباء النساء بالاجماع وبقوله تعالى : وما أرسلنا قبلك إلا رجالا ولا يخفى ما فيه أما أولا فلأن حكاية الاجماع في غاية الغرابة فان الخلاف في نبوة نسوة كحواء وآسية وأم موسى وسارة وهاجر ومريم موجود خصوصا مريم فان القول بنبوتها شهير بل مال الشيخ تقي الدين السبكي في الحلبيات وابن السيد إلى ترجيحه وذكر أن ذكرها مع الانبياء في سورتهم قرينة قوية لذلك

(١) جامع لطائف التفسير ١٥٢/١٣

وأما الثانية فلأن الاستدلال بالآية لا يصح لأن المذكور فيها الأرسال وهو أخص من الاستنباء على الصحيح المشهور ولا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم فافهم وطهرك أي من الأدناس والأقذار التي تعرض للنساء ". [(١)]

٥٧-"البخل الشديد فاتجه وأطاعه كما يطيع المأمور الآمر، ويصير سيقة في يده يسوقه حيث يشاء.

ولقد قال - صلى الله عليه وسلم -: " إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ الآية (١).

هذه وسوسة الشيطان، وتلك خاطرة النفس الملكية، وقد ذكر سبحانه أمره في مقابل وسوسة الشيطان فقال: (والله يعدكم مغفرة منه وفضلا).

صدر سبحانه القول بلفظ الجلالة للإشارة إلى أن الوعد الذي وعد به المنفقين وعد حق، لا يمكن أن يجيء الشك في صدقه؛ لأنه وعد الله ذي الجلال والإكرام المعبود بحق، الذي لا يستحق العبادة سواه سبحانه وتعالى عن الشريك والمثيل، وإذا كان الشيطان يهدد بالفقر عند العطاء، فالولي تعالت حكمته يعد المنفق بأمرين: أولهما المغفرة، وثانيهما الفضل، وهو الزيادة في الدنيا والآخرة.

فأما المغفرة، فلأن الصدقة التي يقصد بها وجه الله تعالى لا لأحد سواه، وليس فيها رياء ولا نفاق، ولم يعقبها من ولا أذى، تدل على نفس صافية خالصة مخلصة، متجهة إلى الله تعالى منصرفة، فإن كان منها في ماضيها ما يؤاخذ المرء عليه، فإن الله تعالى يغفر له، ويتوب عليه، ولقد قال تعالى: (إن الحسنات يذهبن السيئات ...)، وقال - صلى الله عليه وسلم -: " الصدقة تطفئ الخطيئة " (٢) ولأن النفس تكون صافية إذا كانت الصدقة على هذا الوجه، قال الله تعالى: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها. . .)، فالصدقة التي تؤدى ابتغاء وجه الله تعالى تطهر النفس كما تطهر المال، وتوجه النفس نحو الخير، كما تنمي المال.

---

(١) رواه الترمذي: تفسير سورة البقرة (٢٩١٤).

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي: الإيمان (٢٥٤١) وأحمد في مسنده عن معاذ (٢١١١٦).". [(٢)]

٥٨-"وإن في ذلك لإشارة واضحة إلى أن الشيطان الذي نزع لباس آدم وحواء هو الذي ينزع عن العرب لباسهم في الطواف حول أقدس بيت الله في الأرض، أول بيت وضع لعبادة الناس وهو البيت الحرام.

وإذا كان إبليس قد تراءى في الجنة الأولى لآدم وحواء فدلاهما بغرور، فإن أتباعه لا يظهرون، ولكن يوسوسون؛ ولذا قال

---

(١) روح المعاني ٣/١٥٤

(٢) زهرة التفاسير ٢/١٠٠٧

تعالى: (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم).

إن إبليس يختفي ولكن له سلطان قوي على النفوس والقوة الخفية له هو وقبيله أي جماعته التي يجمعها، هذه القوة تبعث في النفس بقدر لا يقل عن القوة الظاهرة التي كانت لأبوي الخليقة آدم وزوجه، وهذه القوة يؤثر بها في نفوس الكبراء بإغرائهم بالسلطان وتسليطهم على الضعفاء فيكون على الضعفاء قوتان تسيطران على أنفسهم: قوة أصحاب السلطان الظالم، وقوة الشيطان والاستخذاء له في نفوسهم. والمؤمن القوي يدفع الإغراءين ولا يستمع إلا لله سبحانه وتعالى، فإذا كانت هذه تسيطر، فقوة الحق عند أهل الحق أقوى، ولو كانوا عبيدا أو ضعفاء، لأنهم مؤمنون بالله – سبحانه وتعالى – وقد ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – في تأثير الشياطين الخفية وتأثير الملائكة " أن للملك لمة وللشيطان لمة، فأما **لمة الملك** فوعد بالخير وتصديق بالحق، وأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق " (١).

واللمة ما يلم بالقلب ويتصرف القلب والنفس بمقتضاه، فالقلب تتنازعه قوة الحق وهي من الله أو من الملك، وقوة الشر، وهي من الشيطان، وهو يرهب من الحق، ونتائجه، ويغري بالهوى والشهوة.

وإن قوة الإيمان تدفع إغراء الشيطان، فالإيمان والتقوى حصنان للحق، والكفر والهوى حظيرة الشيطان؛ ولذا قال تعالى: (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون).

---

(١) رواه بنحوه الترمذي: التفسير – ومن سورة البقرة (٢٩٨٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.". [(١)]

٥٩-"١٠"االتفسمرا* اسوا أقا ا@هكرا فط اا أ اا "الاا" اا@ اا١٤٠ ا@

وإن فى ذلك لإشارة واضحة إلى أن الشيطان الذى نزع لباس ادم وحواء هو

الذى ينزع عن العرب لباسهم فى الطواف حول أقدس بيت الله فى الأرض ، أول بيت وضع لعبادة الناس وهو البيت الحرام.

وإذا كان إبليس قد تراءى فى الجنة الأولى لادم وحواء فدلاهما بغرور ، فإن أتباعه لا يظهرون ، ولكن يوسوسون ؟ ولذا قال تعالى : (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم .

إن إبليس يختفي ولكن له سلطان قوى على النفوس والقوة الخفية له هو

وقبيله أى جماعته التى يجمعها ، هذه القوة تبعث فى النفس بقدر لا يقل عن القوة الظاهرة التى كانت لأبوى الخليقة آدم وزوجه ، وهذه القوة يؤثر بها فى نفوس الكبراء بإغرائهم بالسلطان وتسليطهم على الضعفاء فيكون على الضعفاء قوتان تسيطران على أنفسهم : قوة أصحاب السلطان الظالم ، وقوة الشيطان والاستخذاء له فى نفوسهم. والمؤمن القوى يدفع الإغراءين ولا يستمع إلا لله سبحانه وتعالى ، فإذا كانت هذه تسيطر ، فقوة الحق عند أهل الحق أقوى ، ولو كانوا عبيدا أو ضعفاء ، لأنهم مؤمنون بالله – سبحانه وتعالى – وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فى تأثير الشياطين الخفية وتأثير الملائكة " أن للملك لمة وللشيطان لة ، فأما **لمة الملك** فوعد بالخير وتصديق بالحق ، وأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر

---

(١) زهرة التفاسير ٦/٢٨٠٩

وتكذيب بالحق " (١).

واللمة ما يلم بالقلب ويتصرف القلب والنفس بمقتضاه ، فالقلب تتنازعه قوة

الحق وهى من الله او من الملك ، وقوة الشر ، وهى من الشيطان ، وهو يرهب من الحق ، ونتائجه ، ويغرى بالهوى والشهوة.

وإن قوة الإيمان تدفع إغراء الشيطان ، فالإيمان والتقوى حصنان للحق ،

والكفر والهوى حظيرة الشيطان ؟ ولذا قال تعالى : (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون .

(١) رواه بنحوه الترمذى : التفسير – ومن سورة البقرة (٢٩٨٨) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.". [1]

٦٠-"" صفحة رقم ٢٠ "

الشيطان من المس) [البقرة : ٢٧٥] ، وفي الحديث : " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى

الدم " ولا خلاف في أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ، يسبحون بالليل

والنهار لا يفترون ، وأما الجن والشياطين فخلاف ذلك. قال في العظم : " إنه زاد

إخوانكم من الجن " . وفي القرآن) أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني) [الكهف : ٥٠] .

وأما كيفية الوسوسة فيروى أن عيسى عليه السلام دعا ربه أن يريه موضع الشيطان من بني

آدم ، فأراه ذلك ؛ فإذا رأسه الحية واضع رأسه على قلبه فإذا ذكر الله خنس وأيس ، وإذا

لم يذكره وضع رأسه على حبة قلبه. وقال : " لولا أن للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك

لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق

بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من

الشيطان الرجيم " ثم قرأ) الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) [البقرة : ٢٦٨]

الآية ، فمن الخواطر ما هو أصل العادة ، ومنها ما هو أصل الشقاوة. وسبب اشتباه خطأ

وأخلاقها ، أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى ، أو محبة الدنيا وجاهها ومالها. فمن عصم

من هذه الأربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ، ومن ابتلى بها فلا. واتفق المحققون

على أن من كان أكله من الحرام لا يفرق بين الإلهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس

ووسوسة الشيطان بأن النفس تطالب وتلح ، فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها .

والشيطان إذا دعا إلى زلة ولم يجب ، يوسوس بأخرى إذا مراده الإغواء كيف أمكن .

وحقيقة الوسوسة راجعة إلى أن الإنسان بينما هو ذاهل عن الشيء ذكره الشيطان ذلك

فيحدث له ميل ، ويترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكأن الذي أتى به الشيطان من

خارج ليس إلا ذلك التذكير. وإليه الإشارة في القرآن حكاية عن إبليس) وما كان لي عليكم

---

(١) زهرة التفاسير ص/٢٨٠٩

من سلطان إلى أن دعوتكم فاستجبتم لي) [إبراهيم : ٢٢] ، ولا يتسلسل هذا التذكير وإنما يقدم". (١)

٦١-"رجل ذلك الصنم ودقها دقا شديدا فتفتت الصنم كله حديده ونحاسه وفضته وذهبه وصارت رفاتا، وعصفت بها الرياح فلم يوجد لها أثر، وصار ذلك الحجر الذي صك ذلك الرجل من ذلك الصنم جبلا عاليا امتلأت به الأرض، فهذا رؤياك أيها الملك.

وأما تفسيرها فأنت الرأس الذي رأيته من الذهب ويقوم بعدك مملكة أخرى دونك والمملكة الثالثة التي تشبه النحاس تنبسط على الأرض كلها، والمملكة الرابعة تكون قوتها مثل الحديد، وأما الرجل التي كان بعضها من حديد وبعضها من خزف، فإن بعض المملكة يكون عزيزا وبعضها يكون ذليلا، وتكون **كلمة الملك** متفرقة ويقيم إله السماء في تلك الأيام مملكة أبدية لا تتغير ولا تزول. وأنها تزيل جميع الممالك، وسلطانها يبطل جميع السلاطين، وتقوم هي إلى الدهر، فهذا تفسير الحجر الذي رأيت أنه يقطع من جبل بلا قاطع حتى دق الحديد والنحاس والخزف، والله أعلم بما يكون في آخر الزمان.

فهذه هي البشارات الواردة في الكتب المتقدمة بمبعث رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ذكره الرازي، وقال الزجاج المراد بالعهد ما أخذ عليهم في التوراة من اتباع محمد - صلى الله عليه وسلم -، وقيل هو أداء الفرائض، وقيل أراد جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكليف دون بعض، ولا مانع من حمله على جميع ذلك.

(أوف بعهدكم) أي بما ضمنت لكم من الجزاء، وقيل بالقبول والثواب عليه بدخول الجنة (وإياي فارهبون)، أي فخافون في نقضكم العهد، والرهب والرهبة الخوف، ويتضمن الأمر به معنى التهديد، وتقديم معمول الفعل يفيد الاختصاص، قال صاحب الكشاف وهو آكد في إفادة التخصيص من (إياك نعبد) والفاء جواب أمر مقدر أي تنبهوا فارهبون، أو زائدة وسقطت الياء من قوله فارهبون لأنه رأس آية.". (٢)

٦٢-"وهذا لفظ ابن مسعود ـ في حديث بروع بنت واشق، قال ـ : إن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان ؛ لأنه حكم بحكم . فإن كان موافقا لحكم الله فهو من الله؛ لأنه موافق لعلمه وحكمه، فهو منه باعتبار أنه ـ سبحانه ـ ألهمه عبده لم يحصل بتوسط الشيطان والنفس، وإن كان خطأ فالشيطان وسوس به، والنفس أرادته ووسوست به، وإن كان ذلك مخلوقا فيه، والله خلقه فيه، لكن الله لم يحكم به، وإن لم يكن ما وقع لي من إلهام الملك كما قال ابن مسعود : إن للملك بقلب ابن آدم لمة ، وللشيطان لمة؛ **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق فالتصديق من باب الخبر والإيعاد بالخبر، والشر من باب الطلب والإرادة . قال تعالي : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ [البقرة : ٢٦٨] .

فهذه حسنات العمل من الله ـ عز وجل ـ بهذين الاعتبارين :

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٠/١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ١٤٨/١

". (١)

٦٣-"وكان ابن عيينة يرويه : فأسلم . بالضم . ويقول : إن الشيطان لا يسلم، لكن قوله في الرواية الأخرى : (فلا يأمرني إلا بخير) دل على أنه لم يبق يأمره بالشر، وهذا إسلامه، وإن كان ذلك كناية عن خضوعه وذلته لا عن إيمانه بالله .كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره، وقد عرف العدو المقهور أن ذلك القاهر يعرف ما يشير به عليه من الشر . فلا يقبله، بل يعاقبه على ذلك، فيحتاج لانقهاره معه إلى أنه لا يشير عليه إلا بخير لذلته وعجزه لا لصلاحه ودينه؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (إلا أن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير) . وقال ابن مسعود : إن للملك لمة، وإن للشيطان لمة، **فلمة الملك** إيعاد بالخير، / وتصديق بالحق، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر، وتكذيب بالحق . وقد قال تعالى : ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ﴾ [آل عمران : ١٧٥] أي : يخوفكم أولياؤه بما يقذف في قلوبكم من الوسوسة المرعبة، كشيطان الإنس الذي يخوف من العدو فيرجف ويخذل .
". (٢)

٦٤-"وعكس هذا قوله تعالى : ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملآئكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ [الأنفال : ١٢] ، وقال تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [إبراهيم : ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ﴾ [الإسراء : ٤٧] والتثبت : جعل الإنسان ثابتا لامرتابا، وذلك بإلقاء ما يثبته من التصديق بالحق والوعد بالخير، كما قال ابن مسعود : **لمة الملك** وعد بالخير، وتصديق بالحق، فمتى علم القلب أن ما أخبر به الرسول حق صدقه، وإذا علم أن الله قد وعده بالتصديق وثق بوعد الله فثبت، فهذا يثبت بالكلام كما يثبت الإنسان الإنسان في أمر قد اضطرب فيه بأن يخبره بصدقه، ويخبره بما يبين له أنه منصور فيثبت، وقد يكون التثبت بالفعل بأن يمسك القلب، حتى يثبت كما يمسك الإنسان الإنسان حتى يثبت .
". (٣)

٦٥-"والمتفلسفة بنوه على أصلهم : في أن ما يحدث من الصور هو من فيض العقل الفعال عند استعداد المواد القابلة، فقالوا : يحصل في نفوس البشر من فيض العقل الفعال عند استعداد النفس باستحضار المقدمتين . وهذا القول خطأ، والذي قبله أقرب منه، والأول أقرب، وليس في شيء منها تحقيق الأمر في ذلك .
وحقيقته أن الله وكل بالإنس ملائكة وشياطين، يلقون في قلوبهم الخير والشر، فالعلم الصادق من الخير، والعقائد الباطلة من الشر، كما قال ابن مسعود : **لمة الملك** تصديق بالحق، **ولمة الشيطان** تكذيب بالحق، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) ٣/٢٩٩
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) ٦/٦
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) ٦/٧

في القاضى : (أنزل الله عليه ملكا يسدده) . وكما أخبر الله أن الملائكة توحي إلى البشر ما توحيه، وإن كان البشر لا يشعر بأنه من الملك، كما لا يشعر بالشيطان الموسوس . /لكن الله أخبر أنه يكلم البشر وحيا، ويكلمه بملك يوحي بإذنه ما يشاء، والثالث التكليم من وراء حجاب . وقد قال بعض المفسرين : المراد بالوحي هنا الوحي في المنام، ولم يذكر أبو الفرج غيره، وليس الأمر كذلك؛ فإن المنام تارة يكون من الله، وتارة يكون من النفس، وتارة يكون من الشيطان، وهكذا ما يلقى في اليقظة، والأنبياء معصومون في اليقظة والمنام .

ولهذا كانت رؤيا الأنبياء وحيا، كما قال ذلك ابن عباس، وعبيد بن عمير، وقرأ قوله : ﴿ إني أرى في المنام أني أذبحك ﴾ [الصافات : ١٠٢] ، وليس كل من رأي رؤيا كانت وحيا، فكذلك ليس كل من ألقى في قلبه شيء يكون وحيا، والإنسان قد تكون نفسه في يقظته أكمل منها في نومه كالمصلى الذي يناجى ربه، فإذا جاز أن يوحي إليه في حال النوم فلماذا لا يوحي إليه في حال اليقظة، كما أوحي إلى أم موسى، والحواريين، وإلى النحل ؟ ! لكن ليس لأحد أن يطلق القول على ما يقع في نفسه أنه وحي لا في يقظة ولا في المنام إلا بدليل يدل على ذلك، فإن الوسواس غالب على الناس . والله أعلم .

". (١)

٦٦-"- الإلهام: إلقاء الشيء في الروع، ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى، وجهة الملإ الأعلى. قال تعالى: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ [الشمس/٨] وذلك نحو ما عبر عنه **بلمة الملك**، وبالنفث في الروع كقوله عليه الصلاة والسلام: (إن للملك لمة وللشيطان لمة) (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾) أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب (عارضة الأحوذي ١١/١٠٩) ؛ والنسائي)، وكقوله عليه الصلاة والسلام: (إن روح القدس نفث في روعي) (الحديث عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب) أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/٣٠٤، وانظر ص ٣٧٣) وأصله من التهام الشيء، وهو ابتلاعه، والتهم الفصيل ما في الضرع، وفرس لهم: كأنه يلتهم الأرض لشدة عدوه.

لهى

". (٢)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) ١٣/٦

(٢) مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة ٣٤٨/٢

٦٧-"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٧٤٨

لهث

لهث يلهث لهثا «١». قال الله تعالى : فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث

[الأعراف / ١٧٦] وهو أن يدلع لسانه من العطش. قال ابن دريد : اللهث يقال للإعياء وللعطش جميعا «٢».

لهم

الإلهام : إلقاء الشيء في الروع ، ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى ، وجهة الملإ الأعلى. قال تعالى : فألهمها فجورها وتقواها

[الشمس / ٨] وذلك نحو ما عبر عنه **بلمة الملك** ، وبالنفث في الروع كقوله عليه الصلاة والسلام : «إن للملك لمة وللشيطان لمة» «٣» ، وكقوله عليه الصلاة والسلام : «إن روح القدس نفث في روعي» «٤» وأصله من التهام الشيء ، وهو ابتلاعه ، والتهم الفصيل ما في الضرع ، وفرس لهم : كأنه يلتهم الأرض لشدة عدوه.

لهى

[اللهو : ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه.

يقال : لهوت بكذا ، ولهيت عن كذا : اشتغلت عنه بلهو] «٥». قال تعالى : إنما الحياة الدنيا لعب ولهو

[محمد / ٣٦] ، وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب [العنكبوت / ٦٤] ، ويعبر عن كل ما به استمتاع باللهو. قال تعالى : لو أردنا أن نتخذ لهوا [الأنبياء / ١٧] ومن قال : أراد باللهو المرأة والولد «٦» فتخصيص لبعض ما هو من زينة الحياة الدنيا التي جعل لهوا ولعبا.

ويقال : ألهاه كذا. أي : شغله عما هو أهم إليه.

قال تعالى : ألهاكم التكاثر [التكاثر / ١] ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

[النور / ٣٧] وليس ذلك نهيا عن التجارة وكراهية لها ، بل هو نهي عن التهافت فيها والاشتغال عن

---

(١) قال السرقسطي : ولهث الكلب لهثا ، ولهث أيضا : إذا أدلع لسانه عطشا. انظر : الأفعال ٢ / ٤٦٢.

(٢) وعبارته : واللهث من قولهم : لهث الكلب : إذا أخرج لسانه من حر أو عطش. الجمهرة ٢ / ٥١.

(٣) عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك لمة ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ : الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء» أخرجه الترمذي وقال : حسن غريب (عارضة الأحوذي ١١ / ١٠٩) ، والنسائي.

(٤) الحديث عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها ، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤ / ٣٠٤ ، وانظر ص

.٣٧٣

(٥) ما بين قوسين نقله السمين في الدر المصون ٤ / ٥٩٩.

(٦) عن عكرمة قال في الآية : اللهو : الولد. وعن الحسن قال : اللهو بلسان اليمن : المرأة. انظر : الدر المنثور ٥ / ٦١٩ - ٦٢٠.". [١]

٦٨-" صفحة رقم ٢٨٠

ولما بين أن محط حال القاعد عن الجهاد الدنيا ، علم أن قصد المجاهد الآخرة ، فسبب عن ذلك قوله : (فليقاتل في سبيل الله) أي بسبب تسهيل طريق الملك الذي له الأمر كله وحفظ الناس عليه) الذين يشرون) أي يبيعون برغبة ولجاجة وهم المؤمنون ، أو يأخذون وهم المنافقون - استعمالا للمشترك في مدلوليه) الحياة الدنيا (فيتركونها) بالآخرة (ولما كان التقدير : فإنه من قعد عن الجهاد فقد رضي في الآخرة بالدنيا ، عطف عليه قوله : (ومن يقاتل في سبيل الله) أي فيريد إعلاء كلمة الملك المحيط بصفات الجمال والجلال) فيقتل) أي في ذلك الوجه وهو على تلك النية بعد أن يغلب القضاء والقدر على نفسه) أو يغلب) أي الكفار فيسلم) فسوف نؤتيه) أي بوعد لا خلف فيه بما لنا من العظمة المحيطة بالخير والشر ، والآية من الاحتباك : ذكر القتل أولا دليل على السلامة ثانيا ، وذكر الغالبية ثانيا دليل على المغلوبية أولا ؛ وربما دل التعبير بسوف على طول عمر المجاهد غالبا خلافا لما يتوهمه كثير من الناس - إعلاما بأن المدار على فعل الفاعل المختار ، لا على الأسباب) أجرا عظيما) أي في الدارين على اجتهاده في إعزاز دين الله سبحانه وتعال ، واقتصاره على هذين القسمين حث على الثبات ولو كان العدو أكثر من الضعف

٧٧ ( ) فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ( ) ٧

[البقرة : ٢٤٩]

٧٧ ( ) والله يؤيد بنصره من يشاء ( ) ٧

[آل عمران : ١٣] والله مع الصابرين .

ولما كان التقدير : فما لكم لا تقاتلون في سبيل الله لهذا الأجر الكثير ممن لا يخلف الميعاد ، وكانوا يقولون : إنا لا نعطي الميراث إلا لمن يحمي الذمار ، ويذب عن الجار ، ويمنع الحوزة ؛ قال عاطفا على هذا المقدر ملهبا لهم ومهيجا ، ومبكتا للقاعدين وموبخا : (وما) أي وأي شيء) لكم (من دنيا آو آخره حال كونكم) لا تقاتلون) أي تجددون القتال في كل وقت ، لا تملونه) في سبيل الله) أي بسبب تسهيل طريق الملك الذي له العظمة الكاملة والغنى المطلق وبسبب خلاص) والمستضعفين) أي المطلوب من الكفار ضعفهم حتى صار موجودا ، ويجوز - وهو أقعد - أي يكون منصوبا على الاختصاص تنبيها على أنه من أجل ما في سبيل الله .

ولما كان الإنكاء من هذا ما لمن كان رجاء نفعه أعظم ، ثم ما لمن يكون العار به أقوى وأحكم ؛ رتبهم هذا الترتيب فقال

---

(١) مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة ص/٧٤٨

: (من الرجال والنساء والولدان) أي المسلمين الذين حبسهم الكفار عن الهجرة ، وكانوا يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، وكل منهما كاف". [1]

٦٩-"ولما بين أن محط حال القاعد عن الجهاد الدنيا ، علم أن قصد المجاهد الآخرة ، فسبب عن ذلك قوله : ﴿فليقاتل في سبيل الله﴾ أي بسبب تسهيل طريق الملك الذي له الأمر كله وحفظ الناس عليه ﴿الذين يشرون﴾ أي يبيعون برغبة ولجاجة وهم المؤمنون ، أو يأخذون وهم المنافقون - استعمالا للمشترك في مدلوليه ﴿الحياة الدنيا﴾ فيتركونها ﴿بالآخرة﴾ ولما كان التقدير : فإنه من قعد عن الجهاد فقد رضي في الآخرة بالدنيا ، عطف عليه قوله : ﴿ومن يقاتل في سبيل الله﴾ أي فيريد إعلاء **كلمة الملك** المحيط بصفات الجمال والجلال ﴿فيقتل﴾ أي في ذلك الوجه وهو على تلك النية بعد أن يغلب القضاء والقدر على نفسه ﴿أو يغلب﴾ أي الكفار فيسلم ﴿فسوف نؤتيه﴾ أي بوعد لا خلف فيه بما لنا من العظمة المحيطة بالخير والشر ، والآية من الاحتباك : ذكر القتل أولا دليل على السلامة ثانيا ، وذكر الغالبية ثانيا دليل على المغلوبية أولا ؛ وربما دل التعبير بسوف على طول عمر المجاهد غالبا خلافا لما يتوهمه كثير من الناس - إعلاما بأن المدار على فعل الفاعل المختار ، لا على الأسباب ﴿أجرا عظيما *﴾ أي في الدارين على اجتهاده في إعزاز دين الله سبحانه وتعال ، واقتصاره على هذين القسمين حث على الثبات ولو كان العدو أكثر من الضعف ﴿فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة﴾ [البقرة : ٢٤٩] ﴿والله يؤيد بنصره من يشاء﴾ [آل عمران : ١٣] والله مع الصابرين.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٧٩
". [2]

٧٠-"وعن ابن عمر، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: «لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم، ما سار راكب بليل وحده» (١)

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: الشيطان يهم بالواحد والاثنين، فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم. (٢)

وعن سعيد بن المسيب، أنه كان يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الشيطان يهم بالواحد والاثنين، فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم» (٣)

وعن ابن عمر، " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن الوحدة، أن يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده " (٤)

١٨ - التعوذ من الشيطان الخواطر الشيطانية:

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ٢/ ٢٨٠

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٢/ ٤٣٤

عن عبد الله، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " إن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد من الآخر فليتعوذ من الشيطان، ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ [البقرة: ٢٦٨] (٥)

وعن المسيب بن رافع، حدثني أبو إياس البجلي قال: سمعت عبد الله بن مسعود، يقول: من تطاول تنظيما خفضه الله عز وجل، ومن تواضع لله تخشعا رفعه الله عز وجل، وإن للملك لمة وللشيطان لمة، **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فإذا

---

(١) – المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ١١٢) (٢٤٩٥) صحيح

قال أبو سليمان الخطابي: معناه، والله أعلم، أن التفرد والذهاب وحده في الأرض من فعل الشيطان، أو هو شيء يحمله عليه الشيطان، فقيل على هذا: إن فاعله شيطان.

قال الإمام: معنى الحديث عندي ما روي عن سعيد بن المسيب، مرسلا، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «الشيطان يهم بالواحد وبالاثنين، فإذا كانوا ثلاثة لم يهمم بهم» شرح السنة للبغوي (١١/ ٢٢)

(٢) – صحيح البخاري (٤/ ٥٨) (٢٩٩٨) [ش (ما في الوحدة) الانفراد. (ما أعلم) من المخاطر]

(٧) – كشف الأستار عن زوائد البزار– مؤسسة الرسالة (٢/ ٢٧٧) (١٦٩٨) ومسند البزار = البحر الزخار (١٤/ ٢٥٣) (٧٨٣٤) حسن

(٣) – موطأ مالك ت عبد الباقي (٢/ ٩٧٨) (٣٦) صحيح مرسل

(٤) – مسند أحمد ط الرسالة (٩/ ٤٦٦) (٥٦٥٠) وسلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١٢٩) (٦٠) وصححه وقال الشيخ شعيب إنه شاذ!!

(٥) – الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٢٩) (٨٥٤) صحيح موقوف". [١]

٧١–"رأيتم ذلك فاحمدوا الله عز وجل، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فإذا رأيتم ذلك فتعوذوا بالله عز وجل " (١)

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال عبد الله بن مسعود: إن للملك لمة، وإن للشيطان لمة، **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجدها فليحمد الله، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، فمن وجدها فليستعذ بالله. (٢)

---

(١) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل ص/٣٦٨

١٩ - التعوذ من الشيطان في الصلاة:

عن ابن مسعود، أنه كان يتعوذ في الصلاة من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه" (٣)

وعن ابن مسعود، قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا دخل في الصلاة، يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، وهمزه، ونفخه، ونفثه» قال: " فهمزه: الموتة، ونفثه: الشعر، ونفخه: الكبرياء. (٤)

أشياء أخرى تدفع الشيطان:

١ - قراءة سورتي الفلق والناس:

وخير ما يتعوذ به المتعوذون سورتا الفلق والناس، فعن عقبة بن عامر الجهني قال: بينا أنا أقود برسول الله - صلى الله عليه وسلم - راحلته في غزوة إذ قال: «يا عقبة، قل فاستمعت»، ثم قال: «يا عقبة، قل فاستمعت»، فقالها الثالثة، فقلت: ما أقول؟، فقال: «قل هو الله أحد» فقرأ السورة حتى ختمها، ثم قرأ: «قل أعوذ برب الفلق» وقرأت معه حتى ختمها، ثم قرأ «قل أعوذ برب الناس» فقرأت معه حتى ختمها، ثم قال: «ما تعوذ بمثلهن أحد» (٥)

---

(١) - السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٣٧) (١٠٩٨٥) صحيح

اللمة: المرة الواحدة من الإلمام، وهو القرب من الشيء، والمراد بها: الهمة التي تقع في القلب من فعل الخير والشر والعزم عليه.

(٢) - الزهد لأبي داود (ص: ١٦٤) (١٦٤) صحيح موقوف

(٣) - مسند أبي الطيالسي -طبعة دار هجر - مصر (١/ ٢١٠) (٣٦٩) صحيح

(٤) - المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٣٢٥) (٧٤٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٢/ ٥٤) (٢٣٥٦) صحيح

(٥) - سنن النسائي (٨/ ٢٥١) (٥٤٣٠) صحيح". [١]

٧٢-"وقوله: (موسوسا تائها)

فيبقى متذبذبا بين هذه الأضداد (موسوسا تائها) فالوساوس التي يلقيها الوسواس الخناس تجعله في حيرة، فما يخطر بالبال من شبهات وأفكار تعارض الحق كلها من إلقاء الشيطان، فهو مسلط على الإنسان، والإنسان مبتلى بالشيطان، هو عدو خفي، والله سبحانه وتعالى أقدره على أن يوسوس للإنسان، والقلب بين حالتين:

بين **لمة الملك**، **ولمة الشيطان**؛ **فلمة الملك** لقلب المؤمن المسلم، أما الكافر فقد أحاط الشيطان به، وليس للملك فيه لمة، «**فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق»، (١) فالشيطان يوسوس، فيبقى هذا المتكلف الذي لم يوفق للتسليم متذبذبا موسوسا، فقلبه في هذه الوساوس فتجعله في تردد، كما قال سبحانه في

---

(١) الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل ص/٣٦٩

المنافقين: ((فهم في ريبهم يترددون)) [التوبة: ٤٥] فهو يتقلب، فتارة يكون مؤمنا، وتارة كافرا، وتارة حائرا.

وقوله: (شاكا زائغا) أي: مترددا تائها، زائغا منحرفا، قال تعالى: ((فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم)) [الصف: ٥] ((وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون)) [التوبة: ١٢٧] فهذه آثار عدم التسليم، وعكس ذلك من كان مسلما لله عز وجل، ولرسوله – صلى الله عليه وسلم – قد قام دينه على التسليم، فأصبح ثابت القلب ليس عنده تردد ولا تذبذب ولا حيرة ولا قلق، بل هو يسير على صراط واضح مستقيم، يمشي بنور من الله، قال تعالى: ((يا أيها الذين

(١) رواه الترمذي (٢٩٨٨)، والبزار (٢٠٢٧)، والنسائي في الكبرى (١١٠٥١)، وابن حبان (٩٩٧) من حديث ابن مسعود – رضي الله عنه –، ورجح الأئمة وقفه، انظر: علل الترمذي الكبير (٦٥٤)، والعلل لابن أبي حاتم (٢٢٢٤)، ومصادر التخريج.". (١)

٧٣-"الإيمان بمشيئة الله عز وجل وإرادته الكونية العامة

إن الله عز وجل لا يكون في خلقه إلا ما يريد، ولا يمكن أن يفعل العبد فعلا -حتى لو كان من اختياره- إلا بعد إرادة الله كما قال تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ [التكوير:٢٩]، فلا يمكن للعبد أن يختار أمرا إلا بعد مشيئة الله عز وجل لذلك، ومشيئة العبد تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى.

وإرادة الله تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية، وإرادة شرعية، والفرق بينهما: أن الإرادة الكونية معناها الإرادة العامة الشاملة لجميع أحوال الناس، فلا يمكن أن يكون في حياة الناس شيء إلا بمشيئة الله، سواء رضي الله عنه أو لم يرضه، فالكفر والشرك حاصلان بمشيئة الله، والطاعة والإيمان حاصلان بمشيئة الله، وظلم الظالمين وعدل العادلين حاصلان بمشيئة الله.

لكن قد يقول قائل: لماذا يشاء الله هذه الأمور السيئة مثل الظلم، والكفر، والعدوان، ووجود الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء؟

و A من أجل الاختبار والابتلاء، فالله عز وجل قدر أن النوع الإنساني يكون في هذه الأرض مختبرا، يبتليه عز وجل بأشياء متعددة، ويأمره بأوامر، ويرسل إليه الرسل، فإن أطاع فإنه يدخل الجنة ثوابا، وإن عصى فإنه يدخل النار عقابا.

والثواب والعقاب والجنة والنار لا تحصل إلا نتيجة اختبار، فالله عز وجل اختبر العباد، وجعل لهم أمورا معينة تنقذهم من الهلكة: الأمر الأول الفطرة الطيبة التي تدعو الإنسان إلى التأله والحاجة لله عز وجل.

والأمر الثاني: إرسال الرسل.

والأمر الثالث: قوله (إن للملك لمة وللشيطان لمة، **فلمة الملك** إيعاد بالخير، وتصديق بالحق، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر، وتكذيب بالحق).

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبراك ص/١٣٤

الأمر الرابع: أنه في حياة الإنسان وفي نفسه ما يدله على الخير، كما قال الله عز وجل: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات:٢١].

والأمر الخامس: أن الله عز وجل خلق له عقلا يستطيع أن يتفهم به الأمر الصالح من الأمر السيئ، وأن يتفهم ما ينفعه مما لا ينفعه، مع جعل النفس ترغب وتنشرح وتطمئن وتنساق إلى الأمر الذي فيه منفعة للإنسان، وتنزعج وتشعر بالهم والتعاسة من الشيء الذي لا يوافق دين الله سبحانه وتعالى.

هذه أمور معينة للعبد، هناك أيضا أمور خطيرة بالنسبة للعبد، مثل الشهوات التي تدفع الإنسان للمعصية، مثل شهوة الجنس، وطلب الفاحشة وشهوة حب المال والجاه، والرياء وغيرها من الشهوات.

وخلق أيضا الكفر والفسوق والعصيان، وخلق الشيطان الذي يزين له المعصية، كما حصل لـ أبي العلاء المعري، فقد كان رجلا أعمى وكان يحب الزنا كما يذكر من ترجم عنه -فيقال: إنه جيء له بزوجته، فبعد أن فرغ منها قالت له: أنا فلانة، فقال لها: ما أقبحك حلالا وما أحلاك حراما! يعني: ما أحلى الحرام، وما أقبح الحلال! فالشيطان يزين المعصية للإنسان.

وهناك عدة قضايا جعلها الله اختبارا للإنسان، فالإنسان في هذه الحياة بين هذه الأمور جميعا في حالة اختبار ولم يظلمه الله عز وجل بل أرسل إليه الرسل، ونصب العلامات الدالة عليهم وهناك من الأدلة العقلية المقنعة ما يمكن للإنسان أن يستفيد منها، فإذا انحرف الإنسان فإنه يتحمل مسئولية نفسه؛ لأنه هو الذي اختار هذا الدرب وهذا الطريق بمحض مشيئته واختياره، دون جبر من الله سبحانه وتعالى.

لكن لا يمكن للعبد أن يفعل الكفر إلا بمشيئة الله، ولا يمكن أن يفعل الحرام إلا بمشيئة الله، ولا يمكن أن يفعل أي أمر من الأمور إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى؛ هذا النوع الأول من المشيئة.". (١)

٧٤-"ذكر خرافات مدعي علم الغيب ومفسري الأحلام

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقد قيل لبعضهم: ألا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاق].

وكان عبد الرزاق بن همام الصنعاني في اليمن، وكان عالما مشهورا، له كتاب كبير اسمه المصنف، رحل إليه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في قصة مشهورة ذكرها الذهبي في السير، وأنهم لقيا عبد الرزاق في مكة وقد جاءا من العراق، فقال يحيى لـ أحمد: لماذا لا نقرأ عليه هنا، يعني: في مكة؟ قال: أنا نويت السفر إلى اليمن، فذهب إليه في صنعاء في اليمن وقرأ عليه هناك وأجازهما، فقيل لهذا الصوفي: لماذا لا ترحل إلى عبد الرزاق؟ قال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاق؟ يعني: من يسمع من الله! ولهذا يقولون: أنتم أحاديثكم ميت عن ميت، وأما نحن فحديثنا عن الحي الذي لا يموت، يعنون: الله عز وجل، ولهذا يكثرون من قولهم: حدثني قلبي عن ربي، فهو يشعر بخطرات ويشعر بإلهامات تأتيه ويظن أنها من الله عز وجل، وهي من الشيطان في كثير من الأحيان، أو من الوهم الذي يحصل للإنسان، فإن النبي صلى الله عليه

(١) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية ٩/٩

وسلم أخبر: (أن للملك لمة وللشيطان لمة، **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق، **ولمة الشيطان** تكذيب بالحق وإيعاد للشر)، فالاعتماد على الوهم وعلى ما يقع من الخطرات في القلب اعتماد باطل؛ لأن هذه الخطرات ليست يقينية، والمصادر التي تتخذ في التشريع لا بد أن تكون يقينية.

ولهذا فالذين يفسرون الأحداث المستقبلية بالرؤى والأحلام، ويقولون مثلا: إن صدام حسين هو السفياني، علما أن السفياني لم يصح فيه حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويقولون: إنه إلى الآن لم يمت، وإنه ما زالت هناك مقاومة، وبعد أن انكشف مشروعهم الفاسد، وأن كلامهم غير صحيح، قالوا: إنه سيخرج مرة أخرى وسينتصر على أمريكا، وسيأخذ الجزيرة العربية، وسيدخل على إسرائيل، ويتكلمون كلاما ليس عليه مستند شرعي ولا دليل عقلي، وإنما هي خرافات يتكلمون بها، فإذا نصحهم أحد قالوا: ألا تؤمن بالرؤيا؟ نقول: نعم، نؤمن بالرؤيا، لكن أيضا نؤمن بأن هناك أحلاما من إلقاء الشيطان، أو من حديث للنفس.

ولهذا نلاحظ أنهم في القنوات الفضائية يأتون بأشخاص يفسرون الأحلام، تتصل عليه امرأة من سورية فيفسر لها، وتتصل عليه امرأة من المغرب ويفسر لها، وتتصل عليه امرأة من قطر ويفسر لها، وتتصل عليه امرأة من اليمن ويفسر لها، ولا يعتذر عن حلم واحد، ولا يقول: إن هذا أضغاث أحلام، مع أنه لا يعرف هؤلاء، وأحيانا يتكلم عن أشياء خاصة، أنا سمعت شخصا اتصلت عليه امرأة وقالت له: إنني امرأة رأيت أنني أدفن زوجي وقد لحفته بشيء أبيض، فقال: أنت امرأة بارة بزوجك وحريصة عليه، وستحصل لك مشكلة معه، ولكن تجاوزيها برفق ولن يحصل مكروه لك إن شاء الله، فكيف عرف هذا الإنسان أن هذه المرأة بارة بزوجها؟ وإذا كانت هذه المرأة أصلا لا زوج لها، أو كانت مطلقة ورأت زوجها الذي طلقها قديما، وربما تكون هذه المرأة غير بارة! وهكذا يدعون علم الغيب بهذه الطريقة الفجة المقيتة السيئة، فهؤلاء كهنة العصر الحديث، يدعون علم الغيب ويشتغلون به، وبرامج ادعاء علم الغيب وتفسير الأحلام، والكلام في المستقبل، هي برامج موجودة في الدول الغربية وفي القنوات الفضائية الغربية، فجاء هؤلاء وأخذوا باب الرؤيا، ووجدوا لها أصلا في الشريعة، فوسعوه حتى أدخلوا فيه ما ليس منه.

إذا: باب الرؤى شيء، وادعاء علم الغيب بهذه الطريقة الفجة السيئة شيء آخر، والكلام حول المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله شيء ثالث.

وأحيانا تجدون شخصا عنده هم معين، وتجد عنده تفكيرا في الأوضاع السياسية، والأوضاع التي تدور في الأمة الإسلامية، وأي حلم يأتيه يفسره مباشرة على هذا التفسير، شخص قال: أنا رأيت حصانين: حصانا أبيض وحصانا أسود، وأن الحصان الأبيض في البداية هرب ثم عاد مرة أخرى، فهرب الحصان الأسود، قال: نعم، الحصان الأسود أمريكا سود الله وجوههم، والحصان الأبيض كذا، وأنه في البداية تنتصر أمريكا، ثم ينتصر المسلمون، والحديث عن نفس هذا الموضوع، فتجد أن تفسيراته كلها سياسية، يعني: لا يمكن أن يفسر يوما من الأيام تفسيرا اقتصاديا، أو تفسيرا اجتماعيا، بل يجمع كل ما يعرض عليه من الرؤى فيقول: عندي خمسة وعشرون ألف رؤيا من الثقات الصالحات اللاتي يقمن الليل، لو أن خمسة وعشرين ألف امرأة يقمن الليل ما صار المسلمون على هذا الوضع.

وهكذا يتكلمون ويهذون بما لا يعرفون، ويتكلمون في الدين من غير وجهه، وكثير منهم يكتب في الإنترنت، ولهذا ينبغي على الإنسان أن لا يأخذ مثل هذه الأفكار، ويجعل ذهنه زبالة لمثل هذه الأفكار.
هؤلاء أشخاص عاطلون عن العمل، أنا أتصور أنهم لا عمل دنيوي لديهم، ولا دعوة إلى ا". (١)

٧٥-"تقدير الله عز وجل لمقادير العباد

علم الله عز وجل بأفعال العباد علم شامل، فالعباد مخلوقات لله، ونحن مخلوقات لله عز وجل، وقبل أن يخلقنا هو يعلم سبحانه وتعالى تفاصيل خلقنا، وهو يعلم أعمالنا قبل أن نوجد، وهو يعلم كذلك ما سنموت عليه من العمل، وهو يعلم سبحانه وتعالى أيضا المنقلب الذي يصير إليه الإنسان، إما إلى الجنة وإما إلى النار، هذا العلم الذي يعلمه سبحانه وتعالى هو لشمول علمه سبحانه وتعالى بكل شيء.
وعندما خلق الخلق لم يظلم أحدا، فالله عز وجل غير ظلام للعبيد، خلق فيهم إرادات وخلق عندهم قدرات، وخلقهم في وضع وفي حال يمكن له أن يطيع، ويمكن له أن يعصي، كما قال الله عز وجل: ﴿وهديناه النجدين﴾ [البلد:١٠] قال المفسرون: طريق الخير وطريق الشر.
وجعل هناك أمورا تهديه للخير، وجعل هناك أمورا يمكن أن تدله على الباطل، لكن الأمور التي تهديه للخير أكثر، فجعل عنده الفطرة التي تجعله يشتاق إلى الخير ويحبه ويطمئن له، وجعل هناك ملكا من الملائكة يدعوه إلى الخير، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: (إن للشيطان لمة وللملك لمة، **فلمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، **ولمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق).
وأنزل كتبا تشرح للناس الحقيقة الشرعية التي يجب عليهم أن يستمروا عليها، وجعل لهم عقولا يستطيعون أن يميزوا بها بين الصواب والخطأ والحق والباطل.
وأرسل إليهم رسلا يهدونهم ويعلمونهم ويشرحون لهم هذه الحقائق الشرعية، وجعل لهؤلاء الرسل علامات تدل على نبوتهم، ففرق بينهم وبين الداعية الكاذب، وجعل لهم المعجزات، هذه عصا موسى تنقلب إلى حية، وهناك فرق كبير بين عصا موسى التي انقلبت إلى الحية وبين عصي السحرة، ولهذا عرف السحرة أن عمله ليس كعملهم، لا لأن العصي مثل الحية التي انقلبت بالنسبة لعصا موسى، يعني: حية كبيرة جدا، لكنها حية حقيقية تغيرت العصا من عصا طبيعية إلى حية حقيقية، بينما عصيهم هم إنما خدعوا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم، وهم يرونها عصا والناس يرونها حيات، وهذا هو الخداع الذي يقوم به السحرة.
فالسحر لا يغير حقائق الأشياء، يعني: عندما يأتي إنسان ويضع شيئا ويرفع المنديل عنه وتكون حمامة لا يعني: أن هذا الشيء حقيقة، مثلا إبريق، هذا الإبريق تغير تماما، فتغيرت مكونات الإبريق وصارت مكونات حمامة وطار لا، وإنما هو خداع لأعين الناس، وهذا هو فن السحر.

---

(١) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية ٥/١٧

لكن الشاهد هو أن هذا -يعني: السحر- لا يغير حقائق الأشياء، وهذا هو الذي دفع السحرة أن يؤمنوا مباشرة، فقد كانت مملكة فرعون من أعظم الممالك المتخصصة في السحر، وقد انتقى أجود السحرة وأحسنهم، وعندما رأوا المعجزة التي جاء بها موسى مباشرة: ﴿قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون﴾ [الأعراف:١٢١ - ١٢٢] بل إنه هددهم بالقتل فأصروا على العمل الذي آمنوا به.

وهكذا في محمد صلى الله عليه وسلم عندما انشق القمر نصفين، وعندما خرج الماء من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام.

وهكذا عندما يكلمه الشجر والحجر، وأنواع متعددة في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، منها: معجزات تتعلق بالأمور الحسية.

ومنها: معجزات تتعلق بالأمور العلمية.

ومنها: دلائل للنبوة على صدقه، وأنه لا يمكن أن يكذب.

الشاهد: أن هذه الأمور كلها أسباب تدعوه إلى الخير، كما أن هناك أسباب تدعوه إلى الشر مثل: وجود الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء، والشهوات المرغبة في الحرام والتي تزين الحرام، قال تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة﴾ [آل عمران:١٤] إلى آخر الآية.

ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أن الله عز وجل خلق النار فأمر جبريل أن ينظر إليها، فقال: إنه لا يراها أحد من عبادك ويدخلها) فحفها بالشهوات، وحف الجنة بالمكاره.

والشاهد من هذا الكلام كله هو: أن العبد مطالب بالعمل، وهناك إرادة حقيقية عند العبد يشعر بها، ولهذا لا يمكن للإنسان أن يكتشف القدر إلا بعد حصول العمل، يعني: الآن هذا كتاب بين أيديكم، أنا بإمكاني أن أقوم وأمزق الكتاب كله وأرميه، هل هذا صعب من ناحية إرادية أو من ناحية عملية؟ فأخذ الكتاب باليد وتمزيق الكتاب ورميه هنا والتحرك بالرجلين ليس أمرا صعبا من الناحية العملية.

وممكن أن آخذ هذا الكتاب وأن أكمل هذا الدرس وأن أخرج والكتاب معي، كلها ممكنة وقبل أن أعمل أنا مختار اختيارا تاما، ولو انتهيت من العمل سواء أنهيت الدرس أو مزقت الكتاب وخرجت، بعدما أنتهي من العمل أعلم أن الله عز وجل كتب هذا أو هذا، لكن قبل العمل لا يمكن أن تقول: إن الله عز وجل كتب عليك أن تمزق الكتاب وتخرج، يعني: كأنه جبرك، يعني: كأن هناك أحد يرفع يدك بدون إرادة منك أنت، ويأخذ الكتاب وأنت غير راغب، وهذه يدك تتحرك بدون إرادة منك وترمي الكتاب وتخرج، بل هذا أمر يشعر به الإنسان، وهو أمر فطري فيه". (١)

٧٦-"الموضع رقم (٤) :- ورد الوصف في قول الكتاب المقدس: (٢١استسلم إلى الله، وتصالح معه فيصيبك خير. ٢٢تقبل الشريعة من فمه، وأودع كلامه في قلبك. ٢٣إن رجعت إلى القدير واتضعت، وإن طرحت الإثم بعيدا عن خيامك، ٢٤ووضعت ذهبك في التراب، وتبر أوفير بين حصى الوادي، ٢٥وإن أصبح القدير ذهبك وفضتك الثمينة، ٢٦عندئذ

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي ٨/٣

تتلذذ نفسك بالقدير، ويرتفع وجهك نحو الله. ٢٧تصلي إليه فيستجيب، وتوفي نذورك، ٢٨ويتحقق لك ما تعزم عليه من أمر، ويضيء نور على سبلك ٢٩حقا إن الله يذل المتكبرين وينقذ المتواضعين، ٣٠وينجي حتى المذنب بفضل طهارة قلبك») .

الكتاب المقدس أيوب ٢٢: ٢١-٣٠

الموضع رقم (٥) :- ورد الوصف في قول الكتاب المقدس: (٢٨فأجاب نبوخذنصر وقال: «تبارك إله شدرخ وميشخ وعبدنغو، الذي أرسل ملاكه وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه وغيروا **كلمة الملك** وأسلموا أجسادهم لكيلا يعبدوا أو يسجدوا لإله غير إلههم. ٢٩فمني قد صدر أمر بأن كل شعب وأمة ولسان يتكلمون بالسوء على إله شدرخ وميشخ وعبدنغو، فإنهم يصيرون إربا إربا، وتجعل بيوتهم مزبلة، إذ ليس إله آخر يستطيع أن ينجي هكذا». ٣٠حينئذ قدم الملك شدرخ وميشخ وعبدنغو في ولاية بابل) .

الكتاب المقدس دانيال ٣ : ٢٨-٣٠". [١]

٧٧-"فأجاب: الحمد لله، قد روى عن سفيان بن عيينة فى جواب هذه المسألة، قال: أنه إذا هم بحسنة شم الملك رائحة طيبة، وإذا هم بسيئة شم رائحة خبيثة، والتحقيق أن الله قادر أن يعلم الملائكة بما فى نفس العبد كيف شاء كما هو قادر على أن يطلع بعض البشر على ما في الإنسان، فإذا كان بعض البشر قد يجعل الله له من الكشف ما يعلم به أحيانا ما فى قلب الإنسان، فالملك الموكل بالعبد أولى بأن يعرفه الله ذلك، وقد قيل فى قوله تعالى: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" أن المراد به الملائكة، والله قد جعل الملائكة تلقى فى نفس العبد الخواطر، كما قال عبدالله بن مسعود:إن للملك لمة،وللشيطان لمة، **فلمة الملك** تصديق بالحق والوعد. (١)

وقال في موضع آخر: فالملك يعلم ما يهم به العبد من حسنة وسيئة، وليس ذلك من علمهم بالغيب الذى اختص الله به، وقد روى عن ابن عيينة أنهم يشمون رائحة طيبة فيعلمون أنه هم بحسنة، ويشمون رائحة خبيثة فيعلمون أنه هم بسيئة، وهم وان شموا رائحة طيبة ورائحة خبيثة فعلمهم لا يفتقر الى ذلك بل ما فى قلب ابن آدم يعلمونه بل ويبصرونه ويسمعون وسوسة نفسه بل الشيطان يلتقم قلبه، فاذا ذكر الله خنس، واذا غفل قلبه عن ذكره وسوس، ويعلم هل ذكر الله أم غفل عن ذكره، ويعلم ما تهواه نفسه من شهوات الغى فيزينها له. (٢)

وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :"من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه". (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٥٣/٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٠٨/٥).

---

[١] أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب المقدس ٢١٤/٢

(٣) رواه النسائي وابن ماجة، ابن حبان في صحيحه، وصحححه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم (١٧٨٧)، وصحيح سنن ابن ماجة برقم (١٣٤٤)، وصحيح الترغيب برقم (١٩).". [١]

٧٨-"قال الطيبي: هذا يدل على أن قول أبواب مفتحة أنها مردودة غير مغلقة، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم، قال تعالى: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ﴾ الآية. ونظير هذا حديث ألا إن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله في الأرض محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فالسور بمنزلة الحمى وحولها بمنزلة الباب، والستور حدود الله، الحد الفاصل بين العبد ومحارم الله وواعظ الله هو **لمة الملك** في قلب المؤمن، والأخرى **لمة الشيطان**، وإنما جعل **لمة الملك** التي هي واعظ الله فوق داعي القرآن لأنه إنما ينتفع به إذا كان المحل قابلا، ولهذا قال تعالى: ﴿ هدى للمتقين ﴾ ، إنما ضرب المثل بذلك زيادة في التوضيح والتقريب ليصير المعقول محسوسا والمتخيل متحققا، فإن التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل، ورفع الحجاب عنه، وإبرازه في صورة المشاهد ليساعد فيه الوهم العقل، فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة الوهم لأن طبعه الميل إلى الحس وحب المحاكاة، ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية، وفشت في عبارات البلغاء وإشارات الحكماء، قال النووي: سر هذا الحديث أنه أقام الصراط معنى للإسلام، وأقام الداعي معنى للكتاب، والداعي الآخر معنى للعظة في قلب كل مؤمن فأنت على الصراط الدائم وهو الإسلام وسامع النداء القائم وهو القرآن، فإن أنت أقمت حركاتك وسكناتك بمدبرك وخالقك بسقوط من سواه أقامك إليه به، وقمت به إليه بسقوطك عنك فحينئذ يكشف لك اسمه الأعظم الذي لا يخيب من قصده به، قال القاضي: وضرب المثل احتماله من ضرب الخاتم، وأصله وقع الشيء على الشيء . (١)

---

(١) فيض القدير .". [٢]

٧٩-"أن للشيطان تأثيرا على بني آدم، لقوله: (فإن لو تفتح عمل الشيطان)، وهذا لا شك فيه، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)(١).

فقال بعض أهل العلم: إن هذا يعني الوساوس التي يلقيها في القلب فتجري في العروق.

وظاهر الحديث: أن الشيطان نفسه يجري من ابن آدم مجرى الدم، وهذا ليس ببعيد على قدرة الله - - عز وجل - -، كما أن الروح تجري مجرى الدم، وهي جسم، إذا قبضت تكفن وتحنط وتصعد بها الملائكة إلى السماء.

ومن نعمة الله أن للشيطان ما يضاده، وهي **لمة الملك**، فإن الشيطان في قلب ابن آدم لمة وللملك لمة، ومن وفق غلبت

---

(١) الإخلاص والإتباع ص/٥٥

(٢) الإخلاص والإتباع ص/٢٠٦

عنده لمة الملك لمة الشيطان، فهما دائما يتصارعان نفس مطمئنة ونفس أمارة بالسوء، وأما النفس اللوامة فهي وصف للنفسين جميعا.

حسن تعليم النبي – صلى الله عليه وسلم – حين قرن النهي عن قول (لو) ببيان علته، لتتبين حكمة الشريعة، ويزداد المؤمن إيمانا وامتثالا.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول: لو، إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك وهو العجز.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران. وهما:

الأولى: ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا ﴾ .

---

(١) البخاري: كتاب الاعتكاف / باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، حديث (٢٠٣٨)، ومسلم: كتاب السلام / باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خاليا بامرأة أن يقول: هذه فلانة، (٢١٧٥).". [١]

٨٠-"أيده بروح القدس) وقال تعالى : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الأيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [المجادلة : من الآية٢٢] وقال : . صلى الله عليه وسلم . (من طلب القضاء واستعان عليه وكل إليه ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده) وقال عبدالله بن مسعود : كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقال ابن مسعود أيضا أن للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك إيعاد بالخير تصديق بالحق ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق وهذا الكلام الذي قاله ابن مسعود هو محفوظ عنه وربما رفعه بعضهم إلى النبي . صلى الله عليه وسلم . وهو كلام جامع لأصول ما يكون من العبد من علم وعمل من شعور وإرادة وذلك أن العبد له قوة الشعور والإحساس والإدراك وقوة الإرادة والحركة وإحداهما أصل الثانية مستلزمة لها والثانية مستلزمة للأولى ومكملة لها فهو بالأولى يصدق بالحق ويكذب

---

(١) الترتيب الفريد من شروحات كتاب التوحيد ١٩/٦١

بالباطل وبالثانية يحب النافع الملائم له ويبغض الضار المنافي له والله سبحانه خلق عباده على الفطرة التي فيها معرفة الحق والتصديق به ومعرفة الباطل والتكذيب به ومعرفة النافع الملائم والمحبة له ومعرفة الضار المنافي والبغض له بالفطرة فما كان حقا موجودا صدقت به الفطرة وما كان حقا نافعا عرفته الفطرة فأحبته واطمأنت إليه وذلك هو المعروف وما كان باطلا معدوما كذبت به الفطرة فأبغضته الفطرة فانكرته قال تعالى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر والإنسان كما سماه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (حيث قال أصدق الأسماء حارث وهمام) فهو دائما يهم ويعمل لكنه لا يعمل إلا ما يرجو نفعه أو دفع مضرته ولكن قد يكون ذلك الرجاء مبينا على اعتقاد باطل إما في نفس المقصود فلا يكون نافعا ولا ضارا وإما في الوسيلة فلا تكون طريقا إليه وهذا جهل وقد يعلم أن هذا الشيء يضره ويفعله ويعلم أنه ينفعه ويتركه لأن ذلك العلم عارضه ما في نفسه من طلب لذة أخرى او دفع ألم آخر جاهلا ظالما حيث قدم هذا على ذاك ولهذا قال أبو العالية سألت أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن قوله تعالى : ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ﴾ [النساء : من الآية١٧] فقالوا كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب وإذا كان الإنسان لا يتحرك إلا راجيا وإن كان راهبا خائفا لم يسع إلا في النجاة ولم يهرب إلا من الخوف فالرجاء لا يكون إلا بما يلقى في نفسه من الإيعاد بالخير الذي هو طلب المحبوب أو فوات المكروه فكل بني آدم له اعتقاد فيه تصديق بشيء وتكذيب بشيء وله قصد وإرادة لما يرجوه مما هو عنده محبوب ممكن الوصول إليه أو لوجود المحبوب عنده أو لدفع المكروه عنه؛ والله خلق العبد يقصد الخير فيرجوه بعمله فإذا كذب بالحق فلم يصدق به ولم يرج الخير فيقصده ويعمل له كان خاسرا بترك تصديق الحق وطلب الخير فكيف إذا كذب بالحق وكره إرادة الخير فكيف إذا صدق بالباطل وأراد الشر فذكر عبدالله بن مسعود أن لقلب ابن آدم لمة من الملك ولمة من الشيطان؛ **فلمة الملك** تصديق بالحق، وهو ما كان من غير جنس الاعتقاد الفاسد، **ولمة الشيطان** هو تكذيب بالحق وإيعاد بالشر؛ وهو ما كان من جنس إرادة الشر وظن وجوده، أما مع رجائه إن كان مع هوى نفس وإما مع خوفه إن كان غير محبوب لها وكل من الرجاء والخوف مستلزم للآخر .

فمبدأ العلم الحق والإرادة الصالحة، من **لمة الملك**، ومبدأ الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة، من **لمة الشيطان**، قال الله تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾ [البقرة : من الآية٢٦٨] [البقرة : ٢٦٨] ، وقال تعالى : ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ﴾ [آل عمران : ١٧٥] أي : يخوفكم أولياءه، وقال تعالى : ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ﴾ [الأنفال : ٤٨]

والشيطان وسواس خناس، إذا ذكر العبد ربه خنس، فإذا غفل عن ذكره وسوس؛ فلهذا كان ترك ذكر الله سببا ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة في القلب، ومن ذكر الله ـ تعالى ـ تلاوة كتابه وفهمه، ومذاكرة العلم، كما قال معاذ بن جبل : ومذاكرته تسبيح .

وقد تنازع أهل الكلام في حصول العلم في القلب عقب النظر في الدليل، فقال بعضهم : ذلك على سبيل التولد . وقال المنكرون للتولد : بل ذلك بفعل الله ـ تعالى ـ والنظر إما متضمن للعلم وإما موجب له، وهذا ينصره المنتسبون للسنة من المتكلمين ومن وافقهم من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وقالت المتفلسفة : بل ذلك يحصل بطريق

الفيض من العقل الفعال عند استعداد النفس لقبول الفيض . وقد يزعمون أن العقل الفعال هو جبريل .
فأما قول القائلين : إن ذلك بفعل الله، فهو صحيح؛ بناء على أن الله هو معلم كل علم وخالق كل شيء، لكن هذا كلام مجمل ليس فيه بيان لنفس السبب الخاص، وأما قول القائلين بالتولد، فبعضه حق وبعضه باطل، فإن كان دعواهم أن العلم المتولد هو حاصل بمجرد قدرة العبد، فذلك باطل قطعا، ولكن هو حاصل بأمرين : قدرة العبد، والسبب الآخر، كالقوة التي في السهم والقبول الذي في المحل، ولا ريب أن النظر هو بسبب، ولكن الشأن فيما به يتم حصول العلم .". (١)

٨١-"كل إنسان وكل به قرين من الجن وقرين من الملائكة

قال المؤلف رحمنا الله تعالى وإياه: [وروى مسلم والإمام أحمد عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، ولكن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير)، الرواية بفتح الميم من (فأسلم)، ومن رواه (فأسلم) برفع الميم فقد حرف لفظه، ومعنى فأسلم أي: فاستسلم وانقاد لي في أصح القولين؛ ولهذا قال: (فلا يأمرني إلا بخير)، ومن قال: إن الشيطان صار مؤمنا فقد حرف معناه فإن الشيطان لا يكون مؤمنا.

ومعنى: ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾ [الرعد:١١] قيل: حفظهم لهم من أمر الله، أي: الله أمرهم بذلك، يشهد لهذا قراءة من قرأ: (يحفظونه بأمر الله).

وقد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية؛ لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم ﴿ يعلمون ما تفعلون ﴾ [الانفطار:١٢]، ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة، وإذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرا)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قالت الملائكة: ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به، قال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرائي)، خرجاها في الصحيحين واللفظ لـ مسلم].

الحديث الذي بدأ به الشارح فيه بيان أن الإنسان موكل به ملائكة يأمرونه بالخير، وهناك شياطين يأمرون الناس بالشر، يسمى هذا قرين وهذا قرين، الجني الذي هو الشيطان قرين سوء، والملك قرين خير، ورد في بعض الأحاديث: (إن للشيطان بقلب الإنسان لمة، وللملك لمة، **فلمة الشيطان** إيعاد بالشر، **ولمة الملك** إيعاد بالخير)، أو كما في الحديث.

إبليس من أهل النار، ومن المعذبين بالنار، وهو مخلوق من النار، والشياطين خلقوا من النار، فأقدم على العذاب، وأقدم على اللعنة، وأقسم أن يغوي جنس الإنسان، وأن يحرص على أن يخرجهم من الإيمان، أقسم بذلك وقال: ﴿ لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا * ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا * يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ [النساء:١١٩-١٢٠].

---

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء ص/٢٣٨

فهذا الشيطان عدو للإنسان، ليس من جنس بني آدم أحد إلا وقد وكل به أو سلط عليه شيطان، ووكل به ملك، فالملك يأمره بالخير، والشيطان يأمره بالشر.

الصحابة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أنت يا رسول الله مثلنا يعني: هل وكل بك ملك وشيطان؟ قال: نعم، ولكن الشيطان الذي وكل بالنبي صلى الله عليه وسلم أعانه عليه، فقال: (أعانني الله عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير)، وليس معناه: أنه أصبح مسلما، بل المراد أنه أذعن واستسلم، ولم يعد يأمر إلا بالخير؛ وذلك لأن الله تعالى عصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يتسلط عليه الشيطان، فأعانه عليه، كما أن الله تعالى سخر الشياطين لسليمان أحد أنبياء الله تعالى، وذللهم له، فصاروا يعملون عنده، يقول تعالى: ﴿ والشياطين كل بناء وغواص * وآخرين مقرنين في الأصفاد ﴾ [ص:٣٧-٣٨] سخرهم الله لسليمان، وأما نبينا عليه الصلاة والسلام فذلل الله له ذلك الشيطان فلم يعد يأمره إلا بخير، أما جنس بني آدم فكل إنسان لابد أن يتسلط عليه هذا الشيطان ويوسوس له، فإذا رزقه الله الإيمان، ورزقه قوة اليقين، فإن تلك الوساوس التي يوسوس بها لا تبقى في قلبه، ولا يصدق بها، بل ينكرها ويدفعها، وهذا حقيقة المؤمن الصحيح الإيمان، ثم يعوضه الله أن الملك الذي هو قرينه يثبته، ويذكره، وينشطه، ويدفعه ويدعوه إلى الخير، ويحثه عليه، فيقوى الجانب الإيماني، وإذا قوي الجانب الإيماني عزم على الأعمال الصالحة، وترك الأعمال السيئة، فهذا هو المؤمن القوي، أما الذي إيمانه ضعيف فإن الشيطان يتقوى عليه، وتتمكن وسوسته من قلبه، وتصده عن الهدى، وتوقعه في الردى، ولا يطيع نصح الناصحين، ولا ينيب إلى **لمة الملك**، ولا يلتفت إليها، فيبقى بعيدا عن الخير، مقبلا على الشر، فهكذا كل إنسان إما أن يكون إيمانه ضعيفا فيقوى عليه قرين السوء وهو الشيطان، وإما أن يكون إيمانه قويا فيقوى عليه قرين الخير وهو الملك.

والقوة والضعف ليست بالقوة البدنية، ولكنها القوة الإيمانية، القوة قوة الإيمان، كون الإيمان راسخا في القلب، إذا جاءته وساوس الشيطان اضمحلت، وإذا جاءته تثبيتات الملك تمكنت وقويت، فهذا هو السبب في انقسام الناس إلى من يكون عدوا لله ومن يكون وليا لله، من يكون وليا للشيطان ومن يكون وليا للرحمن، فأولياء الرحمن هم الذين أطاعوا الله تعالى، وأطاعوا رسله، وصارت الملائكة الذين معهم يرشدونهم إلى الخير، فيتبعونهم، وأولياء الشياطين هم الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله.". (١)

٨٢-"وقرين الإنسان من الملائكة وقرينه من الجن يتعاوران الإنسان ، هذا يأمره بالشر ويرغبه فيهي ، وذاك يحثه على الخير ويرغبه فيه ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك لمة ، فأما **لمة الشيطان** ، فإيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وأما **لمة الملك** ، فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنه من الله ، وليحمد الله ، ومن وجد الأخرى ، فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) [البقرة : ٢٦٨])) .

قال ابن كثير ، بعد إيراده لهذا الحديث : " هكذا رواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما جميعا ، عن هناد

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين ٦/٥٨

بن السري . وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، عن أبي يعلى الموصلي ، عن هناد به ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وهو حديث أبي الأحوص ، يعني سلام بن سليم ... " .

وانظر إلى الحديث التالي كي تعرف كيف يتسابق القرين الجني والقرين الملكي على توجيه الإنسان ، ذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا أوى الإنسان إلى فراشه ، ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك : اختم بخير ، ويقول الشيطان : اختم بشر ، فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه – يعني النوم – طرد الملك الشيطان ، وبات يكلؤه .

فإذا استيقظ ، ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك : افتح بخير ، ويقول الشيطان : افتح بشر ، فإن قال : الحمد لله الذي أحيا نفسي بعدما أماتها ، ولم يمتها في منامها ، الحمد لله الذي يمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، الحمد لله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، الحمد لله يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه) (٢) .". [(١)]

٨٣-"معناه أن فعلك صار سببا لخروجنا ، وإلا فإن موسى عليه الصلاة والسلام أبعد من أن يلوم أباه على ذنب تاب منه واجتبا ربه وهداه ، وهذا ينطبق على الحديث .

وذهب ابن القيم رحمة الله إلى وجه آخر في تخريج هذا الحديث ، وهو أن آدم احتج بالقدر بعد أن مضي وتاب من فعله ، وليس كحال الذين يحتجون على أن يبقوا في المعصية ويستمروا عليها ، فالمشركون لما قالوا : ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ﴾ [الأنعام : ١٤٨] كذبهم الله ، لأنهم لا يحتجون على شيء مضي ويقولون : تبنا إلى الله ، ولكن يحتجون علي البقاء في الشرك .

أن للشيطان تأثيرا على بني آدم ، لقوله : " فإن لو تفتح عمل الشيطان " ، وهذا لا شك فيه ، ولهذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجري الدم " (١).

فقال بعض أهل العلم : إن هذا يعني الوساوس التي يلقيها في القلب فتجري في العروق .

وظاهر الحديث : أن الشيطان نفسه يجري من ابن آدم مجري الدم ، وهذا ليس ببعيد على قدرة الله عز وجل ، كما أن الروح تجري مجري الدم ، وهي جسم ، إذا قبضت تكفن وتحنط وتصعد بها الملائكة إلى السماء .

ومن نعمة الله أن الشيطان ما يضاده ، وهي **لمة الملك** ، فإن للشيطان في قلب ابن آدم لمة وللملك لمة ، ومن وفق غلبت عنده **لمة الملك** **لمة الشيطان** ، فهما دائما يتصارعان نفس مطمئنة ونفس أمارة بالسوء ، وأما النفس اللوامة فهي وصف للنفسين جميعا .

١٠.حسن تعليم النبي – صلى الله عليه وسلم – حين قرن النهي عن قول " لو " ببيان علته ، لتتبين حكمة الشريعة ، ويزداد المؤمن إيمانا وامتثالا .

---

(١) عالم الملائكة الأبرار ص/٣٣

فيه مسائل :

---

(١) البخاري : كتاب الاعتكاف /باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه ، ومسلم : كتاب السلام / باب أنه يستحب لمن رؤي خاليا بامرأة .". [١]

٨٤-"حدثنا هناد حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وهو حديث أبي الأحوص لا نعلمه مرفوعا إلا من حديث أبي الأحوص \٣٠٠٣\
الترمذي في سننه ج٥/ص٢٢٠ ح٢٩٨٨". [٢]

٨٥-"(ان للشيطان لمة) بفتح اللام وشد الميم قربا واتصالا (بابن آدم وللملك لمة) المراد بها فيهما ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك (فأما **لمة الشيطان** فإيعاد منه بالشر وتكذيب بالحق) كان القياس مقابلة الشر بالخير والحق بالباطل لكنه أتى بما يدل على أن كل ما جر إلى الشر فهو باطل وإلى الخير حق فأثبت كلا ضمنا (وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك) أي إلمام الملك (فليعلم أنه من الله تعالى) يعني مما يحبه ويرضاه (فليحمد الله) على ذلك (ومن وجد الأخرى) لم يقل **لمة الشيطان** كراهة لتوالي ذكره على اللسان (فليتعوذ بالله من الشيطان) تمامه ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (ت ن حب عن ابن مسعود) وقال الترمذي (حسن غريب)
(ان للصائم عند فطره لدعوة ما ترد) لأن الصوم يكف شهواته فإذا تركها صفا قلبه وتوالت عليه الأنوار فاستجيب له عند الإفطار (ه ك عن ابن عمرو) بن العاص قال الحاكم إن كان إسحاق مولى زائدة فقد روى له مسلم وإن كان ابن أبي فروة فواه
(ان للطاعم) أي من لم يصم نفلا (الشاكر) لله تعالى على ما أطعمه (من الأجر) أي الثواب الأخروي (مثل ما) أي الأجر الذي (للصائم الصابر) على الجوع والعطش (ك عن أبي هريرة) وسكت عليه (ورواه البخاري تعليقا)
(ان للقبر ضغطة) أي ضيقا لا ينجو منه طالح ولا صالح لكن الكافر تدوم ضغطته بخلاف المؤمن والمراد به التقاء جانبيه عليه (لو كان أحد ناجيا منها نجا منها سعد بن معاذ) اذ ما من احد الا وقد الم بخطيئة فان كان صالحا فهذا جزاؤه ثم تدركه الرحمة وكذلك ضغط سعد حتى اختلفت اضلاعه ثم روخي عنه (حم عن عائشة) (

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد ١١/٢٧٣

(٢) التبويب الموضوعي للأحاديث ١/٩٦٨

واسناده جيد)

(ان للقرشي) أي الواحد من سلالة قريش (مثل قوة الرجلين من غير قريش) أي القوة في الرأي وعلو الهمة وشدة الحزم

(حم حب ك عن جبير) بالتصغير (باسناد صحيح)

". (١)

٨٦-" قوله (أو ليوشكن) أي ليسرعن (عذابا منه)

وفي بعض النسخ عقابا منه (فتدعونه) أي تسألونه (فلا يستجيب لكم) والمعنى والله أن أحد الأمرين واقع إما الأمر والنهي منكم وإما إنزال العذاب من ربكم ثم عدم استجابة الدعاء له في دفعه عنكم بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان فإن كان الأمر والنهي لم يكن عذاب وإن لم يكونا كان عذاب عظيم

قوله (هذا حديث حسن) ذكر المنذري هذا الحديث في الترغيب ونقل تحسين الترمذي وأقره

ورواه البزار والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة كما في الجامع الصغير للسيوطي

[٢١٧٠] قوله (حتى تقتلوا إمامكم) يعني السلطان (وتجتلدوا بأسيافكم) أي تضربوا بها يعني مقاتلة المسلمين بينهم (ويرث دنياكم شراركم) أي يأخذ **الظلمة الملك** والمال

وإيراد هذا الحديث في هذا الباب إما للإشعار بأن هذه الفتنة تقع من أجل ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو تنبيها على أن من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فهو من الذين وصفهم الله بخير الأمة

فالشرار الذين يرثون الدنيا لا يكونون على هذا الوصف وكذا إيراد الحديث الاتي كذا في هامش النسخة الأحمدية

قوله (هذا حديث حسن) وأخرجه بن ماجه ". (٢)

٨٧-" المبدل كما في قولك زيد رأيت غلامه رجلا صالحا (على كنفي الصراط) أي على جانبيها والكنف محركة الجانب (زوران) بضم الزاي تثنية زور أي جداران

وفي حديث بن مسعود عند رزين سوران بضم السين المهملة تثنية سور والظاهر أن السين قد أبدلت بالزاي كما يقال في الأسدي الأزدي (لهما) أي للزورين وفي حديث بن مسعود فيهما (على الأبواب ستور) جمع الستر بالكسر (وداع يدعو على رأس الصراط)

وفي حديث بن مسعود وعند رأس الصراط داع يقول استقيموا على الصراط ولا تعوجوا (وداع يدعو فوقه) أي فوق الداعي الأول (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) وفي حديث بن مسعود وفوق ذلك داع يدعو كلما هم عبد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه (والأبواب التي على كنفي الصراط حدود الله) أي محارمه (والذي يدعو من فوقه واعظ ربه) وفي حديث بن مسعود ثم فسره فأخبر أن

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير . للمناوى ١/٦٨٤

(٢) تحفة الأحوذي ٦/٣٢٦

الصراط هو الاسلام وأن الأبواب المفتحة محارم الله وأن الستور المرخاة حدود الله وأن الداعي على رأس الصراط هو القرآن وأن الداعي من فوقه هو واعظ الله في قلب كل مؤمن

قال الطيبي قوله هو واعظ الله في قلب كل مؤمن هو **لمة الملك** في قلب المؤمن واللمة الأخرى هي **لمة الشيطان** قوله (هذا حديث حسن غريب) وأخرجه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان (سمعت عبد الله بن عبد الرحمن) هو الدارمي (يقول سمعت زكريا بن عدي) قال في التقريب زكريا بن عدي بن الصلت التيمي مولاهم أبو يحي نزيل بغداد وهو آخر يوسف ثقة جليل يحفظ من كبار العاشرة ووقع في بعض النسخ زكريا بن أبي عدي بزيادة أبي بين بن وعدي وهو غلط لأنه ليس في شيوخ الدارمي ولا في أصحاب أبي إسحاق الفزاري من يسمى بزكريا بن أبي عدي (يقول قال أبو إسحاق الفزاري) اسمه إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حفص بن حذيفة ثقة حافظ له تصانيف من الثامنة (خذوا عن بقية ما حدثكم عن الثقات) وكذلك قال غير ". (١)

٨٨-" إلا أن تغمضوا فيه بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله قال أي النبي (أهدي) بصيغة المجهول من الإهداء (إلا على إغماض) أي مساهلة ومسامحة يقال أغمض في البيع يغمض إذا استزاده من المبيع واستحطه من الثمن فوافقه عليه

قوله (هذا حديث حسن صحيح غريب) وأخرجه بن ماجه وبن جرير وبن أبي حاتم والحاكم

قوله (إن للشيطان) أي إبليس أو بعض جنده (لمة) بفتح اللام وشدة الميم من الإلمام ومعناه النزول والقرب والإصابة والمراد بها ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك (بابن آدم) أي بهذا الجنس فالمراد به الإنسان (وللملك لمة) **فلمة الشيطان** تسمى وسوسة **ولمة الملك** إلهاما (فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر) كالكفر والفسق والظلم (وتكذيب بالحق) أي في حق الله أو حق الخلق أو بالأمر الثابت كالتوحيد والنبوة والبعث والقيامة والنار والجنة (وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير) كالصلاة والصوم (وتصديق بالحق) ككتب الله ورسوله والإيعاد في اللمتين من باب الإفعال والوعيد في الاشتقاق كالوعد إلا أن الإيعاد اختص بالشر عرفا يقال أوعد إذا وعد بشر إلا أنه استعمله في الخير للازدواج والأمن عن الاشتباه بذكر الخير بعده كذا قالوا والظاهر أن هذا التفصيل عند الإطلاق كما قال الشاعر وإني إن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وأما عند التقييد فالأولى أن يقال بالتجريد فيهما أو بأصل اللغة واختيار الزيادة لاختيار المبالغة فمن وجد أي في نفسه أو أدرك وعرف (ذلك) أي **لمة الملك** على تأويل الإلمام أو المذكور (فليعلم أنه من الله) أي منة جسيمة ونعمة عظيمة واصلة إليه ونازلة عليه إذ أمر الملك بأن يلهمه (فليحمد الله) أي على هذه النعمة الجليلة حيث أهله لهداية الملك ودلالته على ذلك الخير (ومن وجد الأخرى) أي **لمة الشيطان** (ثم قرأ) أي النبي استشهادا الشيطان يعدكم الفقر ".

---

(١) تحفة الأحوذي ١٢٤/٨

(١)

٨٩-"٢٢٠ - قوله (طلب العلم فريضة)

قال البيهقي في المدخل أراد والله تعالى أعلم العلم الذي لا يسع البالغ العاقل جهله أو علم ما يطرأ له أو أراد أنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم به من فيه كفاية وقال سئل ابن المبارك عن تفسير هذا الحديث فقال ليس هو الذي يظنون إنما هو أن يقع الرجل في شيء من أمور دينه فيسأل عنه حتى يعلمه وقال البيضاوي المراد من العلم ما لا مندوحة للعبد منه كمعرفة الصانع والعلم بوحدانيته ونبوة رسوله صلى الله عليه وسلم وكيفية الصلاة فإن تعلمه فرض عين وقال الثوري هو الذي لا يعذر العبد في الجهل به وقال الشيخ أبو حفص هو المشهور فإن غيره اختلف في العلم الذي هو فريضة فقيل هو علم الإخلاص مأمور به كما أن العلم مأمور به وشهوات النفس تخرب مباني الإخلاص من المأمور به فصار علم ذلك فرضا وقيل معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأن الخواطر في نشأة العقل وبذلك يعلم الفرق بين **لمة الملك** **ولمة الشيطان** وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقيل هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقيل هو علم الفرائض الخمس التي بني عليها الإسلام وقيل هو طلب علم التوحيد بالنظر والاستدلال والنقل وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهو الذي يكتسب بصحبة الصالحين والزهاد والمقربين فهم ورثة علم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انتهى

قوله (على كل مسلم)

أي مكلف ليخرج غير المكلف من الصبي والمجنون وموضوعه الشخص فيشمل الذكر والأنثى وقال السخاوي في المقاصد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث ومسلمة وليس لها ذكر في شيء من طرقه وإن كانت صحيحة المعنى وواضع عند غير أهله قال الطيبي هذا يشعر بأن كل مسلم يختص باستعداد وله أهل فإذا وضعه في غير موضعه فقد فمثله تقليد أخس الحيوانات بأنفس الجواهر تهجينا لذلك الوضع وتنفيرا عنه وفي تعقب هذا التمثيل قوله طلب العلم إعلام بأنه ينبغي لكل أحد طلب ما يليق باستعداده ويوافق منزلته بعد حصول ما هو واجب من الفرائض العامة وعلى العالم أن يخص كل طالب بما هو مستعد له انتهى وفي الزوائد إسناده ضعيف لضعف حفص بن سليمان وقال السيوطي سئل الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى عن هذا الحديث فقال إنه ضعيف أي سندا وإن كان صحيحا أي معنى وقال تلميذه جمال الدين المزي هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن وهو كما قال فإني رأيت له نحو خمسين طريقا وقد جمعتها في جزء انتهى ". (٢)

٩٠-"يبدأ أول ما يبدأ بالقليل فإذا علم الله من قلبه الخير والإخلاص وإرادة وجهه فتح له بالكثير ، حتى يصبح يجلس المجلس فيه المطولات والمناقشات والأقوال والردود فيخرج وقد جمع علما كثيرا وخيرا كثيرا بل لربما يجلس في المجلس

(١) تحفة الأحوذي ٨/٢٦٥

(٢) حاشية السندي على ابن ماجه ١/٢٠٨

بعد أن اعتاد يستطيع إذا ذكر الدليل أن يعرف كيف يستدل صاحب القول قبل أن يذكر وجه دلالته وهذا مجرب ومشاهد ؛ ولكن وطن نفسك بالإخلاص ، وبقوة العزيمة ، ولا تسأم وأوصى طالب العلم -خاصة ونحن في بداية الكتاب أي شيء تجده في قلبك من السآمة والملل وسوء الظن.. وهذا شيء صعب .. وهذا شيء .. كله من الشيطان والنفس الأمارة بالسوء وأي شيء وجدته سيفتح الله ييسر الله .. إن شاء الله يعين الله .. أنا أبذل ما أستطيع .." يكون من **لمة الملك** ، وإذا بالله-؟- يكون عند حسن ظنك فإن ظننت به خيرا كان لك منه من الخير ما يكون فوق الحسبان ولذلك يقول الله-؟- : ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا﴾[الأنفال ، آية : ٧٠] ، فلذلك لا تقل : أنا عامي ، ولا تقل: أنا ما أعرف .. لست من طلاب العلم . لا ..!! أنت طالب علم في كل شيء تفهمه وأي حكمة تتعلمها فأنت طالب علم لأنك تحتاجها ، وطالب العلم لا يختص بإنسان معين مفرغ تمام التفرغ لطلب العلم قد يكون الإنسان طالب علم وهو حداد.. وهو نجار، وقد يفوق طلاب العلم المتفرغين لطلب العلم بإخلاصه وجده ومثابرته وصدق عزيمته .". (١)

٩١-"يبدأ أول ما يبدأ بالقليل فإذا علم الله من قلبه الخير والإخلاص وإرادة وجهه فتح له بالكثير ، حتى يصبح يجلس المجلس فيه المطولات والمناقشات والأقوال والردود فيخرج وقد جمع علما كثيرا وخيرا كثيرا بل لربما يجلس في المجلس بعد أن اعتاد يستطيع إذا ذكر الدليل أن يعرف كيف يستدل صاحب القول قبل أن يذكر وجه دلالته وهذا مجرب ومشاهد ؛ ولكن وطن نفسك بالإخلاص ، وبقوة العزيمة ، ولا تسأم وأوصى طالب العلم -خاصة ونحن في بداية الكتاب أي شيء تجده في قلبك من السآمة والملل وسوء الظن.. وهذا شيء صعب .. وهذا شيء .. كله من الشيطان والنفس الأمارة بالسوء وأي شيء وجدته سيفتح الله ييسر الله .. إن شاء الله يعين الله .. أنا أبذل ما أستطيع .." يكون من **لمة الملك** ، وإذا بالله-؟- يكون عند حسن ظنك فإن ظننت به خيرا كان لك منه من الخير ما يكون فوق الحسبان ولذلك يقول الله-؟- : ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا﴾[الأنفال ، آية : ٧٠] ، فلذلك لا تقل : أنا عامي ، ولا تقل: أنا ما أعرف .. لست من طلاب العلم . لا ..!! أنت طالب علم في كل شيء تفهمه وأي حكمة تتعلمها فأنت طالب علم لأنك تحتاجها ، وطالب العلم لا يختص بإنسان معين مفرغ تمام التفرغ لطلب العلم قد يكون الإنسان طالب علم وهو حداد.. وهو نجار، وقد يفوق طلاب العلم المتفرغين لطلب العلم بإخلاصه وجده ومثابرته وصدق عزيمته .". (٢)

٩٢-"إذا عرف أنه اطلع عليه ورده، أو تأوله بوجه من الوجوه، فلا والأمر هنا محتمل.

وصحح النووي تصحيح الرفع، وعبارة النووي خلافا للأكثرين، وقد قال أبو داود: إن الحديث رواه الثقفي عن عبيد الله فلم يرفعه وهو الصحيح، وكذا رواه موقوفا الليث وابن جريج ومالك.

ورواة الحديث الخمسة ما بين بصري ومدني وشيخ المؤلف من أفراده، وفيه التحديث والعنعنة وأخرجه أبو داود.

(ورواه حماد بن سلمة، عن أيوب عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-) وصله المؤلف في جزء: رفع

---

(١) شرح الترمذي للشنقيطي ٤٣/٢

(٢) شرح الترمذي للشنقيطي ٤٣/٤٨

اليدين عن موسى بن إسماعيل عن حماد مرفوعا بلفظ: إذا كبر رفع يديه، وإذا ركع رفع رأسه من الركوع.
(ورواه ابن طهمان) إبراهيم (عن أيوب، وموسى بن عقبة مختصرا) وصله البيهقي من طريق عمر بن عبد الله بن رزين، عن إبراهيم بن طهمان، عن أيوب وموسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر أنه: كان يرفع يديه حين يفتتح الصلاة، وإذا ركع، وإذا استوى قائما من ركوعه، حذو منكبيه، ويقول: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يفعل ذلك.
وقال الدارقطني: ورواه ابن صخر، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر موقوفا.

٨٧ - باب وضع اليمنى على اليسرى

(باب وضع) المصلي يده (اليمنى على) اليد (اليسرى) أي في حال القيام. وزاد الأصيلي والهروي: في الصلاة، وسقط الباب للأصيلي.
٧٤٠ - حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: "كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة. قال أبو حازم لا أعلمه إلا ينمي ذلك إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-". قال إسماعيل: ينمى ذلك" ولم يقل "ينمي".

وبالسند قال: (حدثنا عبد الله بن مسلمة) القعنبي (عن مالك) إمام دار الهجرة (عن أبي حازم) بالحاء المهملة، ابن دينار الأعرج (عن سهل بن سعد) بسكون العين الساعدي الأنصاري (قال: كان الناس يؤمرون)، الآمر لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- (أن) أي: بأن (يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة) أي يضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرى، والرسغ من الساعد. كما في حديث واثلة المروي عند أو داود والنسائي، وصححه ابن خزيمة.
والحكمة في ذلك أن القائم بين يدي الملك الجبار يتأدب بوضع يده على يده، أو هو أمنع للعبث، وأقرب إلى الخشوع.
والرسغ المفصل بين الساعد والكف، والسنة أن يجعلهما تحت صدره. الحديث عند ابن خزيمة: أنه وضعهما تحت صدره. لأن القلب موضع النية، والعادة أن من احترز على حفظ شيء جعل يديه عليه.
وقال في عوارف المعارف: إن الله تعالى بلطيف حكمته جعل الآدمي محل نظره، ومورد وحيه، ونخبة ما في أرضه وسمائه، روحانيا جسمانيا، أرضيا سماويا، منتصب القامة، مرتفع الهيئة، فنصفه الأعلى من حد الفؤاد مستودع أسرار السماوات، ونصفه التحتاني مستودع أسرار الأرض، فمحل نفسه ومركزها النصف الأسفل، ومحل روحه الروحاني، والقلب النصف الأعلى، فجواذب الروح مع جواذب النفى يتطاردان ويتجاذبان ويتحاربان، وباعتبار تطاردهما وتغالبهما لمة الملك ولمة الشيطان، ووقت الصلاة يكثر التطارد لوجوب التجاذب بين الإيمان والطبع، فيكاشف المصلي الذي صار قلبه سماويا مترددا بين الفناء والبقاء بجواذب النفس، متصاعدا من مركزها،
وللجوارح وتصرفها وحركتها مع معاني الباطن ارتباط وموازنة، فبوضع اليمنى على الشمال حصر النفس ومنع من صعود جواذبها، وأثر ذلك يظهر برفع الوسوسة، وزوال حديث النفس في الصلاة.
وروى ابن القاسم، عن مالك، الإرسال وصار إليه أكثر أصحابه، وعن الحنفية: يضع يديه تحت سرته إشارة إلى ستر العورة

بين يدي الله تعالى، وكان الأصل أن يقول: يضعون فوضع المظهر موضع المضمر.
(قال أبو حازم) الأعرج: (لا أعلمه) ولابن عساكر: ولا أعلمه، أي الأمر (إلا) أن سهلا (ينمي ذلك) بفتح أوله، أي: يسنده ويرفعه (إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-. قال إسماعيل) هو ابن أبي أويس، لا إسماعيل بن إسحاق القاضي، ولابن عساكر: قال محمد: قال إسماعيل، ويعني بمحمد المؤلف (ينمي ذلك) بضم الياء وفتح الميم، بالبناء للمفعول (ولم يقل) أبو حازم: (ينمي) بفتح أوله وكسر الميم، كرواية القعنبي.
ولما فرغ من الكلام في وضع اليمنى على اليسرى، وهي صفة السائل الذليل، وأنه أقرب إلى الخشوع، شرع يذكر الخشوع، حثا للمصلي على ملازمته". (١)

٩٣-"حكم الاستعانة بالكافر

وهنا قبل أن نأتي إلى الدروع نأتي إلى ما هو أهم من ذلك، صفوان لا زال على دين قومه مشركا، والرسول صلى الله عليه وسلم يقاتل مشركين، فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم ويستعين بـ صفوان ويستعير منه أدرعا و صفوان ما زال مشركا، فهل في هذه الاستعارة استعانة أو لا؟ الجواب: نعم، فيها استعانة، وهي استعانة بمشرك.

إذا: نقف هنا ونقول بكل وضوح إلى أنه لا مانع للمسلم إن احتاج أن يستعين بغير المسلم على عدو دينه سواء كان العدو مشركا أو كتابيا أو غير ذلك، وهذه المسألة كنا قد سمعنا فيها سابقا كلاما كثيرا وما أحببنا الخوض فيها ولا الوقوف عليها أو تناولها.

واستدل بعض الناس بحديث: (ارجع فإنا لا نستعين بمشرك) وكتبت الصحف في ذلك وتكلم الناس واستدلوا بما ذكرنا بحديث الرجل الذي أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالروحاء وقال: (خرجت أقاتل معك -حمية لقومه- وأرجو الغنيمة، فقال له: أسلمت؟ قال: لا، قال: ارجع لا نستعين بمشرك)، ثم رجع إليه وفي المرة الثالثة (قال: نعم، أسلمت، قال: فامض إذا) فهناك يقول: (لا نستعين بمشرك) وهنا يستعير من مشرك، والناس لهم في هذا نظران: قالوا: إن غزوة بدر كانت في السنة الثانية فقال: (لا نستعين بمشرك) من أجل ترسيخ العقيدة، ووضع خط الفصل بين الإيمان والشرك، وعزل المؤمنين عن المشركين واستقلالهم بذاتهم وتميزهم، وأما في حنين فقد تميز الإسلام بذاته، وأصبحت له خصوصيته ومكانته ودولته فلا يضره بعد ذلك مخالطة المشركين.

وبعضهم يقول: ما كان في بدر فهو في السنة الثانية وما كان في حنين فهو في السنة الثامنة والمتأخر ناسخ للمتقدم، ووالدنا الشيخ الأمين رحمة الله تعالى علينا وعليه بحث هذه المسألة في أضواء البيان وذكر فيها أقوالا عديدة، ورجح جواز الاستعانة بغير المسلم ما لم يكن في ذلك حيف أو مضرة على الإسلام أو المسلمين.

وفي قصة الهجرة التي هي من أخطر أحداث الإسلام كان الصديق رضي الله تعالى عنه حينما كان مع رسول الله ذاهبين ليلا من البيت إلى الغار فكان يمشي تارة خلفه وتارة أمامه وتارة عن يمينه وتارة عن يساره فقال النبي صلى الله عليه

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٧٥/٢

وسلم: (ما بالك يا أبا بكر ؟! قال: يا رسول الله! أتذكر الرصد فأكون أمامك، وأتذكر الطلب فأكون وراءك، قال: أوددت لو كان شيء أن يكون فيك أنت؟ قال: نعم، يا رسول الله! إن أهلك أهلك وحدي أما أنت فمعك الرسالة)، فهذه مخاطرة في الخروج في الهجرة في كونه يشق مواقع ومنازل القبائل المعادية ويخاطر أمام فداء بمائة ناقة لمن أتى به حيا أو ميتا، ولكن عناية الله هي التي كانت ترعاه.

فهنا حدث الهجرة من أخطر أحداث الإسلام ولهذا لما فكر عمر بنظره الثاقب ونوره الإيماني بوضع التاريخ اعتبر الهجرة هي بداية التاريخ؛ لأن بها انتقل الإسلام من المطاردة إلى المهاجمة، ومع هذه الخطر كان دليل الركب في الهجرة عبد الله بن أريقط .

و عبد الله بن أريقط كان على دين قومه ومع كونه على دين قومه كانوا يأتمنونه على أرواحهم ورواحلهم وزادهم وأسرارهم، وتواعدوا معه عند الغار بعد ثلاث؛ لأن عنده المروءة، والرجولة، والصدق، والوفاء، وهذه جعلته يتعالى فوق الماديات، فضحى بنفسه، وما ذهب يقول للمشركين: تعالوا أنا أدلكم عليهما وأعطوني المائة حتى تكون غنيمة لي طول عمري؛ ولكن هذه المائة لا قيمة لها في الغدر، ففي هذه القصة استعانة بمشرك في أخطر وقائع الإسلام.

نأتي أيضا إلى تعامل الرسول في المدينة مع اليهود فقد كان يعاملهم ويبيع ويشري منهم، وفي نهاية الأمر كان درعه مرهونا عندي يهودي في ثلاثين صاعا من طعام، فبالنظر إلى قضية صفوان تهدئ ما في ثائرة نفوس بعض الإخوة في قضية (لا نستعين بمشرك) ويمكن الاستدلال أيضا من نفس الواقعة، فالرسول صلى الله عليه وسلم يوم خرج إلى بدر هل خرج لقتال جيش أو لأخذ عير؟ الجواب: خرج لأخذ عير، يعني: أنه في غنى عن أن يستعين بمشرك، ولا توجد حاجة داعية لهذه الاستعانة، لكن إذا كانت الحاجة داعية فسيتغير الموقف ويتغير الحكم، فلو قلنا: إنه رده في بادئ الأمر ليتميز الإسلام عن غيره بخط واضح عريض فلا بأس بهذا القول، وإن قلنا إنه رده كما يقول بعض العلماء: لعلم رسول الله بما أعلمه الله أنه إذا رده يسلم فيكون رده لا لكونه مشركا ولكن بغية أن يسلم، ولكن هذا الشيء نحن لا ندخل فيه؛ لأنه خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم، والأعمال التشريعية هي للأمة وهو ما عنده علم بأنه سيسلم أو لا يسلم.

لكن إذا قلنا: بأن الواقعة التي توجه إليها صلى الله عليه وسلم في نظره وفي تقديره وفي حكم القوة والعسكرية كما يقال، تدل على أنه ليس في حاجة إلى عدد كثير؛ لأنه عند خروجه من المدينة قال: (من كان ظهره حاضرا فليركب) واستمهلوه أن يأتوا برواحلهم من العوالي، فقال: ما أنا بمنتظر، فإذا كان ما هو بمنتظر للمسلمين فهل يبقى في حاجة إلى أن يأخذ مشركا؟! وأما هنا فالموقف مغاير؛ لأن هوازن ذات شوكة، ونحن نعلم ماذا حدث حينما بادروهم بالنبل عند نزولهم الوادي فرجعوا حتى نادى رسول الله العباس وأمره أن ينادي أصحاب الشجرة –أهل بيعة الرضوان– وأهل العقبة فناداهم فرجعوا والتفوا حوله وكان النصر، فلم تغن عنهم كثرتهم في ذلك اليوم.

إذا: هو كان في حاجة إلى عدد أكثر، وفي حاجة إلى عتاد يوازي أو يغطي حاجة العدد الجديد الذي خرج معه من مكة.

إذا: نحن في الوقت الحاضر قد تطرأ على المسلمين أحداث، ويكون عدوهم أكثر منهم عتادا وعدة ورجالا، ونجد من غير المسلمين من يمد المسلمين بالإعارة أو بالإجارة أو بالهبة أو بأي صفة كانت، فهل نتوقف عن هذه الإعارة أو

الإجارة ونترك العدو يتمكن منا أو نقبل عارية المشرك أو حتى ما وراء الآلة؟ الجواب: أننا نقبل، وقد ذكرت لكم كلمة الملك فيصل رحمه الله في هيئة الأمم، عند أن استحكم المعسكر الشيوعي وبدأت المملكة في مبدأ تنويع مصادر السلاح؛ لأن وحدة مصدر السلاح خطر على الأمة؛ لأن الأمة تكون تحت رحمة مصدر سلاح واحد، وأنتم تعلمون أن في حرب العبور بعض الدول سحبت طيرانها من المعركة، فلو كان الاعتماد على جهة واحدة لوقفنا، وروسيا بالذات امتنعت أن تقدم قطع الغيار لطيرانها الموجود في مصر إلا بدفع القيمة نقدا وبالعملة الصعبة، ومصر في ذلك الوقت ليس عندها عملة صعبة ولا سهلة؛ لأنها في حرب، خرجت من ثلاثة حروب، فكيف يكون الحال؟! واعتقد أن هذا ليس بسر؛ لأنهم يقولون: أخبار الحروب بعد خمس عشر سنة لم تعد سرا، فالملك فيصل سجل أعظم موقف في الحروب وفي التاريخ، فلما أخبره السادات بالموقف استشار الملك فيصل مستشاريه الماليين فقالوا: ما عندك مال، فقال: بل عندي، فقالوا: نحن المختصين بالمال نعرف أنه ليس عندك، وأنت تقول: عندي، فمن أين؟ قال: من رصيد الريال في البنك الدولي، فالريال كان ضمانه كاد أن يصل إلى مائتين في المائة ويصير من العملة الصعبة، فأخذ من رصيده شيكا مفتوحا ودفع للسادات ما دفعه لروسيا قيمة قطع الغيار واستمرت الحرب.

وهنا أخذ الملك فيصل في ذاك الوقت سلاحا من روسيا شراء، فقالوا له: أنتم دولة إسلامية وتحاربون الشيوعيين ثم تشترون منهم سلاحا! فقال: أنتم امتنعتم أن تبيعوا لنا ونحن اشترينا منهم حديدا مصنعا وليس مبادئا شيوعية، أي: أن الذي اشتريناه هو حديد مصنع ليس فيه مبادئ شيوعية، والمدفع الروسي والمدفع الأمريكي كلاهما حديد مصنع وليس بينهما فرق.

يهمنا أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم واستعارته الدروع من صفوان وهو على دين قومه مبدأ من مبادئ الحروب مع العدو إذا احتاجت الأمة من غيرها عتادا عارية أو شراء أو استئجارا.". (١)

٩٤-" ٢١٥ - أهل الله الخ قال في النهاية أي حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به ١٢ قوله واقرأوه وارقدوا والظاهر أن الواو في قوله وارقدوا بمعنى أو فهو مثل قوله تعالى أمنوا أو لا تؤمنوا فالمراد منه ان من شاء قرأ فله الأجر ومن شاء رقد فعليه الوزر ثم بين المثالين أو الواو للجمع أي اجمعوا القراءة مع الرقود كما كان دابه صلى الله عليه و سلم بحيث لا تشاء الا درايته مصليا ولا تشاء الا درايته نائما انجاح الحاجة لمولانا المحدث شاه عبد الغني الدهلوي رحمه الله تعالى

٢١٩ - يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم أية الخ الحديث يدل على أن تعلم العلم خير من كثرة الأعمال لأن تعلم أية خير من مائة ركعة ولهذا قال صلى الله عليه و سلم العلماء ورثة الأنبياء وقال أحمد الجامي رحمه الله للشيخ المودود الحشتي الصوفي الجاهل مسخرة للشيطان فاذهب تعلم العلم اولا ثم ارشد الناس الى سبيل الرشاد كما كان آباؤك يفعلون ودل الحديث أيضا على أن العالم ان لم يعمل بعلمه بحيث جاءه الموت بغتة أو اشتغل في تعليم الناس بحيث فاته الأعمال جوزي

---

(١) شرح بلوغ المرام ٢١٢/١٠

بمثل ما جوزي العامل ولذا قال فقهاؤنا ان العالم إذا صار مرجعا للناس وسعة ترك السنن الرواتب ولم يجز له ان يخرج الى الغزوة والجهاد إذا لم يكن في البلد عالم غيره وفي الحديث دليل أيضا على ان تعلم العلم خير من تعلم القرآن إذا قرأ ما يصح به الصلاة بعشر درجة ولذلك قال الفقهاء الحنفية يؤم القوم أعلمهم بكتاب الله ثم أقرؤهم به انجاح الحاجة

٢ – قوله

٢٢١ – الخير عادة والشر لجاجة الخ المراد منه والله اعلم ان الإنسان مجبول على الخير قال الله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقال صلى الله عليه و سلم ما من مولود لا وقد يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه الحديث والشر لجاجة واللجاجة بالفتح الخصومة ويقال للنفس اللجوج لأنه منصوب بعداوة الإنسان كما جاء في الخبر اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك فالمراد منه ان النفس تتلج وتضطر الى الشرارة فالواجب على كل انسان ان يزيل تلك الشرارة عن نفسه بما جاء من موعظة الله ورسوله فإن الأنبياء قد بعثوا التزكية النفوس قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها انجاح

٣ – قوله

٢٢٣ – ان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وذلك إشارة الى رذالة الدنيا وانهم لم يأخذوا منها الا بقدر ضرورتهم فلم يورثوا منها شيئا مبالغة في تنزيههم عنها ولذا قال قيل الصوفي لا يملك ولا يملك وفيه ايملو الى كمال توكلهم على الله تعالى في أنفسهم واولادهم وأشعار بأن طالب الدنيا ليس من العلماء الورثة ولا يرد الاعتراض بأنه كان لبعض الأنبياء غناء كثير لأن المراد أنهم ما تركوا بعدهم ميراثا لأولادهم وازواجهم ويذكر عن أبي هريرة رض أنه مر يوما في السوق على المشتغلين بتجاراتهم فقال أنتم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه و سلم في المسجد فقاموا سراعا فلم يجدوا فيه الا القرآن أو الذكر أو مجالس العلم فقالوا أين ما قلت يا أبا هريرة فقال هذا ميراث محمد صلى الله عليه و سلم يقسم بين ورثته و ليس مواريثه دنياكم انجاح

٤ – قوله

٢٢٤ – طلب العلم فريضة على كل مسلم سئل الشيخ محي الدين النووي عن هذا الحديث فقال أنه ضعيف وان كان صحيحا وقال تلميذه الحافظ جمال الدين المزي هذا الحديث روى من طريق تبلغ رتبة الحسن وهو كما قال فأني رأيت له خمسين طريقا وقد جمعتها في جزء قال البيهقي في المدخل اما أرادوا الله اعلم العلم العام الذي لا يسع البالغ العاقل جهله أو علم ما يطرأ له خاصة أو أراد أنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم به من فيه كفاية ثم روى عن بن المبارك انه سئل عن تفسيرهذا الحديث فقال ليس هو الذي يظنون انما طلب العلم فريضة ان يقع الرجل في شيء من أمور دينه فيسأل عنه حتى يعلمه وقال البيضاوي المراد من العلم هنا مالا مندوحة للعبد عن تعلمه كمعرفة الصانع والعلم بوحدانيته ونبوة رسوله وكيفية الصلاة فإن تعلمه فرض عين زجاجة

٥ – قوله وواضع العلم عند غير أهله قال الطيبي يشعر بأن كل علم يختص باستعداد وله أهل فإذا وضعه في غير موضعه فقد ظلم فمثل معنى الظهر بتقليلد اخس الحيوان بأنفس الجواهر التسجين ذلك الوضع والتنفير عنه قال الشيخ أبو حفص السهروردي اختلف في العلم الذي هو فريضة قيل هو علم الإخلاص ومعرفة النفس والنفوس وما يفسد الأعمال

لأن الإخلاص مأمور به كما ان العمل مأمور به وخدع النفس وغرورها وشهواتها تخرب مباني الإخلاص المأمور به فصار علم ذلك فرضا وقيل معرفة الخواطر وتفصيلها لأن الخواطر منشاء الفعل وبذلك يعرف الفرق بين **لمة الملك** وبين **لمة الشيطان** وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقيل هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقيل هو علم الفرائض الخمس التي بني عليه الإسلام وقيل هو علم التوحيد بالنظر والاستدلال أو النقل وقيل هو علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهو الذي يكتسب بصحبة الصالحين والزهاد والمتعبدين فهم وارثو علم النبي صلى الله عليه و سلم زجاجة

٦ – قوله

٢٢٦ – انبط العلم من الانباط نبط العلم أي ظهره ويفشيه والاستنباط الاستخراج والنبط والنبيط الماء الذي يخرج لمن فعر البئر إذا حضرت كذا في الدر النثير أي جئت لإظهار العلم وتحصيله من العلماء انجاح

٧ قوله ". [(١)]

٩٥–"ثم روي عن ابن المبارك أن سئل عن تفسير هذا الحديث ، فقال : ليس هو الذي تظنون ، إنما طلب العلم فريضة أن يقع الرجل في شئ من أمر دينه ، فيسأل عنه حتى يعلمه.

وقال البيضاوي : المراد بالعلم هنا ، ما لا مندوحة للعبد عن تعلمه ، كمعرفة الصانع ، والعلم بوحدانيته ، ونبوة رسوله ، وكيفية الصلاة ، فإن علمه فرض عين.

وقال الشيخ السهروردي : قيل هو علم الإخلاص بمعرفته آفات النفوس ، وما يفسد الأعمال ، لأن الإخلاص مأمور به ، وقيل : معرفة الخواطر ، إذ به يعرف الفرق بين **لمة الملك** ، **ولمة الشيطان** ، وقيل هو طلب علم الحلال ، حيث كان أكل الحلال فريضة ، وقيل : هو علم البيع والشراء ، والنكاح والطلاق ، إذا أراد الدخول في شئ من ذلك يجب عليه طلب علمه ، وقيل هو طلب علم الفرائض الخمس التي بني الإسلام عليها.

وقيل هو علم التوحيد بالنظر والاستدلال ، وقيل : هو طلب علم الباطن ، وما يزداد به العبد يقينا ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

حديث السواك

أبو حنيفة (عن علي بن الحسن الرداد) بتشديد الراء (عن تمام) بتشديد الميم الأولى (عن جعفر بن أبي طالب) وهو ذو الجناحين ، أسلم قديما ، وكان أكبر من أخيه علي بعشر سنين ، وكان أشبه الناس خلقا وخلقا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى عنه ابنه عبد الله ، وخلق كثير من الصحابة والتابعين ، قتل شهيدا يوم مؤتة سنة ثمان ، وله إحدى وأربعون سنة ، فوجد فيما أقبل من جسده ، تسعون ضربة ، ما بين طعنة برمح وضربة بسيف (أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " إني أراكم قلحا) بضم القاف وتشديد المفتوحة ، وبالحاء

---

(١) شرح سنن ابن ماجه – السيوطي وآخرون ص/٢٠

المهملة ، جمع". (١)

٩٦-" ٢٣٨٤ - (إن للشيطان لمة) بالفتح قرب وإصابة من الإلمام وهو القرب (يابن آدم وللملك لمة) المراد بها فيهما ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك (فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق) فإن الملك والشيطان يتعاقبان تعاقب الليل والنهار فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره وآخر بضده ومنهم من يكون زمنه نهاراكله وآخر بضده قال القاضي : والرواية الصحيحة إيعاد على زنة إفعال في الموضعين (فمن وجد ذلك) أي إلمام الملك (فليعلم أنه من الله) يعني مما يحبه ويرضاه (فليحمد الله) على ذلك (ومن وجد الأخرى) أي **لمة الشيطان** (فليتعوذ بالله من الشيطان) تمامه ثم قرأ ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ اه قال القاضي : والإيعاد وإن اختص بالشر عرفا يقال أوعد إذا وعد وعدا شرا إلا أنه استعمل في الخير للازدواج والأمن من الاشتباه بذكر الخير بعده اه ونسب **لمة الملك** إلى الله تعالى تنويها بشأن الخير وإشادة بذكره في التمييز بين اللمتين لا يهتدي إليه أكثر الناس والخواطر بمنزلة البذر فمنها ما هو بذر السعادة ومنها ما هو بذر الشقاوة وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء لا خامس لها كما قاله العارف السهروردي ضعف اليقين أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى أو محبة الدنيا ومالها وجاهها وطلب المنزلة والرفعة عند الناس فمن عصم من هذه الأربعة فرق بين **لمة الملك** **ولمة الشيطان** ومن ابتلى بها لم يفرق وانكشاف بعض الخواطر دون بعض لوجود هذه الأربعة دون بعض واتفقوا على أن كل من أكل من الحرام لا يفرق بين الوسوسة والإلهام (٢) قال الغزالي : الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر سميت به لأنها تخطر بعد أن كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركة للإرادات وتنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى [ص ٥٠٠] الخير أي ما ينفع في الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى إلهاما والمذموم يسمى وسواسا وهذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الأسباب فمهما استنار حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود علم أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذا الأنوار في القلب وظلماته سببان فسبب الخاطر الداعي للخير يسمى ملكا والداعي للشر شيطانا واللطف الذي به تهيأ القلب لقبول **لمة الملك** يسمى توقيفا واللطف الذي به تهيأ القلب لقبول وسواس الشيطان إغواء وخذلانا فإن المعاني مختلفة إلى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف والشيطان عبارة عن خلق شأنه الوعيد بالشر والأمر بالفحشاء فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه يشير بآية ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله أمضاه وما كان من عدوه جاهده والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة وآثار الشياطين صلاحا متساويا لكن يترجح أحدهما باتباع الهوى والاكباب على الشهوات والإعراض عنها ومخالفتها واعلم

---

(١) شرح مسند أبي حنيفة ص/٥٣٩

(٢) تنبيه

أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعا أنه داعي إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة وإلى ما يعلم أنه داعي إلى الخير فلا يشك كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من **لمة الملك** أو **لمة الشيطان** فإن من مكايد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز بينهما غامض فحق العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه **لمة الملك** أو **لمة الشيطان** وأن يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور اليقين وغزارة العلم ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ﴾

(ت ن) كلاهما في التفسير (حب عن ابن مسعود) قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعا إلا من حديث أبي الأحوص وسندهما سند مسلم إلا عطاء بن السائب فلم يخرج له مسلم إلا متابعة ". [١]

٩٧-" ٥٢١١ - (ضرب الله تعالى مثلا صراطا مستقيما) قال الطيبي : بدل من مثلا لا على إهدار المبدل كقوله زيد رأيت غلامه رجلا صالحا إذ لولا أسقط غلامه لم يتبين (وعلى جنبتي) بفتح النون والباء بضبط المصنف (الصراط) أي جانبيه وجنبة الوادي جانبه وناحيته وهي بفتح النون والجنبة بسكون النون الناحية ذكره ابن الأثير (سوران) تثنية سور قال الطيبي : [ص ٢٥٤] سوران مبتدأ وعلى جنبتي خبره والجملة حال من صراطا وقوله (فيهما أبواب) الجملة صفة لسوران (مفتحة وعلى الأبواب ستور) جمع ستر (مرخاة) أي مسبلة (وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط) وفي رواية استقيموا على الصراط (جميعا ولا تعوجوا) أي لا تميلوا يقال عاج يعوج إذا مال عن الطريق (وداع يدعو عن فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك) زجر له من تلك الهمة وهي كلمة ترحم وتوجع يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها (لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه) أي تدخل الباب وتقع في محارم الله قال الطيبي : هذا يدل على أن قول أبواب مفتحة أنها مردودة غير مغلقة (فالصراط الإسلام والسوران حدود الله تعالى والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم) قال تعالى ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ﴾ الآية . قال الطيبي : ونظير هذا حديث ألا إن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في الأرض محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالسور بمنزلة الحمى وحولها بمنزلة الباب والستور حدود الله الحد الفاصل بين العبد ومحارم الله وواعظ الله هو **لمة الملك** في قلب المؤمن والأخرى **لمة الشيطان** وإنما جعل **لمة الملك** التي هي واعظ الله فوق داعي القرآن لأنه إنما ينتفع به إذا كان المحل قابلا ولهذا قال تعالى ﴿ هدى للمتقين ﴾ إنما ضرب المثل بذلك زيادة في التوضيح والتقريب ليصير المعقول محسوسا والمتخيل متحققا فإن التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل ورفع الحجاب عنه وإبرازه في صورة المشاهد ليساعد فيه الوهم العقل فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة الوهم لأن طبعه الميل إلى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية وفشت في عبارات البلغاء وإشارات الحكماء قال النووي : سر هذا الحديث أنه أقام الصراط معنى للإسلام وأقام الداعي معنى للكتاب والداعي الآخر معنى للعظة في قلب كل مؤمن فأنت على الصراط الدائم وهو الإسلام وسامع النداء القائم وهو القرآن فإن أنت أقمت حركاتك

---

(١) فيض القدير ٢/٤٩٩

وسكناتك بمدبرك وخالقك بسقوط من سواه أقامك إليه به وقمت به إليه بسقوطك عنك فحينئذ يكشف لك اسمه الأعظم الذي لا يخيب من قصده به قال القاضي : وضرب المثل احتماله من ضرب الخاتم وأصله وقع الشيء على الشيء

(حم ك) في الإيمان وكذا الطبراني (عن النواس) ابن سمعان قال الحاكم : على شرط مسلم ولا علة له وأقره الذهبي وقضية صنيع المصنف أن هذا لا يوجد مخرجا لأحد من الستة والأمر بخلافه فقد عزاه في الفردوس للترمذي في الأمثال ". (١)

٩٨-" ٥٢٦٥ - (طلب العلم فريضة على كل مسلم) قال السهروردي : اختلف في العلم الذي هو فريضة قيل هو علم الإخلاص ومعرفة آفات النفس وما يفسد العمل لأن الإخلاص مأمور به كما أن العمل مأمور به وخدع النفس وغرورها وشهواتها يخرب مباني الإخلاص فصير علمه فرضا وقيل معرفة الخواطر وتفصيل عللها منشأ الفعل وذلك يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان وقيل علم نحو البيع والشراء وقيل علم التوحيد بالنظر والاستدلال والنقل علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهو الذي يكتسب لصحبة الأولياء فهم وراث المصطفى صلى الله عليه و سلم قال الغزالي في المنهاج : العلم المفروض في الجملة ثلاثة علم التوحيد وعلم السر وهو ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعة والذي يتعين فرضه من علم التوحيد ما تعرف به أصول الدين وهو أن تعلم أن لك إلها قادرا عالما حيا مريدا متكلما سميعا بصيرا لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها عن دلالات الحدث متفردا بالقدم وأن محمدا رسوله الصادق فيما جاء به ومن علم السر معرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل لك الإخلاص والنية وسلامة العمل ومن علم الشريعة كل ما وجب [ص ٢٦٨] عليك معرفته لتؤديه وما فوق ذلك من العلوم الثلاثة فرض كفاية (وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب) يشعر بأن كل علم يختص باستعداد وله أهل فإذا وضعه في غير محله فقد ظلم فمثل معنى الظلم بتقليد أخس الحيوان بأنفس الجواهر لتهجين ذلك الوضع والتنفير عنه

(هـ) في السنة عن هاشم بن عمار عن حفص بن سليمان عن كثير بن شطير عن ابن سيرين (عن أنس) قال المنذري : سنده ضعيف وقال المناوي وغيره : حفص بن سليمان ابن امرأة عاصم ثبت في القراءة لا في الحديث وقال البخاري : تركوه وقال البيهقي : متنه مشهور وطرقه كلها ضعيفة وقال البزار : أسانيده واهية وقال السخاوي : حفص ضعيف جدا بل اتهم بالكذب والوضع لكن له شاهد وقال ابن عبد البر : روي من وجوه كلها معلولة لكن معناه صحيح لكن قال الزركشي في اللآلئ : روي من طرق تبلغ رتبة الحسن وقال المصنف : حديث حسن فقد قال المزني : روي من طرق تبلغ رتبة الحسن وقال المصنف في الدرر : في طرقه كلها مقال لكنه حسن ". (٢)

---

(١) فيض القدير ٢٥٣/٤

(٢) فيض القدير ٢٦٧/٤

٩٩-"يكون للشيطان وإن لم يجر له ذكر لدلالة السياق عليه ويحتمل أن يكون للرجل والأمر يحتمل أن يكون واحد الأوامر وأن يكون بمعنى الشأن يعني كان الشيطان يأمر الناس بالكفر قبل هذا وأما الآن فلا سبيل إليهم سوى الوسوسة ولا بأس بها مع العلم بأنها قبيحة والتعوذ بالله منها أو المعنى الحمد لله الذي رد شأن هذا الرجل من الكفر إلى الوسوسة وهي معفوة رواه أبو داود وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله إن للشيطان أي إبليس أو بعض جنده لمة اللمة بالفتح من الإلمام ومعناه النزول والقرب والإصابة والمراد بها ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك بابن آدم أي بهذا الجنس فالمراد به الإنسان وللملك لمة **فلمة الشيطان** تسمى وسوسة **ولمة الملك** إلهاما فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر كالكفر والفسق والظلم وتكذيب بالحق أي في حق الله أو حق الخلق أو بالأمر الثابت كالتوحيد والنبوة والبعث والقيامة والنار والجنة وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير كالصلاة والصوم وتصديق بالحق ككتب الله ورسوله والإيعاد في اللمتين من باب الأفعال والوعيد في الإشتقاق كالوعد إلا أن الإيعاد اختص بالشر عرفا يقال أو وعد إذا وعد بشر إلا أنه استعمله في الخير للإزدواج والأمن عن الإشتباه بذكر الخير بعده كذا قالوا والظاهر أن هذا التفصيل عند الإطلاق كما قال الشاعر وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي وأما عند التقييد فالأولى أن يقال بالتجريد فيهما أو بأصل اللغة واختيار الزيادة لاختيار المبالغة فمن وجد أي في نفسه أو أدرك وعرف ذلك أي **لمة الملك** على تأويل الإلمام أو المذكور فليعلم أنه من الله أي منة جسيمة ونعمة عظيمة واصلة إليه ونازلة عليه إذ أمر الملك بأن يلهمه فليحمد الله أي على هذه النعمة الجليلة حيث أهله لهداية الملك ودلالته على ذلك الخير تصديقا وتحصيلا ثم معرفة الخواطر والتمييز بينها محل بسطها كتب الصوفية وقيد بينها الغزالي في منهاج". (١)

١٠٠-"العابدين تبيينا لطيفا واتفق المشايخ على أن من كان مأكله من الحرام لا يميز بين الوسوسة والإلهام بل قال الدقاق من كان قوته معلوما أي بأن لم يتوكل على الله حق توكله لا يفرق
بينهما ثم الإلهام وإن كان غير معتبر في حق الأحكام لكنه معتبر في معرفة وساوس النفس ومكائد الشيطان وإنما قدمها هنا وأخرها أولا لأن **لمة الشيطان** شر والإبتلاء بها أكثر فكانت الحاجة ببيانها أمس ولما فرغ منه قدم **لمة الملك** تعظيما لشأنها وإشعارا بأن رحمته سبقت غضبه ومن وجد الأخرى أي **لمة الشيطان** فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وليخالفه وفيه إيماء إلى أن الكل من الله تعالى وإنما الشيطان عبد مسخر أعطي له التسليط على بعض أفراد الإنسان كما قال تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان الحجر وإنما لم يقل هنا فليعلم أنه من الله تأدبا معه إذ لا يضاف إليه إلا الخير ثم قرأ استشهادا الشيطان يعدكم الفقر أي يخوفكم به ويأمركم بالفحشاء أي بالبخل والحرص وسائر المعاصي فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة أو معناه الشيطان يعدكم الفقر ليمنعكم عن الإنفاق في وجوه الخيرات ويخوفكم الحاجة لكم أو لأولادكم في ثاني الحال سيما في كبر السن وكثرة العيال ويأمركم بالفحشاء أي المعاصي وهذا الوعد والأمر هما المرادان بالشر في الحديث وتتمة الآية والله يعدكم مغفرة أي لذنوبكم على الصبر في الفقر والطاعة منه أي من عنده عدلا وفضلا أي يعدكم زيادة

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/٣٣٣

الخير على المغفرة وثواب الطاعة بالأضعاف المضاعفة أو خلفا في الدنيا وعوضا في العقبى والله واسع عليم تذييل للكلام السابق إشارة إلى سعة مغفرته ورحمته ووفور علمه بأحوال العباد ومصالحهم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وتعريف الغرابة وتفصيلها متنا وإسنادا مذكور في أصول الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله قال لا يزال الناس يتساءلون أي لا ينقطعون عن سؤال بعضهم بعضا في أشياء حتى يقال هذا خلق الله الخلق مر البيان فيه فمن خلق الله". (١)

١٠١-"لما قبله أي لا تميلوا إلى الأطراف قال الطيبي عطف على استقيموا على الطرد والعكس لأن مفهوم كل منهما يقرر منطوق الآخر وبالعكس وفوق ذلك عطف على وعند رأس الصراط والمشار

إليه بذلك الصراط أو الداعي داع يدعو كلما هم عبد أي قصد وأراد أن يفتح شيئا أي قدرا يسيرا من تلك الأبواب أي ستورها قال الطيبي كلما ظرف يستدعي الجواب وهو قال ا هـ والضمير في قال راجع إلى الداعي ويحك زجر له عن تلك الهمة وهي كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها كذا قاله الطيبي يعني ثم استعمل لمجرد الزجر عما هم به من الفتح لا تفتحه أي شيئا من تلك الأبواب أي ستورها وقال الأبهري هذا يدل على أن تلك الأبواب مردودة فمعنى قوله سابقا أبواب مفتحة غير مغلقة ا هـ وهو خلاف الظاهر فإنك إن تفتحه تلجه أي تدخله يعني لا تقدر أن تملك نفسك وتمسكها عن الدخول بعد الفتح ثم فسره أي أراد تفسيره فاخبر أن الصراط هو الإسلام وهو طريق مستقيم والمطلوب من العبد الإستقامة عليه وأن الأبواب المفتحة محارم الله فإنها أبواب للخروج عن كمال الإسلام والإستقامة والدخول في العذاب والملامة وأن الستور المرخاة حدود الله قال الطيبي الحد الفاصل بين العبد ومحارم الله كما قال الله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها البقرة ا هـ والظاهر والله أعلم أن المراد من الستور الأمور المستورة الغير المبينة من الدين المسماة بالشبهة المعبر عنها بحول الحمى في الحديث المشهور وأن الداعي وفي نسخة والداعي بالرفع على رأس الصراط هو القرآن وأن الداعي من فوقه أي فوق الصراط أو من فوق الداعي الأول هو واعظ الله في قلب كل مؤمن قال الطيبي هو لمة الملك في قلب المؤمن واللمة الأخرى هي لمة الشيطان ا هـ أي التي أثرها الهم وكان الأظهر أن يقول والهم لمة الشيطان رواه رزين أي عن ابن مسعود ورواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان عن النواس بفتح النون وتشديد الواو ابن سمعان بكسر السين المهملة وقيل بفتحها". (٢)

١٠٢-"على الشيطان لأن الفقيه لا يقبل أغواءه ويأمر الناس بالخير على ضد ما يأمرهم بالشر من ألف عابد قيل المراد به الكثرة وذلك لأن الشيطان كلما فتح بابا من الأهواء على الناس وزين الشهوات في قلوبهم بين الفقيه العارف بمكائده ومكامن غوائله للمريد السالك ما يسد ذلك الباب ويجعله خائبا خاسرا بخلاف العابد فإنه ربما يشتغل بالعبادة وهو في حبائل الشيطان ولا يدري رواه الترمذي وابن ماجه قال الربيع حديث لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٣٤/١

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧٩/٢

عابد رواه البيهقي في الشعب والطبراني في الأوسط وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعا به في حديث وقال الطبراني سنده ضعيف وله شواهد أسانيدها ضعيفة ا هـ لكن كثرة طرقه تخرجه عن الضعف خصوصا حيث اعتضده برواية الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس وعن أنس قال قال رسول الله طلب العلم أي الشرعي فريضة أي مفروض فرض عين على كل مسلم أو كفاية والتاء للمبالغة أي ومسلمة كما في رواية قال الشراح المراد بالعلم ما لا مندوحة للعبد من تعلمه كمعرفة الصانع والعلم بوحدانيته ونبوة رسوله وكيفية الصلاة فإن تعلمه فرض عين وأما بلوغ رتبة الإجتهاد والفتيا ففرض كفاية قال السيد ويمكن أن يعم العلم ويحمل الكلام على المبالغة ا هـ وفيه تأمل قال الأبهري واختلف في العلم الذي هو فرض وتحزبوا فيه أكثر من عشرين فرقة فكل فريق نزل الوجوب على العلم الذي بصدده ا هـ قال الشيخ العارف الرباني السهروردي اختلف في هذا العلم الذي هو فريضة قيل هو علم الإخلاص ومعرفة آفات النفس وما يفسد الأعمال لأن الإخلاص مأمور به فصار علمه فرضا آخر وقيل معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأن الخواطر هي منشأ الفعل وبذلك يعلم الفرق بين **لمة الشيطان** و**لمة الملك** وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال واجبا وقيل علم البيع والشراء والنكاح إذا أراد الدخول في شيء منها وقيل علم الفرائض الخمس وقيل هو طلب علم التوحيد بالنظر والإستدلال والنقل وقيل هو طلب علم الباطن". (١)

١٠٣-"الوهم من قبل الطيرة وكره أن يتم كلامه ذلك لما يتضمنه من الحالة المكروهة وهذا نوع من أدب الكلام يكتفي دون المكروه منه بالإشارة فلا يضرب لنفسه مثل السوء ولكن الله الرواية بتشديد النون ونصب الجلالة ويجوز تخفيفه ورفعها يذهبه بضم الياء من الإذهاب على ما في الأصول المعتمدة والنسخ المصححة أي يزيل ذلك الوهم المكروه بالتوكل أي بسبب الاعتماد عليه والاستناد إليه سبحانه وحاصله أن الخطرة ليس بها عبرة فإن وقعت غفلة لا بد من رجعة وأوبة من حوبة كما ورد عنه من حديث عبد الله بن عمرو برواية أحمد والطبراني ولفظه من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك وكفارة ذلك أن يقول اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك وسيأتي في الفصل الثالث ما ينصره وأغرب الطيبي في اشتغاله بالمبنى وغفلته عن المعنى فقال في قوله يذهبه بالتوكل جاء بفتح الياء وضمها وعلى الثاني اجتمع فيه حرفا التعدية للتأكيد والمراد بالأذهاب ما يخطر في قلب المؤمن من **لمة الملك** المذهبة **للمة الشيطان** اه وفيه أبحاث ثلاثة أما الأول فقوله بفتح الياء غير صحيح لأنه يصير فعلا لازما وقد اجتمعت النسخ على وجود الضمير البارز وعلى تقدير عدمه يختل المعنى إذ يصير التقدير ولكن الله يذهب وفساده لا يخفى وأما الثاني فقوله بضم الياء أي مع كسر الهاء صحيح لكن قوله اجتمع فيه حرفا التعدية للتأكيد غلط صريح فإن الباء للسببية لا للتعدية وإلا لفسد المعنى لأنه يصير مآل الكلام لكن الله يزيل التوكل وفساده ظاهر لا سيما مع الاستدراك فإنه وهم باهر وأما الثالث فقوله والمراد بالإذهاب ما يخطر في قلب المؤمن من **لمة الملك** المذهبة **للمة الشيطان** فإنه مع عدم صحة الحمل وكونه مناقضا لكلامه السابق المفهوم منه إن التوكل هو المذهب بسبب الهمزة وباء التعدية مقلوب المعنى هنا لأن الصواب أن يقال المراد بالضمير البارز

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٣١/٢

أو بالمذهب ما يخطر في قلب المؤمن من **لمة الشيطان** المذهبة **للمة الملك** لأنهما". (١)

١٠٤-"٧٣- قوله : (إني أحدث نفسي) أي أكلمها بالسر أي توسوسني (بالشيء) هو في قوة النكرة معنى وإن كان معرفة لفظا ؛ لأن "ال" فيه للجنس مثل قول الشاعر :

ولقد أمر على اللئيم يسبني

والجملة الاسمية بعده صفة له ، وهي قوله : (لأن أكون حممة) بضم ففتح أي فحما (أحب إلي من أن أتكلم به) أي أحدث نفسي بشيء لكوني حممة أحب إلي من التكلم بذلك الشيء من غاية قبحه لتعلقه بالخوض في ذات الله تعالى ، وما لا يليق به سبحانه من تجسيم وتشبيه وتعطيل ونحوها ، واللام للقسم أو للابتداء (قال) ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ (الحمد لله) شكرا لما أنعم الله عليه وعلى أمته (الذي رد أمره إلى الوسوسة) قال القاري : الضمير فيه يحتمل أن يكون للشيطان وإن لم يجر له ذكر لدلالة السياق عليه ، ويحتمل أن يكون للرجل ، والأمر يحتمل أن يكون واحد الأوامر وأن يكون بمعنى الشأن ، يعني كان

رواه أبو داود.

٧٤- (١٢) وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : ((إن للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك لمة ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله

الشيطان يأمر الناس بالكفر قبل هذا ، وأما الآن فلا سبيل له إليهم سوى الوسوسة ، ولا بأس بها مع العلم بأنها قبيحة والتعوذ بالله منها ، أو المعنى : الحمد لله الذي رد شأن هذا الرجل من الكفر إلى الوسوسة ، وهي معفوة – انتهى.(رواه أبوداود) في الأدب ، وأخرجه أيضا أحمد والنسائي وابن أبي شيبه ، وصححه ابن حبان.". (٢)

١٠٥-"٧٤- قوله : (إن للشيطان) أي إبليس أو بعض جنده (لمة) أي قربا أي وساوس ، يوصلها إلى قلب العبد المكلف بحيث يقربه إلى المعاصي ، واللمة بفتح اللام وشدة الميم من الإلمام ومعناه النزول والقرب والإصابة ، والمراد بها ما يقع في القلب بواسطة الشيطان من خطرات الشر (بابن آدم) أي بهذا الجنس ، فالمراد به الإنسان (وللملك لمة) المراد بها ما يقع في القلب من خطرات الخير ، **ولمة الشيطان** تسمى وسوسة **ولمة الملك** إلهاما (فأما **لمة الشيطان**) أي وسوسته (فإيعاد) أي منه (بالشر) كالكفر والفسق والظلم (وتكذيب بالحق) أي في حق الله أو حق الخلق ، أو بالأمر الثابت كالتوحيد والنبوة والبعث والقيامة والجنة والنار. قال المناوي : كان القياس مقابلة الشر بالخير أو الحق بالباطل ، لكنه أتى

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٣/٣٣١

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح ١/٣٨٥

بما يدل على أن كل ما جر إلى الشر باطل أو إلى الخير حق ، فأثبت كلا ضمنيا (فإيعاد بالخير) كالصلاة والصوم (وتصديق بالحق) ككتب الله ورسله ، والإيعاد في اللمتين من باب الإفعال ، والوعيد في الاشتقاق كالوعد ، إلا أن الإيعاد اختص بالشر عرفا ، يقال : أوعد إذا وعد بالشر ، إلا أنه استعمله في الخير للازدواج والأمر من عن الاشتباه بذكر الخير بعده.
قال القاري : إن هذا التفصيل عند الإطلاق كما قال الشاعر :
وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي". [1]

١٠٦-"وأما عند التقييد فالأولى أن يقال بالتجريد فيهما أو بأصل اللغة ، واختيار الزيادة لاختيار المبالغة – انتهى.
وقال الشاه ولي الله الدهلوي : الحاصل أن صورة تأثير الملائكة في نشأة الخواطر الأنس والرغبة في الخير ، وتأثير الشياطين فيها الوحشة وقلق النفس والرغبة في الشر (فمن وجد) أي في نفسه أو أدرك وعرف (ذلك) أي **لمة الملك** على تأويل الإلمام أو المذكور (فليعلم أنه من الله) أي منة جسيمة ونعمة عظيمة واصلة إليه ونازلة عليه ، إذ أمر الملك بأن يلهمه ، أو فليعلم أنه مما يحبه الله ويرضاه (فليحمد الله) أي على هذه النعمة الجليلة حيث أهله لهداية الملك ودلالته على ذلك الخير (ومن وجد الأخرى) أي **لمة الشيطان** ، ولم يصرح به كراهة لتوالي ذكره على اللسان ، أو استهجانا لذكره (فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ : "الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " ، رواه الترمذي. وقال هذا حديث غريب.

". [2]

١٠٧-"الفتح. (لا تفتحه) أي شيئا من تلك الأبواب أي ستورها (تلجه) أي تدخله من الولوج ، يعني لا تقدر أن تملك نفسك وتمسكها عن الدخول بعد الفتح. (ثم فسره) أي رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ (أن الصراط هو الإسلام) وهو طريق مستقيم ، والمطلوب من العبد الاستقامة عليه أي امتثال جميع أحكامه. (وأن الأبواب المفتحة محارم الله) أي المعاصي التي حرمها الله على الناس ، فإنها أبواب للخروج من كمال الإسلام والاستقامة ، والدخول في العذاب والملامة. (وأن الستور المرخاة حدود الله) قيل : الحد الفاصل بين العبد ومحارم الله والمانع له من ارتكابها ، كما قال الله تعالى : "تلك حدود الله فلا تعتدوها " [٢٢٩ : ٢] ، وهي عبارة عن أحكامه ، وقيل : المراد من الستور الأمور المستورة الغير المبينة من الدين المسماة بالشبهة المعبر عنها بحول الحمى. (وأن الداعي من فوقه) أي من فوق الداعي الأول. (هو واعظ الله في قلب كل مؤمن) هو **لمة الملك** في قلب المؤمن ، والهم **لمة الشيطان**. (رواه رزين) أي عن ابن مسعود.
١٩٢- قوله : (ورواه أحمد) الخ. (ج٤ : ص١٨٢ ، ١٨٣) من طريقين في أحدهما بقية بن الوليد ، وهو صدوق كثير التدليس ، لكن صرح بسماعه من بحير بن سعد' وأخرجه أيضا الحاكم (ج١ : ص٧٣) وقال : صحيح على شرط مسلم

(١) مشكاة المصابيح مع شرح مرعاة المفاتيح ٣٨٦/١
(٢) مشكاة المصابيح مع شرح مرعاة المفاتيح ٣٨٧/١

، ولا أعرف له علة. ووافقه الذهبي. (عن النواس) بفتح النون وتشديد الواو (بن سمعان) بفتح السين المهملة ، وقيل بكسرها وسكون الميم ، وبالعين المهملة ، العامري الكلابي ، سكن الشام ، صحابي ، ولأبيه أيضا صحبة. روي له سبعة عشر حديثا ، انفرد له مسلم بثلاثة. (وكذا الترمذى عنه) أي روى عن النواس في الأمثال ، وحسنه (إلا أنه) أي الترمذي (ذكر أخصر منه) أي من هذا الحديث ، أو أخصر مما ذكر غيره.
". (١)

١٠٨-"توضيح اللحن الجلي وضرب الأمثلة على ذلك

Q ما هو اللحن الجلي مع توضيح ذلك؟

A اللحن الجلي: هو أن يلحن في تشكيل حرف، أو ألا يخرج لسانه في حرف يستوجب الإخراج، مثل قوله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ [الضحى:١١]، فيقول فيها: فحدس، فكلمة (حدس) لها معنى آخر، و (حدث) لها معنى آخر، ويعتبر لحنا جليا؛ لأنه غير معنى الكلمة.

كذلك قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده﴾ [فاطر:٢٨] فالقارئ رفع لفظ الجلالة وقال: إنما يخشى الله، والقراءة المتواترة: ﴿إنما يخشى الله﴾ [فاطر:٢٨] فإن قال: (الله) غير المعنى.

كذلك: ﴿أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ [التوبة:٣]، يعني: أن الله والرسول بريئان من المشركين، فإنه قال: (ورسوله) أثبت أن الله بريء من رسوله! فغير المعنى، فانتبه يا عبد الله! فهذا معناه أن التشكيل يغير المعنى ويجعل للكلمة موقعا آخر.

وبعض الإخوة يخطئ في القراءة بأن يقف في غير الموقف الصحيح، كأن يقول: ﴿لمن الملك اليوم﴾ [غافر:١٦]، ويريد أن يبدع فيقول: ﴿الملك اليوم لله﴾ [غافر:١٦] وهذا خطأ؛ لأن ﴿لمن الملك اليوم﴾ [غافر:١٦] جملة، و ﴿لله الواحد القهار﴾ [غافر:١٦] جملة أخرى، فإن بدأ بقوله: ﴿الملك اليوم لله﴾ [غافر:١٦] غير موقع **كلمة الملك**.

مثل ذلك: ﴿ويتجنبها الأشقى﴾ [الأعلى:١١]، فيخطئ ويقول: ﴿الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى﴾ [الأعلى:١١ - ١٢]، فجعل الأشقى مبتدأ، وأصلها: ﴿ويتجنبها الأشقى﴾ [الأعلى:١١].

ومثل ذلك: قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه﴾ [يوسف:٥١]، فيخطئ في هذه القراءة فيقول: ﴿الحق أنا راودته عن نفسه﴾ [يوسف:٥١]، وكأنه لغز، فيغير المعنى تماما ويظن أنه يبدع في القراءة.

فبعض الناس يقرأ وهو لا يتقن البدء، لذلك هناك ما يسمى عند العلماء في القرآن بالبدء القبيح، مثاله: في قوله تعالى في سورة النور: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ [النور:١٩]، فإذا به يقول: ((الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة))! أعوذ بالله! إنك غيرت المعنى، فهذا يسمى بدءا قبيحا.

وقد كنت أصلي المغرب خلف إمام فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾ [التحريم:٦] فانقطع نفسه، فقال بعدها: ((والحجارة عليها ملائكة غلاظ))، فجعل الحجارة هي التي عليها ملائكة نسأل

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح ٦٨٨/١

الله العافية! فانظر إلى البدء القبيح كيف يغير المعنى، فلا ينبغي لإمام أن يبدأ بهذه الطريقة.". [1]

١٠٩-"الجهاد فرض على الكفاية؛ إلا أن يتعين فيكون فرضا على الأعيان؛ مثل أن يقصد العدو بلدا؛ أو مثل أن يستنفر الإمام أحدا (١).

وطلب العلم الشرعي فرض على الكفاية إلا فيما يتعين (٢)؛ مثل طلب كل واحد علم ما أمره الله به وما نهاه عنه؛ فإن هذا فرض على الأعيان كما أخرجاه في الصحيحين عن ابن شهاب قال قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول «من يرد الله به

---

(١) - والجهاد يتعين في ثلاث حالات:

١ - إذا هجم العدو على بلاد الإسلام ولم يمكن دفعه إلا بجهاد المسلمين جميعا، وأما إذا استطاع أهل البلد دفعه صار فرض عين عليهم فقط، كما سبق تفصيله.

٢ - إذا استنفر الإمام طائفة أو أهل بلد، تعين عليهم، لما في الصحيحين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا".

٣ - إذا التقى الصفان وكان عدد الكفار لا يزيد عن ضعفي المسلمين، ولم يبلغ المسلمون اثني عشر ألفا، لقوله - صلى الله عليه وسلم -: "لن يغلب قوم عن قلة يبلغون أن يكونوا اثني عشر ألفا" رواه الإمام أحمد واللفظ له، والترمذي والدرامي من حديث ابن عباس. المغني - (ج ٢٠ / ص ٤١١) وفتاوى الشبكة الإسلامية - (ج ٥٩ / ص ٣٠٨)

(٢) - سنن ابن ماجه برقم (٢٢٩) وفي المعجم الكبير للطبراني - (ج ٩ / ص ٤٢) برقم (١٠٢٨٦) عن ابن مسعود و الشعب (١٦٦٣ و ١٦٦٤ و ١٦٦٧ و١٦٧٢) و هـ (٢٢٤) و مجمع ١/ ١١٩ و ١٢٠ و صحيح الجامع (٣٩١٣) من طرق عن عدد من الصحابة أشهرهم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «طلب العلم فريضة على كل مسلم». وهو صحيح لغيره

وفي حاشية السندي على ابن ماجه - (ج ١ / ص ٢٠٨) برقم (٢٢٠) قوله (طلب العلم فريضة) قال البيهقي في المدخل أراد والله تعالى أعلم العلم الذي لا يسع البالغ العاقل جهله أو علم ما يطرأ له أو أراد أنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم به من فيه كفاية وقال سئل ابن المبارك عن تفسير هذا الحديث فقال ليس هو الذي يظنون إنما هو أن يقع الرجل في شيء من أمور دينه فيسأل عنه حتى يعلمه وقال البيضاوي المراد من العلم ما لا مندوحة للعبد منه كمعرفة الصانع والعلم بوحدانيته ونبوة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وكيفية الصلاة فإن تعلمه فرض عين وقال الثوري هو الذي لا يعذر العبد في الجهل به وقال الشيخ أبو حفص هو المشهور فإن غيره اختلف في العلم الذي هو فريضة فقيل هو علم الإخلاص مأمور به كما أن العلم مأمور به وشهوات النفس تخرب مباني الإخلاص من المأمور به فصار علم ذلك فرضا وقيل معرفة الخواطر وتفصيلها

---

[1] شرح صحيح البخاري - أسامة سليمان ٢١/٦

فريضة لأن الخواطر في نشأة العقل وبذلك يعلم الفرق بين **لمة الملك ولمة الشيطان** وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقيل هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقيل هو علم الفرائض الخمس التي بني عليها الإسلام وقيل هو طلب علم التوحيد بالنظر والاستدلال والنقل وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهو الذي يكتسب بصحبة الصالحين والزهاد والمقربين فهم ورثة علم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انتهى

قوله (على كل مسلم) أي مكلف ليخرج غير المكلف من الصبي والمجنون وموضوعه الشخص فيشمل الذكر والأنثى وقال السخاوي في المقاصد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث ومسلمة وليس لها ذكر في شيء من طرقه وإن كانت صحيحة المعنى وواضع عند غير أهله قال الطيبي هذا يشعر بأن كل مسلم يختص باستعداد وله أهل فإذا وضعه في غير موضعه فقد فمثله تقليد أخس الحيوانات بأنفس الجواهر تهجينا لذلك الوضع وتنفيرا عنه وفي تعقب هذا التمثيل قوله طلب العلم إعلام بأنه ينبغي لكل أحد طلب ما يليق باستعداده ويوافق منزلته بعد حصول ما هو واجب من الفرائض العامة وعلى العالم أن يخص كل طالب بما هو مستعد له انتهى وفي الزوائد إسناده ضعيف لضعف حفص بن سليمان وقال السيوطي سئل الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى عن هذا الحديث فقال إنه ضعيف أي سندا وإن كان صحيحا أي معنى وقال تلميذه جمال الدين المزي هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن وهو كما قال فإني رأيت له نحو خمسين طريقا وقد جمعتها في جزء انتهى.". (١)

"مامكم، وتجتلدوا١ بأسيافكم، ويرث دنياكم شراركم"٢.

(٢٩) وله٣: عن أبي سعيد، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"والذي نفسي بيده: لا تقوم الساعة حتى يكلم٤ السباعالإنس. وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه٥،

---

١ "تجتلدوا"، أي: تتقاتلوا وتتضاربوا بها.

٢ "ويرث دنياكم شراركم"، أي: يأخذ **الظلمة الملك** والمال.

وإيراد هذا الحديث في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إما للإشعار بأن هذه الفتنة تقع من أجل ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. أو تنبيها على أن من بالمعروف ونهى عن المنكر فهو من اللذين وصفهم الله بخير الأمة.

فالشرار الذين يرثون الدنيا لا يكونون على هذا الوصف.

٣ سنن الترمذي – تحفة الأحوذي – أبواب الفتن ج ٦ – باب ما جاء في كلام السباع ص ٤٠٩.

٤ في سنن الترمذي: "تكلم" بالتاء في الموضعين. وكذلك "تخبر". والسباع: جمع السبع. وهو بضم الباء وفتحها وسكونها:

---

(١) الحسبة لابن تيمية ت الشحود ص/٢٥٦

المفترس من الحيوان وتكلم السباع: أي سباع الوحش كالأسد. أو سباع الطير كالبازي. ولا منع من الجمع.
٥ "عذبة سوطه" العذبة: أي طرفه. على ما في القاموس وغيره.." (١)

"والفضل، فالمغفرة: وقاية الشر، والفضل: إعطاء الخير، وفى الحديث المشهور: "إن للملك بقلب ابن آدم لمة، وللشيطان لمة، **فلمة الملك**: إيعاد بالخير، وتصديق بالوعد، **ولمة الشيطان**: إيعاد بالشر، وتكذيب بالوعد"، ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء﴾ [البقرة: ٢٦٨] الآية.

فالملك والشيطان يتعاقبان على القلب تعاقب الليل والنهار، فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره، وآخر بضده، ومنهم من يكون زمنه نهارا كله، وآخر بضده، نستعيذ بالله تعالى من شر الشيطان.

فصل

ومن كيده للإنسان: أنه يورده الموارد التى يخيل إليه أن فيها منفعته، ثم يصدره المصادر التى فيها عطبه، ويتخلى عنه ويسلمه ويقف يشمت به، ويضحك منه، فيأمره بالسرقة والزنا والقتل، ويدل عليه ويفضحه، قال تعالى: ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب﴾ [الأنفال: ٤٨] .

فإنه تراءى للمشركين عند خروجهم إلى بدر فى صورة سراقة بن مالك، وقال: أنا جار لكم من بنى كنانة أن يقصدوا أهلكم وذراريكم بسوء، فلما رأى عدو الله جنود الله تعالى من الملائكة نزلت لنصر رسوله فر عنهم، وأسلمهم، كما قال حسان:." (٢)

"الباب الرابع بعد المائة في أن للشيطان لمة بابن آدم

روى الترمذي من حديث بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فوعد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فبحمد الله تعالى ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ والله تعالى أعلم

الباب الخامس بعد المائة في انه يجري من ابن آدم مجرى الدم

ثبت في الصحيحين من حديث صفية بنت حيي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ورواه أبو داود من حديث أنس ورواه غير واحد من أهل السنن منهم الحافظ أبو جعفر الطحاوي أوردهما بأسانيده من حديث صفية وحديث أنس وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المديني حدثنا حسان بن إبراهيم عن سعيد يعني ابن مرزوق عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال كيف ننجو من الشيطان وهو يجري منا مجرى

---

(١) أحاديث في الفتن والحوادث (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء الحادي عشر) محمد بن عبد الوهاب ص/٥٠

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١٠٨/١

الدم وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب الوسوسة حدثنا الحسين بن منصور حدثنا يزيد أنبأنا سفيان عن المغيرة عن إبراهيم قال ان الشيطان ليجري في الأحليل ويبيض في الدبر وقد قدمنا في باب دخول الجن في بدن المصروع وفي باب الوسوسة القول في ذلك وإمكان جريه وتداخل الأجسام فلينظر هناك." (١)

"معنى الآيات:

بعدما رغب تعالى عباده المؤمنين في الإنفاق في سبيله في الآية السابقة ناداهم هنا بعنوان الإيمان، وأمرهم بإخراج زكاة أموالهم من جيد ما يكسبون فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين١ آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم٢ ومما أخرجنا﴾ يريد الحبوب والثمار كما أن ما يكسبونه يشمل النقدين والماشية من إبل وبقر وغنم، ونهاهم عن التصدق بالرديء من أموالهم، فقال: ﴿ولا تيمموا٣ الخبيث منه٤ تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ يريد لا ينبغي لكم أن تنفقوا الرديء وأنتم لو أعطيتموه في حق لكم ما كنتم لتقبلوه لولا أنكم تغمضون وتتساهلون في قبوله، وهذا منه تعالى تأديب لهم وتربية. وأعلمهم أخيرا أنه تعالى غني عن خلقه ونفقاتهم فلم يأمرهم بالزكاة والصدقات لحاجة به، وإنما أمرهم بذلك لإكمالهم وإسعادهم، وأنه تعالى حميد محمود بماله من إنعام على سائر خلقه، كان هذا معنى الآية (٢٦٧) أما الآية (٢٦٨) فإنه تعالى يحذر عباده من الشيطان ووسواسه فأخبرهم أن الشيطان يعدهم الفقر٥، أي: يخوفهم منه حتى لا يزكوا ولا يتصدقوا ويأمرهم بالفحشاء فينفقون أموالهم في الشر والفساد ويبخلون بها في الخير، والصالح العام، أما هو تعالى فإنه بأمره إياهم بالإنفاق يعدهم مغفرة ذنوبهم؛ لأن الصدقة تكفر الخطيئة، وفضلا منه وهو الرزق الواسع الحسن، وهو الواسع الفضل العليم بالخلق. فاستجيبوا أيها المؤمنون لنداء الله تعالى، وأعرضوا عن نداء الشيطان فإنه عدوكم لا يعدكم إلا بالشر، يأمركم إلا بالسوء والباطل، كان هذا ما تضمنته الآية الثانية، أما الآية الثالثة (٢٦٩) فإن الله تعالى يرغب في تعلم العلم النافع الذي يحمل على العمل الصالح، ولا يكون ذلك إلا علم الكتاب والسنة حفظا وفهما وفقها فيهما فقال

---

١ قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: ﴿الشيطان يعدكم ... ﴾ إلخ. اثنتان من الله تعالى، واثنتان من الشيطان. ويفسره حديث الترمذي إذ فيه قول صلى الله عليه وسلم: "إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك**: فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان، ثم قرأ: ﴿الشيطان ... ﴾ الآية.

٢ الآية في الزكاة قطعا، والنهي عن الإنفاق من الرديء يشمل الزكاة. والتطوع معا.

٣ روى الحاكم وصححه على شرط الشيخين في سبب نزول هذه الآية عن البراء قال: هذه الآية نزلت فينا، كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعصاه فيسقط من البسر والتمر فيأكل وكان أناس مما لا يرغبون في الخير يأتي بالقنو الحشف والشيص فيعلقه فنزلت: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ الآية.

---

(١) آكام المرجان في أحكام الجان الشِّبْلي ص/٢٣٩

٤ أي: من الخبيث الذي هو الرديء.

٥ تفتح فاء الفقر، وتضم كالضعف والضعف.." [1]

"والوسواس، قالوا: اسم من أسماء الشيطان؟ والوسواس أيضا: ما يوسوس به شهوات النفس، وهو الهوى المنهي عنه. والخناس: الراجع على عقبه، المستتر أحيانا، وذلك في الشيطان متمكن إذا ذكر العبد الله تعالى تأخر. وأما الشهوات فتخنس بالإيمان **وبلمة الملك** وبالحياء، فهذان المعنيان يندرجان في الوسواس، ويكون معنى من الجنة والناس: من الشياطين ونفوس الناس، أو يكون الوسواس أريد به الشيطان، والمغري: المزين من قرناء السوء، فيكون من الجنة والناس، تبيينا لذلك الوسواس. قال تعالى: عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا «١» . وقال قتادة: إن من الإنس شياطين، ومن الجن شياطين، فنعوذ بالله منهم. وقال أبو ذر لرجل: هل تعوذت من شياطين الإنس؟

وقال الزمخشري: الوسواس اسم بمعنى الوسوسة، كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال، والمراد به الشيطان، سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه، لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس. وقد تكلمنا معه في دعواه أن الزلزال بالفتح اسم وبالكسر مصدر في إذا زلزلت «٢» ، ويجوز في الذي الجر على الصفة، والرفع والنصب على الشتم، ومن في من الجنة والناس للتبعيض، أي كائنا من الجنة والناس، فهي في موضع الحال أي ذلك الموسوس هو بعض الجنة وبعض الناس. وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون من متعلقا بيوسوس، ومعناه ابتداء الغاية، أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة ومن جهة الناس، انتهى.

ولما كانت مضرة الدين، وهي آفة الوسوسة، أعظم من مضرة الدنيا وإن عظمت، جاء البناء في الاستعاذة منها بصفات ثلاث: الرب والملك والإله، وإن اتحد المطلوب، وفي الاستعاذة من ثلاث: الغاسق والنفاثات والحاسد بصفة واحدة وهي الرب، وإن تكثر الذي يستعاذ منه.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا آوى إلى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرأ: قل هو الله أحد والمعوذتين، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاثا

، صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد وكرم، وعلى آله وصحبه ذوي الكرم وسلم تسليما كثيرا.

تم والحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة الأنعام: ٦/ ١١٢.

(٢) سورة الزلزلة: ٩٩/ ١.." [2]

"ولا ينطق الفحشاء من كان منهم ... إذا جلسوا منا ولا من سوائنا

وكأن الشيطان يعد الفقر لمن أراد أن يتصدق، ويأمره، إذ منع، بالرد القبيح على السائل، وبخه وأقهره بالكلام السيء.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٢٦١/١

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥٧٩/١٠

وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إن للشيطان لمة من ابن آدم، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فمن وجد ذلك فليتعوذ. وأما **لمة الملك** فوعد بالحق وتصديق بالخير، فمن وجد ذلك فليحمد الله» . ثم قرأ عليه السلام:

الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية.

وتقدم وعد الشيطان على أمره، لأنه بالوعد يحصل الاطمئنان إليه، فإذا اطمأن إليه وخاف الفقر تسلط عليه بالأمر، إذ الأمر استعلاء على المأمور.

وقال الزمخشري: والفاحش عند العرب البخيل، وقال أيضا: ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات، انتهى.

فتكون الجملة الثانية كالتوكيد للأولى، ونظرنا إلى ما شرحه الشراح في الفاحش في نحو قول الشاعر:

حتى تأوى إلى لا فاحش برم ... ولا شحيح إذا أصحابه غنموا

وقال الآخر:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي ... عقيلة مال الفاحش المتشدد

فقالوا: الفاحش السيء الخلق، ولو كان الفاحش هو البخيل لكان قوله: ولا شحيح، من باب التوكيد. وقال في قول امرئ القيس:

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إن معناه ليس بقبيح، ووافق الزمخشري أبا مسلم في تفسير الفاحش بالبخيل، والفحشاء بالبخل، قال بعضهم. وأنشد أبو مسلم قول طرفة:

عقيلة مال الفاحش المتشدد قال: والأغلب في كلام العرب، وفي تفسير البيت الذي أنشده أن الفاحش السيء الرد لضيفانه، وسؤاله. قال: وقد وجدنا بعد ذلك شعرا يشهد لتأويل أبي مسلم أن الفحشاء البخل. وقال راجز من طيء:." (١)

"وعاجلها والغفلة عن الله ما هو من أعظم عذاب القلب

ثم للناس في هذه المحنة مراتب لا يحصيها إلا الله فمنهم من تكون **لمة الملك** أغلب من **لمة الشيطان** وأقوى فإذا ألم به الشيطان وجد من الألم والضيق والحصر وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب فيبادر إلى طرد تلك الملة ولا يدعها تستحكم فيصعب تداركها فهو دائما في حرب بين اللمتين يدال له مرة ويدال عليه مرة أخرى والعاقبة للتقوى

ومنهم من تكون **لمة الشيطان** أغلب عليه وأقوى فلا تزال تغلب **لمة الملك** حتى تستحكم ويصير الحكم لها فيموت القلب ولا يحس ما ناله الشيطان به مع أنه في غاية العذاب والضيق والحصر ولكن سكر الشهوة والغفلة حجب عنه الإحساس بذلك الألم فإذا كشف أمكنه تداركه بالدواء وحسمه وإن عاد الغطاء عاد الأمر كما كان حتى ينكشف عنه وقت المفارقة للدنيا فتظهر حينئذ تلك الآلام والهموم والغموم والأحزان وهي لم تتجدد له وإنما كانت كامنة تواريها الشواغل فلما زالت الشواغل ظهر ما كان كامنا وتجدد له أضعافه

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٦٨٢/٢

فصل

والشيطان يلم بالقلب لما كان هناك من جواذب تجذبه وهي نوعان صفات وإرادات فإذا كانت الجواذب صفات قوى." (١)

"سلطانه هناك واستفحل أمره ووجد موطئا ومقرا فتأتي الأذكار والدعوات والتعوذات كحديث النفس لا تدفع سلطان الشيطان لأن مركبه صفة لازمة فإذا قلع العبد تلك الصفات وعمل على التطهر منها والاغتسال بقي الشيطان بالقلب خطرات ووساوس ولمات من غير استقرار وذلك يضعفه ويقوي **لمة الملك** فتأتي الاذكار والدعوات والتعوذات فتدفعه بأسهل شيء

وإذا أردت لذلك مثالا مطابقا فمثله مثل كلب جائع شديد الجوع وبينك وبينه لحم أو خبز وهو يتأملك ويراك لا تقاومه وهو أقرب منك فأنت تزجره وتصيح عليه وهو يأبى إلا التحوم عليك والغارة على ما بين يديك فالأذكار بمنزلة الصياح عليه والزجر له ولكن معلومه ومراده عندك وقد قربته عليك فإذا لم يكن بين يديك شيء يصلح له وقد تأملك فرآك أقوى منه فإنك تزجره وتصيح عليه فيذهب وكذلك القلب الخالي عن قوة الشيطان ينزجر بمجرد الذكر

وأما القلب الذي فيه تلك الصفات التي هي مركبه وموطنه فيقع الذكر في حواشيه وجوانبه ولا يقوى على إخراج العدو منه ومصداق ذلك تجده في الصلاة فتأمل في الحال وانظر هل تخرج الصلاة بأذكارها وقراءتها الشيطان من قلبك وتفرغه كله لله تعالى بكليته وتقيمه بين يدي ربه مقبلا بكليته عليه يصلي لله تعالى، كأنه." (٢)

"الترمذي قال النبيء صلى الله عليه وسلم: «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليستعذ بالله من الشيطان»

. والنزغ: النخس، وحقيقته: مس شديد للجلد بطرف عود أو إصبع، فهو مصدر، وهو هنا مستعار لاتصال القوة الشيطانية بخواطر الإنسان تأمره بالشر وتصرفه عن الخير، وتقدم في قوله تعالى: وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم في سورة الأعراف [٢٠٠] وإسناد ينزغنك إلى نزغ مجاز عقلي من باب: جد جده، ومن ابتدائية. ويجوز أن يكون المراد بالنزغ هنا: النازغ، وهو الشيطان، وصف بالمصدر للمبالغة، ومن بيانية، أي ينزغنك النازغ الذي هو الشيطان. والمبالغة حاصلة

على التقديرين مع اختلاف جهتها.

وجيء في هذا الشرط ب (إن) التي الأصل فيها عدم الجزم بوقوع الشرط ترفيعا لقدر النبيء صلى الله عليه وسلم فإن نزغ الشيطان له إنما يفرض كما يفرض المحال، ألا ترى إلى قوله تعالى:

إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون [الأعراف:

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ابن القيم ص/٤١٨

(٢) التبيان في أقسام القرآن ابن القيم ص/٤١٩

٢٠١] فجاء في ذلك الشرط بحرف (إذا) التي الأصل فيها الجزم بوقوع الشرط أو بغلبة وقوعه. و (ما) زائدة بعد حرف الشرط لتوكيد الربط بين الشرط وجوابه وليست لتحقيق حصول الشرط فإنها تزاد كثيرا بعد (إن) دون أن تكون دالة على الجزم بوقوع فعل الشرط.

وضمير الفصل في قوله: إنه هو السميع العليم لتقوية الحكم وهو هنا حكم كنائي لأن المقصود لازم وصف السميع العليم وهو مؤاخذة من تصدر منهم أقوال وأعمال في أذى النبيء صلى الله عليه وسلم والكيد له ممن أمر بأن يدفع سيئاتهم بالتي هي أحسن. والمعنى: فإن سول لك الشيطان أن لا تعامل أعداءك بالحسنة وزين لك الانتقام وقال لك: كيف تحسن إلى أعداء الدين، وفي الانتقام منهم قطع." [١]

"وإذا لوحظ أن القرآن قرر في هذه الآيات وأمثالها مما سبق تفسيره وما يأتي في سور أخرى أن ما في أيدي أصحاب الأموال من أموال هي أموال الله وأنه إنما جعلهم مستخلفين فيها وأنه هو الذي رزقهم بها ويسرها لهم بدا جانب آخر من روعة التلقين القرآني فيه تخفيف لوقع الإنفاق والأمر به على النفوس وإيذان للأغنياء بأنهم ليسوا إلا وكلاء على مال الله فيجب عليهم أن يطيعوا أمر صاحبه وينفقوه فيما يأمرهم به، وبأنهم ليس لهم حق في المن على من يعطونه إياه من عباد الله وأذيتهم بسبب ذلك.

ولقد روى المفسرون في سياق آيات هذه السلسلة أحاديث نبوية عديدة فيها هي الأخرى توجيهات وتلقينات بليغة المدى متسقة مع توجيهات الآيات وتلقيناتها وتوضيح لما سكت عنه القرآن. ومن هذه الأحاديث ما ورد في الكتب الخمسة المعتبرة ومنها ما ورد في كتب ومساند أئمة آخرين. من ذلك حديث رواه الطبري في صيغ عديدة ومن طرق مختلفة في سياق الآية [٢٦٨] عن عبد الله قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن للشيطان لمة من ابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق. وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (٢٦٨) «١» .

ومن ذلك حديث أورده ابن كثير في صدد الآية [٢٦٣] برواية مسلم عن أبي ذر قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» «٢» . وحديث آخر في صدد الآية أورده ابن كثير بإخراج ابن مردويه جاء فيه: «لا يدخل الجنة منان» وأورد ابن كثير في صدد الآية [٢٧٠]

---

(١) هذا الحديث رواه الترمذي أيضا في سياق الآية [٢٦٨] ، انظر التاج ج ٤ ص ٦١.

(٢) انظر هذا الحديث في التاج ٢ ص ٣٩ و ٤٠ وانظر هذا الحديث في التاج ج ٣ ص ٤٠. [.....]."[٢]

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٩٧/٢٤

(٢) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٤٨٨/٦

"والسائبة والحام والوصيلة حلالا مفعول كلوا او حال من ما في الأرض ومن للتبعيض- والحلال ضد الحرام اى ما لم يمنعه الشرع فان الأصل في الأشياء الحل لقوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعا طيبا مستلذا ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحلوا الحرام قرا ابو جعفر وابن عامر والكسائي وحفص ويعقوب بضم الطاء والباقون بسكونها وهما لغتان في جمع خطوة وهى ما بين قدمى الخاطي- وخطوات الشيطان اثارها وزلاتها يعنى طرقه «١» فى المعاصي إنه لكم عدو مبين (١٦٨) ظاهر العداوة عند اهل البصيرة وان كان يظهر الموالات لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله أولياؤهم الطاغوت- او مظهرها حيث ابى من سجود آدم وأخرجه من الجنة وحلف لأغوينهم أجمعين- وابان يكون لازما ومتعديا- ثم ذكر عداوته.

إنما يأمركم بالسوء والفحشاء السوء في الأصل اسم لما يسوء صاحبه يقول ساءه يسوءه سواء ومساءة اى أحزنه وسأته فسيء اى حزنته فحزن- والفحشاء مصدر على وزن بأساء وضراء والمراد بهما الإثم والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء لاستقباحه إياه وقيل السوء مطلق المعصية والفحشاء الكبيرة او ما فيه حد- والمراد بامره وسوسته وذالا يقتضى سلطانه الا على من اتبعه من الغاوين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس فادناهم منه منزلة أعظم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا- ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت- رواه مسلم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما **لمة الشيطان** فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما **لمة الملك** فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء- رواه الترمذي وفى حديث ابن عباس قوله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي رد امره الى الوسوسة- رواه ابو داود- وأن تقولوا في موضع الجر عطفا على السوء على الله ما لا تعلمون (١٦٩) من تحريم الحرث والانعام-.

وإذا قيل لهم اى لليهود اتبعوا ما أنزل الله قصة مستانفة والضمير عن غير مذكور- اخرج ابن ابى حاتم عن ابن عباس قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى

---

(١) في الأصل طروقه." (١)

"لا بعث ولا عذاب وطول الحيوة وادراك الاخرة مع ارتكاب المعاصي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم متفق عليه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما **لمة الشيطان** فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما **لمة الملك** فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليستعذ بالله من الشيطان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء رواه الترمذي وقال حديث غريب ولآمرنهم فليبتكن البتك القطع والشق والتبتيك للتكثير والتكرير اى

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ١٦٥/١

ليقطعن ويشققن آذان الأنعام وهى عبارة عما كانت تفعل بالبحائر قال قتادة والسدى كانوا يبتكون آذانها لطواغيتهم قال فى القاموس البحر الشق وشق الاذن ومنه البحيرة كانوا إذا أنتجت الناقة عشرة ابطن بحروها اى شقوا اذنها وتركوها ترعى وحرموا لحمها إذا ماتت على نسائهم وأكلها الرجال وفيه اشارة الى تحريم كل ما أحل الله وتنقيص كل ما خلق كاملا بالفعل او بالقوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة «١» او صفة «٢» ويندرج فيه فقوعين الحامى وخصاء العبيد والوشيم «٣» والوشير «٤» والمثلة واللواطة والسحق وعبادة الشمس والقمر والحجارة لانها ما وضعت لها واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا وتغيير فطرة الله التي هى الإسلام، عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهود انه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء «٥» هل تحسون فيها من جدعاء «٦» ثم يقول فطرت الله

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلحات للحسن المغيرات خلق الله رواه احمد والشيخان عن ابن مسعود وروى احمد والشيخان عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة وروى احمد عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن القاشرة والمقشورة والواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة منه رحمه الله

(٢) عن ابن عمر ان عمر بن الخطاب كان ينهى عن اختصاء البهائم ويقول هل النماء الا فى الذكور واما خصاء البهائم فلا يأس به عند ابى حنيفة كذا فى الهداية كذا روى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن الحسن وروى ابن ابى شيبة وابن المنذر عن محمد بن سيرين والحسن لكن روى ابن ابى شيبة والبيهقي وابن المنذر ان عمر بن الخطاب كان ينهى عن خصاء البهائم وروى ابن المنذر والبيهقي عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صبر الروح واخصاء البهائم واخرج ابن ابى شيبة والبيهقي عن ابن عمر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خصاء الخيل والبهائم وروى ابن ابى شيبة وغيره عن ابن عباس انه قال فيه نزلت ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وروى ابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم عن ابن عباس ولامرنهم ليغيرن خلق الله قال دين الله منه رحمه الله

(٣) الوشم غرز الابرة فى البدن وذر النيلج عليه منه رح

(٤) الوشر تحديد المرأة أسنانها وترقيقها منه رح

(٥) جمعاء اى سليمة من العيوب مجتمعة الأعضاء كاملتها نهاية

(٦) جدعاء اى مقطوعة الأطراف او أحدها والجدع قطع الانف او الاذن او الشفة نهاية منه رح." (١)

"مسئلة دية مسلم لم يهاجر ومسلم ليس له وارث مسلم- ١٩٢ مسئلة مقدار دية الكافر- ١٩٣ مسئلة الكفارة بالصوم- ١٩٥ مسئلة شبه العمد فى الإثم كالعمد ١٩٦ مسئلة هل تقبل توبة القاتل عمدا- ١٩٦ مسئلة مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مخلد فى النار ١٩٧ فصل فيما ورد فى القاتل عمدا- ١٩٨ قوله تعالى إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ١٩٩

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٢ ق ٢٣٩/٢

مسئلة المجتهد قد يخطئ وخطاؤه مغفور ويجب عليه التثبت والتبيين- ٢٠١ مسئلة إذا راى الغزاة فى قرية شعار الإسلام كفوا عنه- ٢٠١ ما ورد فى فضل المجاهدين على القاعدين من غير عذر والقاعدين بعذر- ٢٠٢ قد يبلغ القاعد بعذر درجة المجاهد- ٢٠٢ مسئلة حرمة الفرار عند التقاء الصفين- ٢٠٤ مسئلة يشترط للجهاد الزاد والراحلة- ٢٠٤ مسئلة إذا هجم العدو يكون الجهاد فرض عين- ٢٠٤ حديث حضور ملائكة الرحمة للمؤمن وملائكة العذاب للكافر عند الموت- ٢٠٦ مسئلة الهجرة من دار الكفر على من قدر عليها فريضة محكمة ٢٠٧ مسئلة يجب الهجرة على العبد بغير اذن سيده- ٢٠٩ حديث من خرج إلينا من العبيد فهو حر- ٢٠٩ مسائل قصر الصلاة فى السفر من غير خوف مسائل صلوة الخوف وانحائها- ٢١٨ مسئلة الواجب التشبث بالأسباب والمحافظة على التيقظ والتدبر فى الجهاد مع التوكل على الله تعالى ٢٢٤ حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه والظاهر ان المراد به دوام الحضور- ٢٢٤ مسئلة اوقات الصلاة- ٢٢٥ قصة سرقة طعمة بن أبيرق من مشربة رفاعة بن زيد- ٢٢٩ مسئلة حجية الإجماع وحرمة مخالفته- ٢٣٦ حديث الدعاء هو العبادة- ٢٣٧ ما ورد فى الوسوسة وان الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم- وفى **لمة الشيطان ولمة الملك-** ٢٣٨ حديث ما من مولود الا يولد على الفطرة ٢٣٩ حديث قدسى انا اغنى الشركاء من الشرك- ٢٤٠ حديث بايعونى على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا إلخ- ٢٤١ ما ورد فى ان المؤمنين يجزون فى الدنيا بذنوبهم حتى يلاقوا الله وليس لهم ذنوب والكفار يجزون بذلك يوم القيامة ٢٤٢ حديث من يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوى بالسيئة نقصت واحدة من عشر- ٢٤٢ حديث الإحسان ان تعبد ربك كانك تراه- ٢٤٥ حديث لما القى ابراهيم فى النار قال له جبرئيل ٢٤٦ هل لك حاجة قال اما إليك فلا إلخ- تحقيق مقام الخلة وإعطاء ذلك المقام للمجدد بعد الف سنة لدعائه صلى الله عليه وسلم اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم- ٢٤٨ حديث مثل أمتي كمثل المطر- ٢٤٨ ... ." (١)

"لا شك فيه، والمعاد كائن لا محالة، فلا تتلهوا بزخارف الدنيا ونعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة، ولا يغرنكم الشيطان بالله، فيجعلكم تعيشون في الأوهام والآمال المعسولة، قائلا لكم: إن الله يتجاوز عنكم، ويغفر لكم، لسعة رحمته، فتنزلقوا في المعاصي، وتسرفوا في المخالفات، فإنه غرار كذاب أفاك.

وهذه الآية كآية آخر سورة لقمان: فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور.

ثم بين الله تعالى علة عدم الاغترار بالشيطان وهي عداوة إبليس لابن آدم، فقال:

إن الشيطان لكم عدو، فاتخذوه عدوا أي إن عداوة الشيطان لكم عداوة قديمة عامة ظاهرة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به، بطاعة الله، ولا تطيعوه في معاصي الله تعالى.

ثم ذكر الله تعالى أغراض الشيطان ومقاصده الخبيثة فقال:

إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير أي إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب النار الشديد الدائم.

جاء في حديث عبد الله بن مسعود الذي أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن للشيطان

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٢ ق ٢٩٢/٢

لمة «١» بابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق» .

ثم ذكر تعالى جزاء حزب الشيطان وحزب الرحمن فقال:

الذين كفروا لهم عذاب شديد أي إن الذين كفروا بالله ورسوله وأنكروا البعث، واتبعوا وساوس الشيطان، لهم عذاب شديد في نار جهنم لأنهم أطاعوا الشيطان، وعصوا الرحمن.

---

(١) اللمة: الخطرة التي تقع في القلب.." (١)

"الحكمة: فقال السدي: هي النبوة. وقال ابن عباس: هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وغريبه ومقدمه ومؤخره (أي العلم بأصول الفقه) . وقال قتادة ومجاهد: الحكمة: هي الفقه في القرآن. وقال مجاهد: الإصابة في القول والفعل. وقال ابن زيد: الحكمة: العقل في الدين. وقال مالك بن أنس: الحكمة: التفكر في أمر الله والاتباع له، أو هي طاعة الله والفقه في الدين والعمل به. وكل هذه الأقوال تشترك في أن الحكمة: هي الفهم الصحيح والعلم النافع واتباع المعلوم المؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة «١» .

خيرا كثيرا لأن الحكمة أوصلته إلى السعادة الأبدية وما يذكر يتعظ، وأصله:

يتذكر، فأدغم التاء في الذال أولوا الألباب أصحاب العقول.

التفسير والبيان:

الشيطان عدو الإنسان من قديم، وهو الذي أقسم فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين [ص ٣٨/ ٨٢- ٨٣] يوسوس للناس ويخوفهم من الفقر إذا تصدقوا أو أنفقوا في سبيل الله ويقول لهم: إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا، ويحرضهم ويغريهم على البخل والإمساك إغراء الآمر للمأمور. والفاحش عند العرب:

البخيل. والوعد: يستعمل في الخير والشر، قال الله تعالى: النار وعدها الله الذين كفروا [الحج ٢٢/ ٧٢] . وسمي ذلك التخويف وعدا: مبالغة في الإخبار بتحقق وقوعه، وكأن مجيئه بحسب إرادته، مع العلم بأن الوعد: هو الإخبار بما سيكون من جهة المخبر، والشيطان لم يقل: إني سأفقركم.

ويوضح هذا التخويف:

ما رواه ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للشيطان لمة «٢» بابن آدم، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك، فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٢٠/٢٢

(١) البحر المحيط: ٢/ ٣٢٠

(٢) اللمة: المس والشيء القليل من الجن، والمراد: الخطرة التي تقع في القلب بوسوسة الشيطان أو الملك.." [١]

"الدم»

وقوله تعالى: الذي يوسوس في صدور الناس [الناس ١١٤/ ٥]

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي والنسائي وابن حبان عن ابن مسعود: «إن للملك لمة وللشيطان لمة- أي بالقلب- فأما **لمة الملك**: فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، وأما **لمة الشيطان**: فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق» .

وفيما عدا هذا جاء في رؤية الجن أخبار صحيحة في البخاري ومسلم.

وعقيدتنا أنه لا قدرة للشيطان على البشر بوجه من الوجوه، بدليل قوله تعالى:

ما كان لي عليكم من سلطان، إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي [إبراهيم ١٤/ ٢٢] .

واحتج أهل السنة بقوله تعالى: إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون على أن الله هو الذي سلط الشيطان الرجيم على الكافرين حتى أضلهم وأغواهم، زيادة في عقوبتهم، وتسوية بينهم في الذهاب عن الحق، فأصبح الشيطان وليا لمن لا يؤمن.

تشريع المشركين تقليد الآباء وتشريع الله الوحي إلى رسوله

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٢٨ الى ٣٠]

وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون (٢٨) قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون (٢٩) فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون (٣٠)." [٢]

"يتبعوه أنفسهم، فإذا هم أولو بصيرة ووعي وعقل، وقد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه. وهذا الاعتصام بالله من الشيطان عمل وقائي، ولا شك أن الوقاية خير من العلاج. فإذا وقع الإنسان في معصية بادر إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الله من قريب، حتى يمحو الله عنه أثر الذنب.

ومن المعروف أن للإنسان نزعة إلى الخير ونزعة إلى الشر، وبمقدار ما يجاهد به نفسه، ويتغلب على هوى نفسه، ووسوسة شيطانه، كان مثابا مقربا إلى الله تعالى،

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه الترمذي والنسائي وابن حبان عن ابن مسعود: «إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٦٣/٣

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٧٣/٨

ذلك، فليعلم أنه من الله، فليحمد الله على ذلك، ومن وجد الأخرى، فليتعوذ من الشيطان، ثم قرأ: الشيطان يعدكم الفقر، ويأمركم بالفحشاء.

ثم ذكر الله مدى تأثير الشيطان على الجاهلين الفاسدين فقال:

وإخوانهم أي وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين، فإن الشياطين يتمكنون من إغوائهم، ويمدونهم في الغي أي الضلال، ويكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم، ولا يقصرون أبدا في حملهم على المعصية أي لا يمسكون عن إغوائهم، ولا يكفون عن إفسادهم، حتى يصروا على الشر والفساد لأنهم لا يذكرون الله إذا نزغ بهم الشيطان، ولا يستعيذون من وسواسه، إما لعدم إيمانهم، أو لخلو قلوبهم من التقوى.

فقه الحياة أو الأحكام:

تضمنت آية: خذ العفو أصول الفضائل والأخلاق الاجتماعية، وهي تلي في المرتبة أصول العقيدة، ففي المعاملات والعادات ولدي التعامل مع الآخرين تظهر أخلاق الناس، وما أحوج الإنسان إلى هذه الأصول الخلقية في تعامله مع الغير.." [١]

"وفي الصحيحين: «ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان، يقول أحدهما:

اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا»

ولا غرابة فالله واسع الفضل بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للشيطان لمة (خطرة تقع في القلب) وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان» «١» ، ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء

يؤتى الله الحكمة والعلم الصحيح النافع- وعلى الأخص فهم القرآن والدين- من يشاء من عباده الذين يحبهم ويتولاهم بعنايته ورعايته، ومن يؤت الحكمة بهذا المعنى فقد أوتى خيرا كثيرا، وأى خير في الدنيا والآخرة بعد توفيق الله وهدايته في فهم الأمور على حقيقتها وإدراك الأشياء على وضعها الصحيح؟ وإنما يتذكر هذا أولو الألباب.

بعض أحكام الإنفاق [سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٧٠ الى ٢٧١]

وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار (٢٧٠) إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير (٢٧١)

المفردات:

من نذر النذر: التزام الطاعة قربة لله تعالى. فنعما هي الأصل: فنعم ما هي، بمعنى فنعم شيئا إبداؤها.

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٩/٢٢٠

(١) أخرجه البخاري كتاب الزكاة باب قول الله [فأما من أعطى واقضى] حديث رقم ١٤٤٢.." [١]

"للمتقين الأبرار، وما أعد للعصاة الفجار فإذا هم مبصرون طريق الحق والخير، فالمؤمن الكامل قوى الإيمان كالجسم الصحيح لا تدخله جراثيم المرض وإن دخلت ماتت، كذلك المؤمن لا تدخله الوساوس وإن دخلت تذكر وطردها.

وكل إنسان يشعر بدوافع للخير ودوافع للشر، فالأولى **لمة الملك**، والثانية **لمة الشيطان،**

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن للشيطان لمة وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك منكم فليعلم أنه من الله وليحمد الله على ذلك، ومن وجد الأخرى فليستعذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا «١»

. وإخوانهم وهم الجهلاء غير المتقين الله، الشياطين يمدونهم وينصرونهم ويتعاونون معهم على الإثم والعدوان ثم هم لا يقصرون أبدا في ذلك.

القرآن من عند الله [سورة الأعراف (٧) : آية ٢٠٣]

وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٢٠٣)

المفردات:

لولا اجتبيتها: هلا جمعتها من تلقاء نفسك واختلقتها؟

المعنى:

كانوا طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم آيات كونية خاصة فلما لم يجابوا إلى طلبهم قالوا على سبيل التعنت: هل اختلقت آية وجمعتها من عندك؟ يقصدون أن كل ما ينزل من القرآن إنما هو من عند محمد.

(١) سورة البقرة آية ٢٦٨.." [٢]

"ولا يغرنكم بالله الغرور، فيقول لكم الشيطان وأتباعه: اعملوا ما شئتم فإن الله غفور، يغفر السيئات، ويعفو عن الخطيئات، أيها الناس لا تغرنكم الأماني الكاذبة التي نسمعها من بعض الناس الذين يقولون: نحن أتباع النبي محمد فلن نصاب بسوء، تلك أمانيهم، وليس الإيمان والثواب عليه بالتمني الكاذب.

إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا أخبرنا الله- عز وجل- بأن الشيطان يبدو لنا من قديم الأزل فهو الذي أخرج أبانا

(١) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ١/٨٤١

(٢) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ١/٠٠٨

آدم من الجنة، وأوقعه في الزلة، وهو الذي أقسم على إغوائنا وإضلالنا ولأضلنهم ولأمنينهم [سورة النساء آية ١١٩] لأقعدن لهم صراطك المستقيم. ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم [سورة الأعراف آية ١٦] .

وإنه لعجيب أن نتولاه ونطيعه فيما يأمر به ويريده، مع أن فيه هلاكنا! ولذا يقول الله: فاتخذوه عدوا في كل أعمالكم وأحوالكم الظاهرة والخفية، وناصبوه العداء في سركم وجهركم، واعلموا أن لوسوسة الشيطان علامة، ولإلهام الملك علامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «للشيطان لمة وللملك لمة- خطرة- تقع في القلب، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق..

الحديث» ، وهو مروى عن عبد الله بن مسعود.

احذروا الشيطان، ولا تتبعوا خطواته فإنه إنما يدعو حزبه وأتباعه ليوردهم موارد الهلكة، وليوقعهم في حبائله التي تقذف بهم في نار جهنم يتلظون بسعيرها وما لكم لا تسرعون في البعد عن حزب الشيطان والدخول في حزب الرحمن والقرآن؟!.

إن الذين كفروا واتبعوا الشيطان لهم عذاب شديد، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك حزب الله لهم مغفرة ورزق كريم، وأجر كبير، ولما ذكر الفريقين الكافر والمؤمن قال لنبيه: أفمن زين له عمله السيئ فرآه عند نفسه حسنا وصوابا كمن لم يزين له السوء بل اهتدى واتبع الحق؟! وكأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا. فقال الله: فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء على معنى هذا الذي عمل السوء حتى أظلم قلبه وفرغ من خشية الله حتى أصبح عنده القبيح حسنا والحسن قبيحا، هذا الصنف لا يعبأ به الله يخذله ويتركه، ومن تاب فالله يهديه ويوفقه ويساعده على ذلك.." (١)

"وبذلك يقول المعتزلة.

ومن أدلتهم: أن القول بقدرتهم على التمثل أمام بني آدم، يرفع الثقة بحقائق الأشياء فمن رأى ولده مثلا، يحتمل أن يتخيل أنه رأى جنيا، كما أن رؤيتهم – على حقيقتهم – متعذرة لشفافيتهم.

وثانيتها: تقول: باستحالة رؤيتهم على حقيقتهم فقط.

وأولئك هم الأشاعرة.

وحجتهم: أن الله لم يخلق في عيون البشر قدرة على رؤيتهم بحقيقتهم.

أما رؤيتهم متمثلين، فجائزة – عند الأشاعرة – مطلقا.

وقال النحاس: لا يراهم أحد على حقيقتهم، وإنما يرون إذا نقلوا عن صورهم.

ورؤيتهم متمثلين مقصورة على عصر النبوة فحسب؛ لأنها من المعجزات للأنبياء.

فلا تكون إلا في عصرهم، كما حدث لسيدنا سليمان عليه السلام.

وقال القشيرى: "أجرى الله العادة، بأن بني آدم لا يرون الشياطين اليوم. وفي الصحيحين وغيرهما: "إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم". وقال تعالى: "الذي يوسوس في صدور الناس" (١). وقال – صلى الله عليه وسلم –: "إن للملك لمة، وللشيطان لمة .. فأما لمة الملك فإيعاد بالخير، وأما لمة ألشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق" أ. هـ".

---

(١) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ١٥٥/٣

والقشيرى بإنكاره رؤيتهم المطلقة، يذهب مذهب المعتزلة.

ويرى كثير من أهل السنة أن رؤيتهم ممكنة وحاصلة فعلا.

ويشهد لذلك أن عفريتا تفلت على النبي – صلى الله عليه وسلم – ليشغله عن صلاته.

فأمكنه الله تعالى منه، وأراد أن يربطه في سارية المسجد، ثم عدل عن ذلك.

---

(١) سورة الناس، الآية: ٥.." (١)

"بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء «١» .

هذا ما يعده الشيطان للإنسان، فما الذي يعده الله– تعالى– لعباده؟ لقد بين– سبحانه– ذلك فقال: والله يعدكم مغفرة منه وفضلا، والله واسع عليم.

أى: إذا كان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، فالله– تعالى– يعدكم مغفرة منه لذنوبكم على ما تنفقونه من أموالكم في سبيله ففي الحديث الشريف «الصدقة تطفئ الخطيئة» . ويعدكم– أيضا– فضلا أى نماء وزيادة في أموالكم، فإن الصدقات تزيد البركة في الرزق فيصير القليل منه في يد السخي كثيرا بتوفيق الله وتأييده.

وصدر له سبحانه– الجملة بلفظ الجلالة، للإشارة إلى أن الوعد الذي وعد به المنفقين وعد حق لا يمكن أن يخالطه شك أو ريب، لأنه وعد من الله الذي لا يخلف وعده، وإذا كان الشيطان يهدد الناس بالفقر عند العطاء، ويأمرهم بالفحشاء، فالله– تعالى– يبشر عباده بمغفرته ورضوانه، بسبب اتفاقهم في السراء والضراء ويعدهم على ذلك بالرزق الوفير، والفضل الكبير في الدنيا والآخرة.

وقد ختم– سبحانه– الآية بقوله: والله واسع عليم تأكيدا لوعده الذي وعد به عباده المتقين المتصدقين بأن يزيدهم من فضله، أى والله– تعالى– واسع الجود والعطاء والرحمة، وسيحقق لكم ما وعدكم به من المغفرة وتضعيف ما تنفقونه، وهو مع ذلك عليم بأحوال عباده صغيرها وكبيرها، وسيجازى الذين اتبعوا أوامره بجزيل الثواب، كما سيجازى الذين اتبعوا وسوسة الشيطان بسوء العذاب.

ثم قال– تعالى–: يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا.

قال الإمام الرازي: «اعلم أنه– تعالى– لما ذكر في الآية المتقدمة أن الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء، وأن الرحمن يعد بالمغفرة والفضل نبه على أن الأمر الذي أوجب لأجله ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان هو أن وعد الرحمن ترجحه الحكمة والعقل ووعد الشيطان ترجحه الشهوة والنفس من حيث إنهما يأمران بتحصيل اللذة الحاضرة واتباع أحكام الخيال والوهم.

ولا شك أن حكم الحكمة والعقل هو الحكم الصادق المبرأ عن الزيغ والخلل، وحكم الشهوة والنفس يوقع الإنسان في البلاء،

---

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٤٠٣/٣

فكان حكم الحكمة والعقل أولى بالقبول، فهذا هو وجه النظم» «٢» .

(١) تفسير القرطبي ج ٣ صفحة ٣٢٩.

(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٧ ص ٧٢.." (١)

"قل أيها الرسول: ألجأ وأستعين بالله مربي الناس ومتعهدهم بعنايته ورعايته وخالقهم، ومدبر أمرهم، ومصلح أحوالهم، مالك الناس ملكا تاما، وله السلطان القاهر، وهو الإله المعبود الذي يعبده الناس، واسم الإله: خاص بالله، لا يشاركه فيه أحد. وأما الملك: فقد يكون إلها وقد لا يكون.

وهذه صفات ثلاث لله عز وجل: الربوبية، والملك، والألوهية، فهو رب كل شيء، ومليكه، وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة عبيد له. وإنما قدم الربوبية لمناسبتها للاستعاذة، فهي تتضمن نعمة الصون والحماية والرعاية، ثم ذكر الملكية، لأن المستعيذ لا يجد عونا له ولا غوثا إلا مالكه، ثم ذكر الألوهية، لبيان أنه المستحق للشكر والعبادة دون سواه.

والسبب في تكرار لفظ الناس هو مزيد البيان والإظهار، والتنويه بشرف الناس، فإنهم مخلوقات الله تعالى. وإنما قال: برب الناس مع أنه رب جميع المخلوقات، فخص الناس بالذكر للتشريف، ولأن الاستعاذة لأجلهم.

- ألجأ إلى الله تعالى وأحتمي من شر الشيطان ذي الوسوسة، الكثيرة الخنوس، أي الاختفاء والتأخر، بذكر الله تعالى، أو الراجع على عقبه المستتر أحيانا، إذا ذكر العبد الله تعالى وتعوذ، وتذكر فأبصر، وإذا لم يذكر الله انبسط على القلب، قال ابن عباس في هذه الآية: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل، وسوس، فإذا ذكر الله خنس.

وتذكر الله يفيد التبصر، كما قال الله تعالى: إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون [الأعراف: ٧/ ٢٠١] .

وكذلك يخنس الشيطان **بلمة الملك**، والحياء يردع، والإيمان يزجر بقوة، فتخنس العوارض المتحركة، والشهوات العارمة، والغضب يسكن، بذكر الله تعالى. وقد." (٢)

"بشير) وأخرجه البيهقي في الشعب وفيه إسماعيل بن عياش أورده الذهبي في الضعفاء (١) وقال: مختلف فيه.

٢٣٦٨ - "إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان". (ت ن حب) عن ابن مسعود.

(إن للشيطان لمة) بالفتح قرب واتصال من الإلمام القرب. (بابن آدم) أي نقلته. (وللملك لمة) وظاهره أنهما يتعاقبانه كل حين (فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق) ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ [البقرة: ٢٦٨]، (وأما **لمة الملك** فإيعاد

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٦١٨/١

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٩٦٦/٣

بالخير وتصديق بالحق) قال القاضي: الإيعاد وإن اختص بالشر عرفا إلا أنه استعمله في الخير للازدواج، في الأمن: من الاشتباه بذكر الخير. (فمن وجد ذلك) أي أثر إلمام الملك. (فليعلم أنه من الله) أي مما يحبه ويرضاه. (فليحمد الله) لأنها نعمة سيقت إليه (ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان) أي فليعلم أنه من الشيطان فليتعوذ منه وهذه هي الخواطر سميت بذلك؛ لأنها تخطر بالقلب بعد أن كان غافلا عنها.

واعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعا أنه داعي الشر فلا يخفى كونه وسوسة، وإلى ما يعلم كونه داعي الخير فلا يشك في كونه إلهاما، والى ما يتردد فيه فلا يدري أن من أي القبيلين؛ فإن من مكائد الشيطان أنه يعرض الشر في معرض الخير، والتميز بينهما غامض فحق بالعبد أن يقف عند كل هم يصدر له، ليعلم أن **لمة الملك** أو **لمة الشيطان**، وأن يمعن النظر فيه بنور البصيرة، لا

(١) انظر المغني (١/ ٨٥).." (١)

"- المسألة الرابعة) ما الوحي وما الإلهام؟

الوحي لغة: هو الإعلام بسرعة وخفاء، وهو نوعان: وحي إلهام - ووحي إرسال.

فوحي الإلهام: هو كقوله تعالى ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾ (النحل:٦٨)، وكقوله تعالى ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ (القصص:٧).

وأما وحي الإرسال: فهو الذي ينزل به جبريل إلى الرسل، وهذا الوحي قد يكون ما يخاطب به النبي مشافهة ويراه بعينه (١)، وقد يكون ما يبث في نفسه صلى الله عليه وسلم. (٢)

وإذا أطلق لفظ الوحي فالأصل أنه يقصد به ما كان من الله تعالى جزما (٣)، رغم أنه قد يقصد به أحيانا الإلهام، أو تزيين الشياطين. (٤)

وأما الإلهام فالأصل أنه يقصد به ما يقع في النفس من غير أن يجزم المرء بأنه من الله تعالى، فتحدثه نفسه به، كما جرى مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (٥)

فالفرق بينهما - كما أثبتنا آخرا - أن الوحي يكون حقا ومن الله تعالى (٦)؛ فإن كان في الشريعة - الآن - فهو محال؛ وذلك لكمال الشريعة بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم (٧)، وإن كان بغيرها فمردود أيضا وذلك لانقطاع الوحي بعده أيضا صلى الله عليه وسلم. (٨)

أما الإلهام فلا يستطيع صاحبه أن يجزم بصوابه أصلا - فضلا عن أن يكون ضلالا في نفسه؛ أو مفضيا إلى ضلال- فإن كان خيرا كان توفيقا من الله تعالى ومعونة، وإن كان شرا فإضلال من الشيطان. (٩) (١٠)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (مدارج السالكين) (١١) عند شرح حديث الصراط والسوران (١٢): (فهذا الواعظ في قلوب المؤمنين هو الإلهام الإلهي بواسطة الملائكة).

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٦٩/٤

(١) كما في الحديث (كان جبرائيل يأتي النبي في صورة دحية الكلبي). صحيح. ابن سعد (٢٥٠/ ٤) عن ابن عمر. انظر التعليق على حديث الصحيحة (١١١١).

قلت: والمعنى أن جبرائيل – عليه السلام – كان أشبه بدحية الكلبي؛ لا أنه هو دحية الكلبي، كما في لفظ ابن سعد (٢٥٠/ ٤) عن ابن شهاب مرفوعا. الصحيحة (١١١١).

(٢) كما في الحديث (إن روح القدس نفث في روعي؛ أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها). صحيح. الحاكم (٢١٣٦) عن ابن مسعود مرفوعا. الصحيحة (٢٨٦٦).

(٣) كما في قوله تعالى ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾ (الشورى:٥١).

(٤) كما في قوله تعالى ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾ (الأنعام:١١٢).

(٥) كما سبق في الحديث (لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر). قال ابن وهب: تفسير (محدثون): ملهمون. رواه البخاري (٣٦٨٩) عن أبي هريرة مرفوعا، ومسلم (٢٣٩٨) عن عائشة مرفوعا.

وعبد الله بن وهب هذا هو فقيه من الأئمة من أصحاب مالك، (ت ١٩٧ هـ).

(٦) لذلك فقد جعل الله تعالى لهذا الوحي حرسا لئلا يسترق ولئلا يخلط به غيره – بخلاف الإلهام – كما قال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ (الجن:٢٧).

(٧) لقوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ (المائدة:٣).

(٨) كما في الأثر عن ابن عباس (ما نزل وحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم). صحيح. أحمد (٢١٤٢). صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٩) قلت: فضابطه أمران: عدم مخالفة الشرع، ثم حصول الخير به. والله أعلم بالصواب.

(١٠) كما في الحديث (إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان**: فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان). صحيح. الترمذي (٢٩٨٨) عن ابن مسعود مرفوعا. صحيح موارد الظمآن (٣٨). وكان الشيخ الألباني رحمه الله قد ضعفه أولا، ثم صححه بعد؛ رحمه الله تعالى.

(١١) (١/ ٧٠).

(١٢) والحديث هو (ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعا ولا تتعرجوا (وفي نسخ: ولا تتفرجوا، ولا

تعوجوا)، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد يفتح شيئا من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم)). صحيح. أحمد (١٧٦٣٤) عن النواس بن سمعان مرفوعا. صحيح الجامع (٣٨٨٧).." [1]

"- المسألة السابعة) ما الجواب عن الأثر الذي فيه معرفة أبي بكر بما سيأتيه من الولد، وعن أثر عثمان في مكاشفة أنس رضي الله عنهم أجمعين؟

الجواب: الأثر بتمامه في الموطأ أنه عندما حضرت الوفاة أبا بكر رضي الله عنه؛ فأخبر عائشة رضي الله عنها عن ورثته من البنين؛ فقال: (وإنما هو مال الوارث، وإنما هو أخواك وأختاك؛ فاقتسموه على كتاب الله. فقالت: يا أبت؛ والله لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هو أسماء فمن الأخرى قال: ذو بطن بنت خارجة؛ أراها جارية (١)). (٢)

والجواب عليه هو من أوجه:

١) أنه مجرد ظن وتخمين من أبي بكر رضي الله عنه، وذلك لقوله (أراها) أي: أظنها، فليس هو من العلم بالغيب بحال.

٢) أن سببها قد يكون رؤيا رآها رضي الله عنه، كما نقله الزرقاني (٣) رحمه الله في شرح الموطأ عن ابن مزين (٤): (قال بعض فقهائنا: وذلك لرؤيا رآها أبو بكر).

٣) أنه يحمل على كونه من جملة الكرامات التي أكرم بها رضي الله عنه - كما سبق في الأثر عن ابن مسعود عن **لمة الملك** -.

- وأما أثر أن أنسا رضي الله عنه دخل على عثمان رضي الله عنه، فقال له عثمان: (يدخل علي أحدكم - وأثر الزنى ظاهر على عينيه! -) فهو أثر لم يروه أحد من أصحاب الحديث المشهورين، بل رواه القشيري في رسالته بصيغة التمريض. (٥)

وإن صح فهو من جملة الظن والحدس الذي يقع في خاطر المؤمن وقلما يخطأ، وليس له دلالة على علم الغيب أصلا، وبيان ذلك هو من وجهين:

١) أن أنسا رضي الله عنه قال - جوابا على قول عثمان رضي الله عنهما -: (أوحي بعد رسول الله؟؟) فهو دليل على تأكيد عدم العلم بالغيب بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك الجزم لا يكون إلا وحيا.

٢) أن عثمان رضي الله عنه أجاب على جواب أنس بما يؤكد قوله السابق، فقال: (لا، ولكنها بصيرة وبرهان وفراسة). (٦)

ويشهد لمعناه حديث (إن لله تعالى عبادا يعرفون الناس بالتوسم). (٧)

---

(١) واسمها أم كلثوم.

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٢٣٧/١

(٢) صحيح. الموطأ (٧٥٢/ ٢). إرواء الغليل (١٦١٩).

(٣) شرح الزرقاني (٨٦/ ٤)، والزرقاني: هو محمد بن عبد الباقي بن يوسف الأزهري؛ المالكي، (ت ١١٢٢ هـ).

(٤) هو يحيى بن إبراهيم بن مزين؛ أبو زكريا: عالم بلغة الحديث ورجاله، من أهل قرطبة، (ت ٢٥٩ هـ). الأعلام للزركلي (١٣٤/ ٨).

(٥) أفاده الشيخ أحمد بن عبد الله الغنيمان في كتابه (علم الغيب في الشريعة الإسلامية) (ص٤٦٢).

(٦) قال في القاموس المحيط (ص٥٦٣): (والفراسة بالكسر: اسم من التفرس، وبالفتح: الحذق بركوب الخيل وأمرها).

(٧) صحيح. الطبراني في الأوسط (٢٩٣٥) عن أنس مرفوعا. الصحيحة (١٦٩٣).

وأما حديث (اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله عز وجل) فهو ضعيف. الترمذي (٣١٢٧) عن أبي سعيد مرفوعا. الموضوعات للصغاني (ص٥١).." [١]

"واحزناه فذكره (هـ ك عن محمد بن عبد الله بن جحش) بفتح الجيم وسكون المهملة وسين معجمة الأسدي قال الذهبي غريب

(ان للشيطان كحلا) أي شيئا يجعله في عيني الإنسان لينام (ولعوقا) بفتح اللام أي شيئا يجعله في فيه لينطق لسانه بالفحش (فإذا كحل الإنسان من كحله نامت عيناه عن الذكر وإذا لعقه من لعوقه ذرب) أي فحش (لسانه بالشر) حتى لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه وله والاستعارة في كل لما يناسبه فإن الكحل للعين ظاهر في النوم لعلاقة هجوم النوم وقس عليه (ابن أبي الدنيا) أبو بكر (في) كتاب (مكايد الشيطان) لأهل الإيمان (طب هب عن سمرة) بن جندب // (بإسناد ضعيف) //

(ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا) بفتح النون أي شيئا يجعله في الأنف والمراد أن وساوسه ما وجدت منفذا إلا دخلت فيه (أما لعوقه فالكذب) أي المحرم شرعا (وأما نشوقه فالغضب) أي لغير الله (وأما كحله فالنوم) أي الكثير المفوت للقيام بوظائف العبادات الفرضية والنفلية وشوش الترتيب في التفسير لأن الإنسان في نهاره يكذب ويغضب ثم يختم بالنوم فيصير كالجيفة الملقاة (هب عن أنس) // (بإسناد فيه ضعف) //

(ان للشيطان مصالي) هي تشبه الشرك جمع مصلاة وأراد ما يستفز به الناس من زينة الدنيا وشهواتها (وفخوخا) جمع فخ آلة يصاد بها (وإن) من (مصاليه وفخوخه البطر بنعم الله تعالى) أي الطغيان عند النعمة (والفخر بعطاء الله) تعالى أي التعاظم على الناس (والكبر على عباد الله) تعالى أي الترفع والتيه عليهم (واتباع الهوى) بالقصر (في غير ذات الله) تعالى فهذه الخصال أخلاقه ومصائده وفخوخه التي نصبها لبني آدم فإذا أراد الله تعالى بعبد هوانا خلى بينه وبينه فوقع في شبكته فكان من الهالكين وخص المذكورات لغلبتها على النوع الإنساني (ابن عساكر) في تاريخه (عن النعمان بن بشير) الأنصاري ورواه عنه أيضا البيهقي وفيه إسماعيل بن عياش

(ان للشيطان لمة) بفتح اللام وشد الميم قربا واتصالا (بابن آدم وللملك لمة) المراد بها فيهما ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك (فأما **لمة الشيطان** فإيعاد منه بالشر وتكذيب بالحق) كان القياس مقابلة الشر بالخير والحق بالباطل

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٢٤٢/١

لكنه أتى بما يدل على أن كل ما جر إلى الشر فهو باطل وإلى الخير حق فأثبت كلا ضمنا (وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك) أي إلمام الملك (فليعلم أنه من الله تعالى) يعني مما يحبه ويرضاه (فليحمد الله) على ذلك (ومن وجد الأخرى) لم يقل **لمة الشيطان** كراهة لتوالي ذكره على اللسان (فليتعوذ بالله من الشيطان) تمامه ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (ت ن حب عن ابن مسعود) وقال الترمذي // (حسن غريب) //

(ان للصائم عند فطره لدعوة ما ترد) لأن الصوم يكف شهواته فإذا تركها صفا قلبه وتوالت عليه الأنوار فاستجيب له عند الإفطار (هـ ك عن ابن عمرو) بن العاص قال الحاكم إن كان إسحاق مولى زائدة فقد روى له مسلم وإن كان ابن أبي فروة فواه

(ان للطاعم) أي من لم يصم نفلا (الشاكر) لله تعالى على ما أطعمه (من الأجر) أي الثواب الأخروي (مثل ما) أي الأجر الذي (للصائم الصابر) على الجوع والعطش (ك عن أبي هريرة) وسكت عليه // (ورواه البخاري تعليقا) //

(ان للقبر ضغطة) أي ضيقا لا ينجو منه طالح ولا صالح لكن الكافر تدوم ضغطته بخلاف المؤمن والمراد به التقاء جانبيه عليه (لو كان أحد ناجيا منها نجا منها سعد بن معاذ) اذ ما من احد الا وقد الم بخطيئة." (١)

"ضررا له، وهو الشيطان، فإن العبد إذا عصى الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية، حتى إنه يتباعد منه بالكذبة الواحدة مسافة بعيدة.

وفي بعض الآثار: إذا كذب العبد تباعد منه الملك ميلا من نتن ريحه، فإذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة، فماذا يكون مقدار بعده منه مما هو أكبر من ذلك، وأفحش منه؟

وقال بعض السلف: إذا ركب الذكر عجت الأرض إلى الله وهربت الملائكة إلى ربها، وشكت إليه عظيم ما رأت.

وقال بعض السلف: إذا أصبح ابن آدم ابتدره الملك والشيطان، فإن ذكر الله وكبره وحمده وهلله، طرد الشيطان وتولاه الملك، وإن افتتح بغير ذلك ذهب الملك عنه وتولاه الشيطان.

ولا يزال الملك يقرب من العبد حتى يصير الحكم والطاعة والغلبة له، فتتولاه الملائكة في حياته وعند موته وعند بعثه، كما قال الله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون - نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [سورة فصلت: ٣٠ - ٣١] .

وإذا تولاه الملك تولاه أنصح الخلق وأنفعهم وأبرهم، فثبته وعلمه، وقوى جنانه، وأيده الله تعالى: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾ [سورة الأنفال: ١٢] .

فيقول الملك عند الموت: لا تخف ولا تحزن وأبشر بالذي يسرك، ويثبته بالقول الثابت أحوج ما يكون إليه في الحياة الدنيا، وعند الموت، وفي القبر عند المسألة.

فليس أحد أنفع للعبد من صحبة الملك له، وهو وليه في يقظته ومنامه، وحياته وعند موته وفي قبره، ومؤنسه في وحشته، وصاحبه في خلوته، ومحدثه في سره، ويحارب عنه عدوه، ويدافع عنه ويعينه عليه، ويعده بالخير ويبشره به، ويحثه على

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ المناوي ١/٣٣٧

التصديق بالحق، كما جاء في الأثر الذي يروى مرفوعا وموقوفا: «إن للملك بقلب ابن آدم لمة، وللشيطان لمة، **فلمة الملك**: إيعاد بالخير وتصديق بالوعد، **ولمة الشيطان**: إيعاد بالشر وتكذيب بالحق» .

وإذا اشتد قرب الملك من العبد تكلم على لسانه، وألقى على لسانه القول السديد، وإذا بعد منه وقرب الشيطان، تكلم على لسانه، وألقى عليه قول الزور والفحش، حتى يرى الرجل يتكلم على لسان الملك والرجل يتكلم على لسانه الشيطان." (١)

"أمور الكون من إرسال الرياح، والهواء، ومن سوق السحب، وإنزال المطر، ومن إنبات النبات، ونحو ذلك من الأعمال الخافية على الأنظار التي لا تقع تحت الحواس، ثم قال: وهم يلازمون الإنسان في حياته كلها، وبعد مماته.

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان**؛ فإيعاذ بالشر، وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك**؛ فإيعاذ بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئا؛ فليعلم أنه من الله، وليحمد الله، ومن وجد الأخرى؛ فليتعوذ من الشيطان، ثم قرأ -صلى الله عليه وسلم-: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم﴾)) (البقرة: ٢٦٨).

من أعمال الملائكة أيضا: دعاء الملائكة للمؤمنين، والله -سبحانه وتعالى- لسعة مغفرته، ولحبه لعباده يلهم ملائكته أن يضرعوا إليه بالدعاء، ويسألوه برحمته التي وسعت كل شيء، وعلمه الذي وسع كل شيء أن يغفر للتائبين، ويدخلهم في عباده الصالحين، قال تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾ (غافر: ٧: ٩) وروى مسلم: ((أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يدعوان يقول أحدهما: اللهم أعط ممسكا تلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط منفقا خلفا)).

من أعمالهم أيضا تأمينهم مع المصلين والملائكة تؤمن مع المصلين؛ فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا." (٢)

"له. فتتولاه الملائكة في حياته، وعند موته، وعند بعثه، كما قال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣١].

وإذا تولاه الملك تولاه أنصح الخلق (١) وأنفعهم وأبرهم، فثبته، وعلمه، وقوى جنانه، وأيده. قال تعالى: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾ [الأنفال: ١٢]. ويقول له الملك عند الموت: لا تخف، ولا تحزن، وأبشر بالذي يسرك (٢). ويثبته بالقول الثابت أحوج ما يكون إليه في الحياة الدنيا، وعند الموت، وفي القبر عند المساءلة.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/١٠٧

(٢) الحديث الموضوعي - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٦٦

فليس أحد أنفع للعبد من صحبة الملك له، وهو [٥٣/ أ] وليه في يقظته ومنامه، وحياته، وعند موته، وفي قبره، ومؤنسه (٣) في وحشته، وصاحبه في خلوته، ومحدثه في سره. يحارب عنه عدوه، ويدافعه عنه، ويعينه عليه، ويعده بالخير، ويبشره به، ويحثه على التصديق بالحق، كما جاء في الأثر (٤) الذي يروى مرفوعا وموقوفا: "إن للملك بقلب ابن آدم لمة، وللشيطان لمة. **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالوعد، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق" (٥).

---

(١) ل: "أنصح الخلق له".

(٢) زاد في ز: "ويثبتك". وانظر ما سبق من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في ص (٥٨).

(٣) ف: "وفي قبره يؤنسه".

(٤) ف، ل: "كما في الأثر".

(٥) أخرجه الترمذي (٢٩٨٨) وابن حبان (٩٩٧) والطبري (٣/ ٨٨) وابن أبي حاتم =." [1]

"أخرج الترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ الآية

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: اثنتان من الله واثنتان من الشيطان ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ يقول: لا تنفق مالك وأمسكه عليك فإنك تحتاج إليه ﴿والله يعدكم مغفرة منه﴾ على هذه المعاصي وفضلا في الرزق

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة ﴿والله يعدكم مغفرة منه﴾ لفحشائكم وفضلا لفقركم

وأخرج ابن المنذر عن خالد الربعي قال: عجبت لثلاث آيات ذكرهن الله في القرآن (ادعوني أستجب لكم) (غافر الآية ٦٠) ليس بينهما حرف وكانت إنما تكون لنبي فاباحها الله لهذه الأمة والثانية قف عندها ولا تعجل (اذكروني أذكركم) فلو استقر يقينها في قلبك ما جفت شفتاك والثالثة ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾

وأخرج أحمد في الزهد عن ابن مسعود قال: إنما مثل ابن آدم مثل الشيء الملقى بين يدي الله وبين الشيطان فإن كان لله تبارك وتعالى فيه حاجة أجاره من الشيطان وإن لم يكن لله فيه حاجة خلى بينه وبين الشيطان." [2]

"ويمكن أن يستدل للقائلين بوجود ملك موكل رؤيا بالنصوص العامة التي ثبت حفظ الملائكة لنبي آدم، وأن للملك لمة وهي إيعاد الخير، فمن ذلك.

(أ) ما أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان وابن جرير (١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٢٥١

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٦٥/٢

صلى الله عليه وسلم: «إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد الشر، وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك، فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ [البقرة: ٢٦٨]» الآية.

(ب) أخرج الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه والدارمي في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من

---

(١) جامع الترمذي في التفسير (٢٩٩١) وقال حديث حسن غريب، وفي بعض النسخ، حسن صحيح غريب، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٠٥) وموارد الظمآن في زوائد ابن حبان (٤٠) وابن جرير في تفسيره (٦١٧٠) من قول ابن مسعود موقوفا وسند الطبري صحيح وانظر تخريج زاد المعاد (٢/ ٤٦٠).

وضعفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٧٤) وضعيف الجامع الصغير (١٩٦٣) وفي سنده عطاء بن السائب وقد رمي بالاختلاط في آخر عمره فمن سمع منه قديما فحديثه صحيح وقد استظهر أحمد شاكر رحمه الله من مجموع كلام أئمة الجرح والتعديل أن اختلاطه كان من حين قدم البصرة، وعطاء كوفي والراوي عنه في هذا الحديث أبو الأحوص كوفي أيضا، فالظاهر أنه سمع منه قبل الاختلاط، وانظر الكواكب النيرات (ص٦١) والتهذيب (٧/ ٢٠٣) وجامع الأصول (٢/ ٥٨).." [(١)]

"وأنها تبخر في شهر رجب أو غيره لتصرف وجوه الناس إليها ونحو هذه الأقوال المكذوبة التي يعلم كل من له علم بمكة أنها كذب مختلق وانه لا ينزل أحد قط إلى أسفل الكعبة ولا مغارة تحتها.

ونفس التبخير لا يفعله المسلمون عبادة وقربانا كما كان يفعل ذلك من قبلهم بل هو عندهم من جنس الطيب فتقصد رائحته ومن كان قبل المسلمين من أهل الكتاب كانوا يقربون القرابين فتنزل النار تأكله وقد يدخنون بدخن وأما المشركون من عباد الكواكب والأصنام فالتدخين عندهم من أصول العبادات.

بل وجود مكة مما يدل على القادر المختار وانه يخلق بمشيئته وقدرته وعلمه كما قال تعالى: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم﴾ وقد قال ابن عباس: "لو ترك الناس الحج سنة واحدة لما نوظروا" ولهذا كان حج البيت كل عام فرضا على الكفاية كما ذكر ذلك الفقهاء من أصحاب الشافعي كالقاضي أبي بكر وغيره.

والمقصود هنا أنه إذا علم ما يحدث في النفوس ليس سببه مجرد حركة الفلك مع أنه لا بدل منه من سبب دل ذلك على وجود الملائكة والجن وهذا سلف الأمة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين فإنهم يقولون أن الشياطين توسوس في نفوس بني ادم كالعقائد الفاسدة والأمر باتباع الهوى وان الملائكة بالعكس إنما تقذف في القلوب الصدق والعدل قال ابن مسعود: "إن للملك لمة وللشيطان لمة **فلمة الملك** إيعاد." [(٢)]

---

(١) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين سهل العتيبي ص/١٣٠

(٢) الرد على المنطقيين ابن تيمية ص/٥٠٥

"أن للشيطان لمة بأبن آدم وللملك لمة فأما الشيطان فيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله وليحمد الله ومن وجد الآخر فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم الفحشاء وقد رواه عمرو عن عطاء بن السائب وزاد فيه عمرو قال سمعنا في هذا الحديث أنه كان يقال إذا أحس أحدكم من **لمة الملك** شيئا فليحمد الله وليسأله من فضله وإذا أحس من **لمة الشيطان** شيئا فليستغفر الله وليتعوذ من الشيطان

فصل فالنفس المطمئنة والملك وجنده من الإيمان يقتضيان من النفس

المطمئنة التوحيد والإحسان والبر والتقوى والصبر والتوكل والتوبة والإنابة والإقبال على الله وقصر الأمل والاستعداد للموت وما بعده والشيطان وجنده من الكفر يقتضيان من النفس الأمارة ضد ذلك وقد سلط الله سبحانه الشيطان على كل ما ليس له ولم يرد به وجهه ولا هو طاعة له وجعل ذلك إقطاعه فهو يستنيب النفس الأمارة على هذا العمل والإقطاع ويتقاضى أن تأخذ الأعمال من النفس المطمئنة فتجعلها قوة لها فهي أحرص شيء على تخليص الأعمال كلها وأن تصير من حظوظها فأصعب شيء على النفس المطمئنة تخليص الأعمال من الشيطان ومن الأمارة لله فلو وصل منها عمل واحد كما ينبغي لنجابه العبد ولكن أبت الأمارة والشيطان ان يدعا لها عملا واحدا يصل إلى الله كما قال بعض العارفين بالله وبنفسه والله لو اعلم أن لي عملا واحدا وصل إلى الله لكنت أفرح بالموت من الغائب يقدم على أهله وقال عبد الله بن عمر لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لم يكن غائب أحب إلى من الموت ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾

فصل وقد انتصبت الأمارة في مقابلة المطمئنة فكلما جاءت به تلك من خير

ضاهتها هذه وجاءت من الشر بما يقابله حتى تفسده عليها فإذا جاءت بالإيمان والتوحيد جاءت هذه بما يقدح في الإيمان من الشك والنفاق وما يقدح في التوحيد من الشرك ومحبة غير الله وخوفه ورجائه ولا ترضى حتى تقدم محبة غيره وخوفه ورجائه على محبته سبحانه وخوفه ورجائه فيكون ماله عندها هو المؤخر وما للخلق هو المقدم وهذا حال أكثر هذا الخلق وإذا جاءت تلك بتجريد المتابعة للرسول جاءت هذه بتحكيم آراء الرجال وأقوالهم على الوحي وأتت من الشبه المضلة بما يمنعها من كمال المتابعة وتحكيم السنة وعدم الالتفات إلى آراء الرجال." (١)

"سكينة وطمأنينة فهو من الملك وما أورث قلقا وإنزعاجا واضطرابا فهو من الشيطان فالإلهام الملكي يكثر في القلوب الطاهرة النقية التي قد استنارت بنور الله فللملك بها اتصال وبينه وبينها مناسبة فإنه طيب طاهر لا يجاور إلا قلبا يناسبه فتكون **لمة الملك** بهذا القلب أكثر من **لمة الشيطان** وأما القلب المظلم الذي قد اسود بدخان الشهوات والشبهات فإلقاء الشيطان ولمة به أكثر من **لمة الملك**

فصل والفرق بين الاقتصاد والتقصير أن الاقتصاد هو التوسط بين طرفي

الإفراط والتفريط وله طرفان هما ضدان له تقصير ومجاوزة فالمقتصد قد أخذ بالوسط وعدل عن الطرفين قال تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال

---

(١) الروح ابن القيم ص/٢٢٨

تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والدين كله بين هذين الطرفين بل الإسلام قصد بين الملل والسنة قصد بين البدع ودين الله بين الغالي فيه والجافي عنه وكذلك الاجتهاد هو بذل الجهد في موافقة الأمر والغلو مجاوزته وتعديه وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان فأما إلى غلو ومجاوزة وغما إلى تفريط وتقصير وهما آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلا من مشى خلق رسول الله وترك أقوال الناس وآراءهم لما جاء به لا من ترك ما جاء به لأقوالهم وآرائهم وهذا أن المرضان الخطران قد استوليا على أكثر بني آدم ولهذا حذر السلف منهما أشد التحذير وخوفوا من بلى بأحدهما بالهلاك وقد يجتمعان في الشخص الواحد كما هو الحال أكثر الخلق يكون مقصرا مفرطا في بعض دينه غالبا متجاوزا في بعضه والمهدي من هداه الله

فصل والفرق بين النصيحة والتأنيب أن النصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة

الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورقة ومراد الناصح بها وجه الله ورضاه والإحسان إلى خلقه فيتلطف في بذلها غاية التلطف ويحتمل أذى المنصوح ولائمته ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق المريض المشبع مرضا وهو يحتمل سوء خلقه وشراسته ونفرته ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل ممكن فهذا شأن الناصح

وأما المؤنب فهو رجل قصده التعبير والإهانة وذم من أنبه وشتمه في صورة النصح فهو يقول له يا فاعل كذا وكذا يا مستحقا الذم والإهانة في صورة ناصح مشفق وعلامة هذا أنه." (١)

"قالت عائشة رضى الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا.

وفى الحديث الذى أخرجه ابن أبى دنيا والحاكم عن ابن مسعود، أن رسول الله صلى الله علية وسلم قال: «إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب».

* عملهم فى الطبيعة ومع الإنسان:

وللملائكة عمل فى تدبير أمور الكون من إرسال الرياح والهواء، ومن سوق السحب وإنزال المطر، ومن إنبات النبات، ونحو ذلك من الأعمال الخافية على الأنظار التى لا تقع تحت الحواس.

وهم يلازمون الإنسان فى حياته كلها، وبعد مماته، يقول الرسول صلى الله علية وسلم: «إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء، وعند الجماع، فاستحيوهم وأكرموهم».

١ - تنشيط القوى الروحية الكائنة فى الإنسان بإلهام الحق والخير:

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله علية وسلم قال: «إن للشيطان لمة (١) بابن آدم، وللملك لمة، فـ أما **لمة الشيطان**، فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك**، فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد من ذلك شيئا، فليعلم أنه من الله، وليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان .. ثم قرأ:

(١) الروح ابن القيم ص/٢٥٧

(١) اللمة كهمة: الخطرة بالقلب، **لمة الشيطان**: وسوسته بالسوء؛ **ولمة الملك** وحيه بالخير.." (١)

"أمر عمر؟ مع علم الناس أن أبا بكر وعمر أعلمهم من فوق ابن عمر وابن عباس.

ولو فتح هذا الباب لوجب أن يعرض عن أمر الله ورسوله، ويبقى كل إمام في أتباعه بمنزلة النبي – صلى الله عليه وسلم – في أمته، وهذا تبديل للدين يشبه ما عاب الله به النصارى في قوله: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ [التوبة: ٣١] .

[مسألة في قوله صلى الله عليه وسلم إذا هم العبد بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة]

١٠٤٨ – ٢٤ مسألة:

في قوله – صلى الله عليه وسلم –: «إذا هم العبد بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة» الحديث.

فإذا كان الهم سرا بين العبد وبين ربه فكيف تطلع الملائكة عليه؟

الجواب: الحمد لله قد روي عن سفيان بن عيينة في جواب هذه المسألة، قال: إنه إذا هم بحسنة شم الملك رائحة طيبة، وإذا هم بسيئة شم رائحة خبيثة، والتحقيق أن الله قادر أن يعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء، كما هو قادر على أن يطلع بعض البشر على ما في الإنسان فإذا كان بعض البشر قد يجعل الله له من الكشف ما يعلم به أحيانا ما في قلب الإنسان، فالملك الموكل بالعبد أولى بأن يعرفه الله ذلك.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق: ١٦] إن المراد به الملائكة، والله قد جعل الملائكة تلقي في نفس العبد الخواطر، كما قال عبد الله ابن مسعود: إن للملك لمة **فلمة الملك** تصديق بالحق ووعد بالخير، **ولمة الشيطان** تكذيب بالحق وإبعاد بالشر.

وقد ثبت عنه في الصحيح: أنه قال: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله قد أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير» .." (٢)

"يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيا محزونا حكيما حليما سكينا ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيا ولا غافلا ولا سخابا ولا صياحا ولا حديدا من تطاول تعظما حطه الله ومن تواضع تخشعا رفعه الله وإن للملك لمة وللشيطان **لمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق فإذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق فإذا رأيتهم ذلك فتعوذوا بالله إن الناس قد أحسنوا القول فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه ومن خالف قوله فعله فذاك إنما يوبخ نفسه لا ألفين أحدكم جيفة ليل قطرب نهار إني لا بغض الرجل أن أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة ومن لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهه عن المنكر

(١) العقائد الإسلامية سيد سابق ص/١١٩

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٥/١٢٧

لم يزدد بها من الله بعدا من اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله ولا تحمد أحدا على رزق الله ولا تلوم أحدا على ما لم يؤتك الله فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهة كاره وإن الله بقسطه وحلمه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل لهم والحزن في الشك والسخط ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك ومن يقرع باب الملك يفتح له أني لا حسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في السماء وتخفون على أهل الأرض إن للقلوب شهوة وإدبارا فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها ودعوها عند فترقها وإدبارها ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسما وأمرضه قلبا وتلقون المؤمن من أصح الناس قلبا وأمرضه جسما وأيم الله لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى والتواضع أحب إليه من الشرف وحتى يكون حامده وذامه وعنده سواه وإن الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه فيرجع وما معه منه شيء يأتي الرجل ولا." (١)

"فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

وهي جسم، إذا قبضت تكفن وتحنط وتصعد بها الملائكة إلى السماء.

ومن نعمة الله أن للشيطان ما يضاده، وهي **لمة الملك**؛ فإن للشيطان في قلب ابن آدم لمة وللملك لمة، ومن وفق غلبت عنده **لمة الملك** **لمة الشيطان**، فهما دائما يتصارعان، نفس مطمئنة، ونفس أمارة بالسوء، وأما النفس اللوامة فهي وصف للنفسين جميعا.

١٠- حسن تعليم النبي صلى الله عليه وسلم حين قرن النهي عن قول "لو" ببيان علته؛ لتتبين حكمة الشريعة، ويزداد المؤمن إيمانا وامتثالا.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران: وهما:

الأولى: ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا﴾ ١.

الثانية: ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا﴾ ٢ أي: ما أخرجنا وما قتلنا، ولكن الله تعالى أبطل ذلك بقوله: ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ ٣ والآية الأخرى: ﴿لو أطاعونا ما قتلوا﴾ ٤ فأبطل الله دعواهم هذه بقوله: ﴿فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ ٥ أي: إن كنتم صادقين في البقاء وأن عدم الخروج مانع من القتل؛ فادرءوا عن أنفسكم الموت، فإنهم لن يسلموا من الموت، بل لا بد أن يموتوا، ولكن لو أطاعوهم وتركوا الجهاد؛ لكانوا على ضلال مبين.

---

(١) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/١٤٧

١ سورة آل عمران آية: ١٦٨.

٢ سورة آل عمران آية: ١٥٤.

٣ سورة آل عمران آية: ١٥٤.

٤ سورة آل عمران آية: ١٦٨.

٥ سورة آل عمران آية: ١٦٨.." (١)

"ملهب شديد العدو تشبيها بالنار الملتهبة والألهوب من ذلك وهو العدو الشديد، ويستعمل اللهاب فى الحر الذي ينال العطشان.

(لهث) : لهث يلهث لهثا، قال الله تعالى: فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وهو أن يدلع لسانه من العطش. قال ابن دريد: اللهث يقال للإعياء وللعطش جميعا.

(لهم) : الإلهام إلقاء الشيء فى الروع ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى وجهة الملأ الأعلى. قال تعالى: فألهمها فجورها وتقواها وذلك نحو ما عبر عنه **بلمة الملك** وبالنفث فى الروع

كقوله عليه الصلاة والسلام: «إن للملك لمة وللشيطان لمة»

وكقوله عليه الصلاة والسلام: «إن روح القدس نفث فى روعى»

وأصله من التهام الشيء وهو ابتلاعه، والتهم الفصيل ما فى الضرع وفرس لهم كأنه يلتهم الأرض لشدة عدوه.

(لهى) : اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه، يقال لهوت بكذا ولهيت عن كذا اشتغلت عنه بلهو، قال: إنما الحياة الدنيا لعب ولهو- وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ويعبر عن كل ما به استمتاع باللهو، قال تعالى:

لو أردنا أن نتخذ لهوا ومن قال أراد باللهو المرأة والولد فتخصيص لبعض ما هو من زينة الحياة الدنيا التي جعل لهوا ولعبا ويقال ألهاه كذا أي شغله عما هو أهم إليه، قال: ألهاكم التكاثر- رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وليس ذلك نهيا عن التجارة وكراهية لها بل هو نهى عن التهافت فيها والاشتغال عن الصلوات والعبادات بها، ألا ترى إلى قوله: ليشهدوا منافع لهم- ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم وقوله: لاهية قلوبهم أي ساهية مشتغلة بما لا يعنيها، واللهوة ما يشغل به الرحى مما يطرح فيه وجمعها لهاء وسميت العطية لهوة تشبيها بها، واللهاة اللحمة المشرفة على الحلق وقيل بل هو أقصى الفم.

(لات) : اللات والعزى صنمان، وأصل اللات الله فحذفوا منه الهاء وأدخلوا التاء فيه وأنثوه تنبيها على قصوره عن الله تعالى وجعلوه مختصا بما يتقرب به إلى الله تعالى فى زعمهم، وقوله: ولات حين مناص قال الفراء:." (٢)

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٣٧٦/٢

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٥١٤/٨

"**فلمة الملك**: [إيعاد] ١ بالخير، وتصديق بالحق. **ولمة الشيطان**: إيعاد بالشر، وتكذيب بالحق"٢.

فإذا كانت حسنات الإنسان أقوى، أيد بالملائكة تأييدا يقهر به الشيطان، وإن كانت سيئاته أقوى، كان جند الشيطان معه أقوى. وقد يلتقي شيطان المؤمن بشيطان الكافر؛ فشيطان المؤمن مهزول ضعيف، وشيطان الكافر سمين قوي٣.

الإنسان بفجوره يؤيد شيطانه على ملكه وبصلاحه يؤيده ملكه على شيطانه

فكما أن الإنسان بفجوره يؤيد شيطانه على ملكه، وبصلاحه يؤيد ملكه على شيطانه، فكذلك الشخصان يغلب أحدهما الآخر؛ لأن الآخر لم يؤيد ملكه، فلم يؤيده، أو [ضعف] ٤ عنه؛ لأنه ليس معه إيمان [يعينه] ٥؛ كالرجل الصالح إذا كان ابنه فاجرا، لم يمكنه الدفع عنه لفجوره. وبسط هذه الأمور له موضع آخر٦.

---

١ في ((ط)) : إبعاد.

٢ هذا الأثر رواه الترمذي مرفوعا من طريق عبد الله بن مسعود (جامع الترمذي ٥٢١٩، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة البقرة) . والطبري في تفسيره ٣٨٨-٩٩؛ رواه مرة مرفوعا عن عبد الله بن مسعود، ومرة موقوفا عليه. وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٤٨-٤٩. وذكره ابن القيم في الفوائد ص ٢١٤-٢١٥. وابن كثير في تفسيره ١٣٢١.

٣ هذا الكلام ليس من كلام ابن مسعود لعدم وروده في المصادر السابقة، وهو توضيح من شيخ الإسلام رحمه الله لقول ابن مسعود المتقدم.

٤ في ((خ)) : ضعفت. وما أثبت من ((م)) ، و ((ط)) .

٥ في ((خ)) : يعينها. وما أثبت من ((م)) ، و ((ط)) .

٦ انظر: مجموع الفتاوى ١٨٤-٨٥، ٤٢٥٤. وجامع الرسائل ١١٩٦-١٩٧.." (١)

"المسائل أن يستعيذ بالله منها وينتهي فإن الشيطان يلقي إليه هذه المسائل ليشككه في الحق كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إن للملك لمة وللشيطان لمة **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق الوجه الحادي عشر أما ما ذكروه منقوض عليه بجميع ما في الوجوه من الحوادث وبجميع ما في الوجود من كل موجود وصفة وقدرة وذلك أنه ما من موجود من سماء أو أرض أو ليل أو فلك أو نجم أو بشر أو حيوان أو نبات إلا وهو مخصوص بأمور متعددة من الخواص في مقاديره وصفاته ومكانه وزمانه وهذا يذكر على وجهين الأول النقض بالحوادث كلها فإنه يقال في كل حادث." (٢)

"قوله (أو ليوشكن) أي ليسرعن (عذابا منه)

وفي بعض النسخ عقابا منه (فتدعونه) أي تسألونه (فلا يستجيب لكم) والمعنى والله أن أحد الأمرين واقع إما الأمر والنهي منكم وإما إنزال العذاب من ربكم ثم عدم استجابة الدعاء له في دفعه عنكم بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان فإن كان الأمر

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٢/١٠٦٣

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٥/٢٧٨

والنهي لم يكن عذاب وإن لم يكونا كان عذاب عظيم

قوله (هذا حديث حسن) ذكر المنذري هذا الحديث في الترغيب ونقل تحسين الترمذي وأقره

ورواه البزار والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة كما في الجامع الصغير للسيوطي

[٢١٧٠] قوله (حتى تقتلوا إمامكم) يعني السلطان (وتجتلدوا بأسيافكم) أي تضربوا بها يعني مقاتلة المسلمين بينهم (ويرث دنياكم شراركم) أي يأخذ **الظلمة الملك** والمال

وإيراد هذا الحديث في هذا الباب إما للإشعار بأن هذه الفتنة تقع من أجل ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو تنبيها على أن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو من الذين وصفهم الله بخير الأمة

فالشرار الذين يرثون الدنيا لا يكونون على هذا الوصف وكذا إيراد الحديث الآتي كذا في هامش النسخة الأحمدية

قوله (هذا حديث حسن) وأخرجه بن ماجه." (١)

"المبدل كما في قولك زيد رأيت غلامه رجلا صالحا (على كنفي الصراط) أي على جانبيها والكنف محركة الجانب (زوران) بضم الزاي تثنية زور أي جداران

وفي حديث بن مسعود عند رزين سوران بضم السين المهملة تثنية سور والظاهر أن السين قد أبدلت بالزاي كما يقال في الأسدي الأزدي (لهما) أي للزورين وفي حديث بن مسعود فيهما (على الأبواب ستور) جمع الستر بالكسر (وداع يدعو على رأس الصراط)

وفي حديث بن مسعود وعند رأس الصراط داع يقول استقيموا على الصراط ولا تعوجوا (وداع يدعو فوقه) أي فوق الداعي الأول (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) وفي حديث بن مسعود وفوق ذلك داع يدعو كلما هم عبد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه (والأبواب التي على كنفي الصراط حدود الله) أي محارمه (والذي يدعو من فوقه واعظ ربه) وفي حديث بن مسعود ثم فسره فأخبر أن الصراط هو الإسلام وأن الأبواب المفتحة محارم الله وأن الستور المرخاة حدود الله وأن الداعي على رأس الصراط هو القرآن وأن الداعي من فوقه هو واعظ الله في قلب كل مؤمن

قال الطيبي قوله هو واعظ الله في قلب كل مؤمن هو **لمة الملك** في قلب المؤمن واللمة الأخرى هي **لمة الشيطان**

قوله (هذا حديث حسن غريب) وأخرجه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان (سمعت عبد الله بن عبد الرحمن) هو الدارمي (يقول سمعت زكريا بن عدي) قال في التقريب زكريا بن عدي بن الصلت التيمي مولاهم أبو يحيى نزيل بغداد وهو آخر يوسف ثقة جليل يحفظ من كبار العاشرة ووقع في بعض النسخ زكريا بن أبي عدي بزيادة أبي بين بن وعدي وهو غلط لأنه ليس في شيوخ الدارمي ولا في أصحاب أبي إسحاق الفزاري من يسمى بزكريا بن أبي عدي (يقول قال أبو إسحاق الفزاري)

---

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٣٢٦/٦

اسمه إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حفص بن حذيفة ثقة حافظ له تصانيف من الثامنة (خذوا عن بقية ما حدثكم عن الثقات) وكذلك قال غير." [1]

"إلا أن تغمضوا فيه بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله قال أي النبي (أهدي) بصيغة المجهول من الإهداء (إلا على إغماض) أي مساهلة ومسامحة يقال أغمض في البيع يغمض إذا استزاده من المبيع واستحطه من الثمن فوافقه عليه

قوله (هذا حديث حسن صحيح غريب) وأخرجه بن ماجه وبن جرير وبن أبي حاتم والحاكم

قوله (إن للشيطان) أي إبليس أو بعض جنده (لمة) بفتح اللام وشدة الميم من الإلمام ومعناه النزول والقرب والإصابة والمراد بها ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك (بابن آدم) أي بهذا الجنس فالمراد به الإنسان (وللملك لمة) **فلمة الشيطان** تسمى وسوسة **ولمة الملك** إلهاما (فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر) كالكفر والفسق والظلم (وتكذيب بالحق) أي في حق الله أو حق الخلق أو بالأمر الثابت كالتوحيد والنبوة والبعث والقيامة والنار والجنة (وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير) كالصلاة والصوم (وتصديق بالحق) ككتب الله ورسوله والإيعاد في اللمتين من باب الإفعال والوعيد في الاشتقاق كالوعد إلا أن الإيعاد اختص بالشر عرفا يقال أوعد إذا وعد بشر إلا أنه استعمله في الخير للازدواج والأمن عن الاشتباه بذكر الخير بعده كذا قالوا والظاهر أن هذا التفصيل عند الإطلاق كما قال الشاعر وإني إن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي وأما عند التقييد فالأولى أن يقال بالتجريد فيهما أو بأصل اللغة واختيار الزيادة لاختيار المبالغة فمن وجد أي في نفسه أو أدرك وعرف (ذلك) أي **لمة الملك** على تأويل الإلمام أو المذكور (فليعلم أنه من الله) أي منة جسيمة ونعمة عظيمة واصلة إليه ونازلة عليه إذ أمر الملك بأن يلهمه (فليحمد الله) أي على هذه النعمة الجليلة حيث أهله لهداية الملك ودلالته على ذلك الخير (ومن وجد الأخرى) أي **لمة الشيطان** (ثم قرأ) أي النبي استشهادا الشيطان يعدكم الفقر." [2]

"هذه الآية وما بعدها وإن لم تكن أمرا بالصدقة فهي جالبة للنفوس إلى الصدقة، بين عز وجل فيها نزغات الشيطان ووسوسته وعداوته، وذكر بثوابه هو لا رب غيره. وذكر بتفضله بالحكمة وأثنى عليها، ونبه أن أهل العقول هم المتذكرون الذين يقيمون بالحكمة قدر الإنفاق في طاعة الله عز وجل وغير ذلك، ثم ذكر علمه بكل نفقة ونذر. وفي ذلك وعد ووعيد. ثم بين الحكم في الإعلان والإخفاء وكذلك إلى آخر المعنى. والوعد في كلام العرب إذا أطلق فهو في الخير وإذا قيد بالموعود ما هو فقد يقيد بالخير وبالشر كالبشارة. فهذه الآية مما قيد الوعد فيها بمكروه وهو الفقر و «الفحشاء» كل ما فحش وفحش ذكره، ومعاصي الله كلها فحشاء، وروى حيوة عن رجل من أهل الرباط أنه قرأ «الفقر» بضم الفاء، وهي لغة، وقال ابن عباس: في الآية اثنتان من الشيطان، واثنتان من الله تعالى، وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن للشيطان لمة من ابن آدم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فمن وجد ذلك فليتعوذ،

---

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٨/١٢٤

(٢) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٨/٢٦٥

وأما **لمة الملك** فوعد بالحق وتصديق بالخير فمن وجد ذلك فليحمد الله، ثم قرأ عليه السلام الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم الآية، والمغفرة هي الستر على عباده في الدنيا والآخرة، والفضل هو الرزق في الدنيا والتوسعة فيه والتنعيم في الآخرة، وبكل قد وعد الله تعالى، وذكر النقاش أن بعض الناس تأنس بهذه الآية في أن الفقر أفضل من الغنى، لأن الشيطان إنما يبعد العبد من الخير وهو بتخويفه الفقر يبعد منه.

قال القاضي أبو محمد: وليس في الآية حجة قاطعة أما إن المعارضة بها قوية وروي أن في التوراة «عبدي أنفق من رزقي أبسط عليك فضلي، فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة» وفي القرآن مصداقه:

وهو وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه، وهو خير الرازقين [سبأ: ٣٩] وواسع لأنه وسع كل شيء رحمة وعلما، ثم أخبر تعالى عن نفسه أنه يؤتي الحكمة أي يعطيها لمن يشاء من عباده، واختلف المتأولون في الحكمة في هذا الموضع فقال السدي: الحكمة النبوءة، وقال ابن عباس: هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وعربيته. وقال قتادة: الحكمة الفقه في القرآن، وقاله مجاهد:

وقال مجاهد أيضا: الحكمة الإصابة في القول والفعل، وقال ابن زيد وأبوه زيد بن أسلم: الحكمة العقل في الدين، وقال مالك: الحكمة المعرفة في الدين والفقه فيه والاتباع له، وروى عنه ابن القاسم أنه قال: الحكمة التفكر في أمر الله والاتباع له، وقال أيضا الحكمة طاعة الله والفقه في الدين والعمل به، وقال الربيع: الحكمة الخشية، ومنه قول النبي عليه السلام: «رأس كل شيء خشية الله تعالى» ، وقال إبراهيم: الحكمة الفهم وقاله زيد بن أسلم، وقال الحسن: الحكمة الورع، وهذه الأقوال كلها ما عدا قول السدي قريب بعضها من بعض لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في عمل أو قول. وكتاب الله حكمة، وسنة نبيه حكمة. وكل ما ذكر فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس.

وقرأ الجمهور «من يؤت الحكمة» على بناء الفعل للمفعول. وقرأ الزهري ويعقوب «ومن يؤت» بكسر التاء على معنى ومن يؤت الله الحكمة ف من مفعول أول مقدم والحكمة مفعول ثان، وقرأ الأخفش: «ومن." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الناس

قال ابن عباس وغيره: هي مدنية، وقال قتادة: هي مكية.

قوله عز وجل:

[سورة الناس (١١٤) : الآيات ١ الى ٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الناس (١) ملك الناس (٢) إله الناس (٣) من شر الوسواس الخناس (٤)

الذي يوسوس في صدور الناس (٥) من الجنة والناس (٦)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٦٤/١

الوسواس اسم من أسماء الشيطان، وهو أيضا ما توسوس به شهوات النفس وتسوله، وذلك هو الهواء الذي نهي المرء عن اتباعه وأمر بمعصيته والغضب الذي وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرحه وتركه حين قال له رجل أوصني، فقال: لا تغضب، قال زدني: قال: لا تغضب، وقوله:

الخناس معناه: على عقبه المستتر أحيانا وذلك في الشيطان متمكن إذا ذكر العبد وتعوذ وتذكر فأبصر كما قال تعالى: إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون [الأعراف: ٢٠١] ، وإذا فرضنا ذلك في الشهوات والغضب ونحوه فهو يخنس بتذكير النفس اللوامة **بلمة الملك** وبأن الحياء يردع والإيمان يردع بقوة فتخنس تلك العوارض المتحركة وتنقمع عند من أعين بتوفيق. وقد اندرج هذان المعنيان من الوسواس في قوله تعالى: من الجنة والناس أي من الشياطين ونفس الإنسان، ويظهر أيضا أن يكون قوله: والناس، يراد به من يوسوس بخدعه من البشر، ويدعو إلى الباطل، فهو في ذلك كالشيطان، وكلهم قرأ «الناس» غير ممالة، وروى الدوري عن الكسائي أنه أمال النون من الناس في حال الخفض ولا يميل في الرفع والنصب، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرأ: قل هو الله أحد [الإخلاص: ١] والمعوذتين، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، فيبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده، ففعل ذلك ثلاثا، وقال قتادة رحمه الله: إن من الناس شياطين ومن الجن شياطين، فتعوذوا بالله من شياطين الإنس والجن.." (١)

"وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد، حدثنا حماد بن سلمة، عن حماد -هو ابن أبي سليمان -عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بضب فلم يأكله ولم ينه عنه. قلت: يا رسول الله، نطعمه (١) المساكين؟ قال: "لا تطعموهم مما لا تأكلون" (٢) .

ثم رواه عن عفان (٣) عن حماد بن سلمة، به. فقلت: يا رسول الله، ألا أطعمه المساكين؟ قال: "لا تطعموهم ما لا تأكلون".

وقال الثوري: عن السدي، عن أبي مالك، عن البراء ﴿ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ يقول: لو كان لرجل على رجل، فأعطاه ذلك لم يأخذه؛ إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه رواه ابن جرير.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ يقول: لو كان لكم على أحد حق، فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه. قال: فذلك قوله: ﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم، وحقي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه!!

رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير، وزاد: وهو قوله: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران:٩٢] . ثم روى من طريق العوفي وغيره، عن ابن عباس نحو ذلك، وكذا ذكر غير واحد.

قوله (٤) : ﴿واعلموا أن الله غني حميد﴾ أي: وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها فهو غني عنها، وما ذاك إلا ليساوي الغني الفقير، كقوله: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ [الحج: ٣٧] وهو غني عن جميع خلقه،

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥/٥٤٠

وجميع خلقه فقراء إليه، وهو واسع الفضل لا ينفد ما لديه، فمن تصدق بصدقة من كسب طيب، فليعلم أن الله غني واسع العطاء، كريم جواد، سيجزيه بها ويضاعفها له أضعافا كثيرة من يقرض غير عديم ولا ظلوم، وهو الحميد، أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله (٥) وشرعه وقدره، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وقوله: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن للشيطان للمة (٦) بابن آدم، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان". ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ الآية.

وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتابي (٧) التفسير من سننيهما جميعا، عن هناد بن السري (٨) .

---

(١) في جـ: "ألا نطعمه".

(٢) المسند (١٠٥/٦) .

(٣) في جـ: "عن عثمان".

(٤) في جـ، أ، و: "وقوله".

(٥) في جـ: "في جميع أقواله وأفعاله".

(٦) في جـ: "لمة".

(٧) في جـ: "في كتاب".

(٨) سنن الترمذي برقم (٢٩٨٨) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٠٥١) .." [(١)]

"[الحج: ٣٧] وهو غني عن جميع خلقه وجميع خلقه فقراء إليه، وهو واسع الفضل، لا ينفد ما لديه، فمن تصدق بصدقة من كسب طيب، فليعلم أن الله غني واسع العطاء، كريم جواد، ويجزيه بها، ويضاعفها له أضعافا كثيرة، من يقرض غير عديم ولا ظلوم، وهو الحميد أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وقوله: الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن للشيطان للمة بابن آدم وللملك لمة «١» ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير والتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان» ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا الآية، وهكذا

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦٩٩/١

رواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما جميعا، عن هناد بن السري. وأخرجه ابن حبان في صحيحه، عن أبي يعلى الموصلي، عن هناد به، وقال الترمذي: حسن غريب، وهو حديث أبي الأحوص، يعني سلام بن سليم، لا نعرفه مرفوعا إلا من حديثه، كذا قال وقد رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره، عن محمد بن أحمد عن محمد بن عبد الله بن وستة، عن هارون الفروي، عن أبي ضمرة، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن مسعود مرفوعا نحوه ولكن رواه مسعر عن عطاء بن السائب، عن أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة، عن ابن مسعود، فجعله من قوله، والله أعلم.

ومعنى قول تعالى: الشيطان يعدكم الفقر أي يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله. ويأمركم بالفحشاء أي مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق، يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق، قال تعالى: والله يعدكم مغفرة منه أي في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء. وفضلا أي في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر والله واسع عليم

وقوله: يؤتي الحكمة من يشاء قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله، وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا «الحكمة القرآن» يعني تفسيره، قال ابن عباس:

فإنه قد قرأه البر والفاجر، رواه ابن مردويه، وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: يعني بالحكمة الإصابة في القول، وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد يؤتي الحكمة من يشاء: ليست بالنبوة، ولكنه العلم والفقه والقرآن، وقال أبو العالية: الحكمة خشية الله، فإن خشية الله رأس

---

(١) اللمة: التهمة والخطرة في القلب، أو الدنو.." (١)

"وكسبتم: معناه: كانت لكم فيه سعاية، ومما أخرجنا لكم من الأرض:

النباتات، والمعادن، والركاز، وما ضارع ذلك، وتيمموا: معناه: تعمدوا، وتقصدوا، والتيمم: القصد، وقال الجرجاني: قال فريق من الناس: إن الكلام تم في قوله:

الخبيث، ثم ابتدأ خبرا آخر، فقال: تنفقون منه وأنتم لا تأخذونه إلا إذا أغمضتم، أي:

ساهلتم، قال ع «١» : كأن هذا المعنى عتاب للنفس وتقريع وعلى هذا، فالضمير في منه عائد على الخبيث.

قال الجرجاني: وقال فريق آخر: بل الكلام متصل إلى قوله: فيه وعلى هذا، فالضمير في «منه» عائد على: «ما كسبتم» كأنه في موضع نصب على الحال، والمعنى في الآية: فلا تفعلوا مع الله ما لا ترضونه لأنفسكم، واعلموا أن الله غني عن صدقاتكم، فمن تقرب وطلب مثوبة، فليفعل ذلك بما له قدر.

ت: وهذا يقوي القول بأنها في الزكاة المفروضة، وحميد: معناه محمود.

وقوله تعالى: الشيطان يعدكم الفقر ... الآية: هذه الآية وما بعدها- وإن لم تكن أمرا بالصدقة، فهي جالبة النفوس إلى الصدقة- بين- عز وجل- فيها نزغات الشيطان، ووسوسته، وعداوته، وذكر بثوابه هو سبحانه، لا رب غيره، وذكر بتفضله

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٥٣٨/١

بالحكمة، وأثنى عليها، ونبه أن أهل العقول هم المتذكرون الذين يقيمون بالحكمة قدر الإنفاق في طاعة الله، وغير ذلك، ثم ذكر سبحانه علمه بكل نفقة ونذر، وفي ذلك وعد ووعيد، ثم بين الحكم في الإعلان والإخفاء وكذلك إلى آخر المعنى.
والوعد في كلام العرب، إذا أطلق، فهو في الخير، وإذا قيد بالموعود، فقد يقيد بالخير، وقد يقيد بالشر كالبشارة، وهذه الآية مما قيد الوعد فيها بمكروه، والفحشاء: كل ما فحش، وفحش ذكره، روى ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن للشيطان لمة «٢» من ابن آدم، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان**، فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك**، فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك، فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى، فليتعوذ بالله من الشيطان» ثم قرأ صلى الله عليه وسلم: الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ... الآية. قلت: هذا حديث صحيح خرجه أبو عيسى الترمذي، وقال

---

(١) ذكره ابن عطية (١/ ٣٦٢) .
(٢) اللمة: الهمة والخطرة تقع في القلب. ينظر: «لسان العرب» (٤٠٧٩) . [.....]."[1]
"فالعرف بمعنى المعروف.
وقوله عز وجل: وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم، هذه الآية وصية من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم تعم أمته رجلا رجلا، والنزغ: حركة فيها فساد قلما تستعمل إلا في فعل الشيطان لأن حركته مسرعة مفسدة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح لا ينزغ الشيطان في يده» ، فالمعنى في هذه الآية: فإما تلمن بك لمة من الشيطان، فاستعذ بالله، وعبارة البخاري: ينزغنك: يستخفنك. انتهى.
ونزغ الشيطان عام في الغضب، وتحسين المعاصي، واكتساب الغوائل، وغير ذلك وفي «جامع الترمذي» عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن للملك لمة، وللشيطان لمة ... » «١»
الحديث.
قال ع «٢» : عن هاتين اللمتين: هي الخواطر من الخير والشر، فالآخذ بالواجب يلقى **لمة الملك** بالامتثال والاستدامة، **ولمة الشيطان** بالرفض والاستعاذة، واستعاذ: معناه:
طلب أن يعاذ، وعاذ: معناه: لاذ، وانضوى، واستجار.
قال الفخر «٣» : قال ابن زيد: لما نزل قوله تعالى: وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كيف يا رب، والغضب؟ فنزل قوله: وإما ينزغنك من الشيطان نزغ» «٤» ، وقوله: إنه سميع عليم يدل على أن الاستعاذة لا تفيد إلا إذا حضر في القلب العلم بمعنى الاستعاذة، فكأنه تعالى قال: اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فإن سميع، واستحضر معاني الاستعاذة بعقلك وقلبك فإني عليم بما في ضميرك، وفي الحقيقة: القول اللساني دون المعارف العقلية، عديم الفائدة والأثر.
انتهى.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥٢٤/١

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٢٠١ الى ٢٠٢]

إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون (٢٠١) وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون (٢٠٢)

وقوله سبحانه: إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ... الآية خرجت مخرج المدح للمتقين، والتقوى هاهنا عامة في اتقاء/ الشرك والمعاصي، وقرأ ابن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٩١) .

(٣) ينظر: «تفسير الرازي» (١٥/ ٧٩) .

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٥٥) برقم: (١٥٥٦٤) .." [1]

"وقال ابن الزبير وعكرمة وقتادة والضحاك: هو ما بين الحدين: حد الدنيا وعذاب الآخرة، وهي رواية العوفي والحكم بن عيينة عن ابن عباس، وقال الكلبي: اللمم على وجهين، كل ذنب لم يذكر عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة، فذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر، والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه، وقال مقاتل: اللمم ما بين الحدين من الذنوب. نزلت في نبهان التمار وقد مضت القصة في سورة آل عمران، وقال عطاء بن أبي رياح: اللمم عباده النفس الحين بن الحين، وقال سعيد بن المسيب:

هو ما لم على القلب، اي حظر، وقال محمد بن الحنفية: كل ما هممت به من خير أو شر فهو لمم.

ودليل هذا التأويل

الخبر المروي «إن للشيطان لمة، وللملك لمة، **فلمة الشيطان** الوسوسة، **ولمة الملك** الإلهام» «١» [١٣١]

وقال الحسين بن الفضل: اللمم: النظرة من غير تعمد، وهو مغفور، فإن أعاد النظر فليس بلمم وهو ذنب، وقال الفراء: اللمم: المتقارب من صغار الذنوب، وأصل اللمم والإلمام هو ما يعمله الإنسان المرة بعد المرة، والحين بعد الحين ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه. يقال: ألممت به إذا زرته وانصرفت، إلمام الخيال، قال الأعشى:

ألم خيال من قتيلة بعد ما ... وهي حبلها من حبلنا فتصرما «٢»

وقال آخر:

أنى ألم بك الخيال يطيف ... ومطافه لك ذكرة وشغوف

إن ربك واسع المغفرة لا يتعاظمه ذنب، نظيره ورحمتي وسعت كل شيء.

أخبرني ابن فنجويه، قال: حدثنا الفضل بن الفضل الكندي، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن النعمان

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٠٧/٣

بن عبد السلام الأصفهاني قال: حدثنا محمد بن عاصم، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا العوام بن حوشب عن عمرو بن مرة عن أبي وائل قال: رأى أبو مسيرة عمرو بن شرحبيل، وكان من أفاضل أصحاب عبد الله في المنام قال: رأيت كأني دخلت الجنة فإذا قباب مضروبة فقلت: لمن هذه؟ فقالوا: لذي الكلاع وحوشب- وكانا ممن قتل مع معاوية- فقلت فأين عمار وأصحابه؟ فقالوا: أمامك، قلت: وقد قتل بعضهم بعضا؟: إنهم لقوا الله سبحانه فوجدوه واسع المغفرة.

---

(١) في المصادر تفاوت: فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب الحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق الحق ... » السنن الكبرى للنسائي: ٦/ ٣٠٥، ومسند أبي يعلى ٨/ ٤١٧، وصحيح ابن حبان: ٣/ ٢٧٨.

(٢) تفسير القرطبي: ١٧/ ١٠٩.." [(١)]

"[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٦٨ الى ٢٦٩]

الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (٢٦٨) يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب (٢٦٩)

الشيطان يعدكم الفقر أي يخوفكم الفقر يقال: وعدته خيرا ووعدته شرا وإذا لم يذكر الخير والشر يقال: في الخير وعدته وفي الشر أوعدته والفقر سوء الحال، وقلة ذات اليد وأصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية أن الشيطان يخوفكم بالفقر، ويقول للرجل أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدقت افتقرت ويأمركم بالفحشاء يعني يوسوس لكم ويحسن لكم، البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فهي الزنا إلا هذا الموضع وفي هذه الآية لطيفة وهي أن الشيطان يخوف الرجل أولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء، وهي البخل وذلك لأن البخيل على صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل إلا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر، فلهذا قال تعالى: الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه يعني مغفرة لذنوبكم وسترا لكم وفضلا يعني رزقا وخلفا. فالمغفرة إشارة إلى منافع الآخرة والفضل إشارة إلى منافع الدنيا، وما يحصل من الرزق والخلف. عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء أخرجه الترمذي. وقال هذا حديث حسن غريب قوله: إن للشيطان لمة بابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الإلمام وهو القرب من الشيء والمراد بهذه اللمة اللمة التي تقع في القلب من فعل خير أو شر والعزم فأما **لمة الشيطان** فوسوسة وأما **لمة الملك** فإلهام من الله تعالى والله واسع أي غني قادر على إغنائكم وإخلاف ما تنفقونه عليم يعني بما تنفقونه لا تخفى عليه خافية (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان يقول: أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٤٩/٩

تلفا» (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى أنفق ينفق عليك» وفي رواية «يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده» وفي رواية «فإنه لم يغض ما في يمينه، وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع» وفي رواية وبيده الأخرى الفيض القبض يرفع ويخفض (ق) عن أسماء بنت بكر الصديق قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنفقي ولا تحصي فيحصى عليك ولا توعي فيوعى عليك» قوله: ولا توعي أي لا تشحي فيشح الله عليك فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لك، والمعنى لا تجمعي وتمنعي بل أنفقي ولا تعدي ولا تشحي. قوله عز وجل: يؤتي الحكمة من يشاء قال ابن عباس: هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه، وقال الضحاك: القرآن والفهم فيه وإنما قال: ذلك لتضمن القرآن الحكمة وقال في القرآن: مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كأهل النهروان يعني الخوارج تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وإنما نزلت في أهل الكتاب فجهلوا علمها فسفكوا بها الدماء، وانتهبوا الأموال وشهدوا على أهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فيما نزل لم يختلف في شيء منه، وقيل: هي القرآن والعلم والفقه وقيل هي الإصابة في القول والفعل. وحاصل هذه الأقوال إلى شيئين: العلم والإصابة فيه، ومعرفة الأشياء بذواتها وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لأنها تمنعها قال الشاعر:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم أي امنعوا سفهاءكم، وقال السدي: الحكمة النبوة لأن النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة." (١)

"تشبه النحاس تنبسط على الأرض كلها، والمملكة الرابعة تكون قوتها مثل الحديد، وأما الرجل التي كان بعضها من خزف فإن بعض المملكة يكون عزيزا وبعضها يكون ذليلا وتكون **كلمة الملك** متفرقة ويقيم إله السماء في تلك الأيام مملكة أبدية لا تتغير ولا تزول وإنها تزيل جميع الممالك وسلطانها يبطل جميع السلاطين وتقوم هي إلى الدهر الداهر فهذا تفسير الحجر الذي رأيت أنه يقطع من جبل بلا قاطع حتى دق الحديد والنحاس والخزف والله أعلم بما يكون في آخر الزمان. فهذه هي البشارات الواردة في الكتب المتقدمة بمبعث رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما قوله تعالى: أوف بعهدكم فقالت المعتزلة: ذلك العهد هو ما دل العقل عليه من أن الله تعالى يجب عليه إيصال الثواب إلى المطيع وصح وصف ذلك الوجوب بالعهد لأنه بحيث يجب الوفاء به فكان ذلك أوكد من العهد بالإيجاب بالنذر واليمين: وقال أصحابنا: إنه لا يجب للعبد على الله شيء، وفي هذه الآية ما يدل على ذلك لأنه تعالى لما قدم ذكر النعم، ثم رتب عليه الأمر بالوفاء بالعهد دل على أن تلك النعم السالفة توجب عهد العبودية، وإذا كان كذلك كان أداء العبادات أداء لما وجب بسبب النعم السالفة وأداء الواجب لا يكون سببا لواجب آخر، فثبت أن أداء التكاليف لا يوجب الثواب فبطل قول المعتزلة بل التفسير الحق من وجهين: الأول:

أنه تعالى لما وعد بالثواب وكل ما وعد به استحال أن لا يوجد، لأنه لو لم يوجد لانقلب خبره الصدق كذبا والكذب عليه

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٠٤/١

محال، والمفضي إلى المحال محال فكان ذلك واجب الوقوع فكان ذلك آكد مما ثبت باليمين والنذر، الثاني: أن يقال العهد هو الأمر والعبد يجوز أن يكون مأمورا إلا أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مأمورا لكنه سبحانه وتعالى جرى في ذلك على موافقة اللفظ كقوله: يخادعون الله وهو خادعهم

[النساء: ١٤٢] ، ومكروا ومكر الله [آل عمران: ٥٤] وأما قوله: وإياي فارهبون فاعلم أن الرهبة هي الخوف قال المتكلمون: الخوف منه تعالى هو الخوف من عقابه وقد يقال في المكلف إنه خائف على وجهين: أحدهما: مع العلم والآخر مع الظن، أما العلم فإذا كان على يقين من أنه أتى بكل ما أمر به واحترز عن كل ما نهي عنه فإن خوفه إنما يكون عن المستقبل وعلى هذا نصف الملائكة والأنبياء عليهم السلام بالخوف والرهبة. قال تعالى:

يخافون ربهم من فوقهم [النحل: ٥٠] وأما الظن فإذا لم يقطع بأنه فعل المأمورات واحترز عن المنهيات فحينئذ يخاف أن لا يكون من أهل الثواب، واعلم أن كل من كان خوفه في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر وبالعكس.

روي: «أنه ينادي مناد يوم القيامة وعزتي وجلالي إني لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين من أمنني في الدنيا خوفته يوم القيامة ومن خافني في الدنيا أمنته يوم/ القيامة»

وقال العارفون: الخوف خوفان خوف العقاب وخوف الجلال، والأول: نصيب أهل الظاهر، والثاني: نصيب أهل القلب، والأول: يزول، والثاني: لا يزول. واعلم أن في الآية دلالة على أن كثرة النعم تعظم المعصية، ودلالة على ما تقدم العهد يعظم المخالفة ودلالة على أن الرسول كما كان مبعوثا إلى العرب كان مبعوثا إلى بني إسرائيل. وقوله: وإياي فارهبون يدل على أن المرء يجب أن لا يخاف أحدا إلا الله تعالى، وكما يجب ذلك في الخوف فكذا في الرجاء والأمل وذلك يدل على أن الكل بقضاء الله وقدره إذ لو كان العبد مستقلا بالفعل لوجب أن يخاف منه كما يخاف من الله تعالى وحينئذ يبطل الحصر الذي دل عليه قوله تعالى: وإياي فارهبون بل كان يجب أن لا يرهب إلا نفسه، لأن مفاتيح الثواب والعقاب بيده لا بيد الله تعالى فوجب أن لا يخاف إلا نفسه وأن لا يخاف." (١)

"**وكلمة الملك** نعرفها فيمن يملك قطعة من الأرض بمن فيها ويحكم وله رعية، ومن هذه المادة: المالك. ويطلق على أي مالك لأي شيء، ولو لم يكن لديه إلا الثوب الذي يلبسه فهو مالك، أما: الملك فهو من يملك الذين يملكون، فله ملك على المالكين، وهذا الملك لم يأخذ ملكه بذاته، إنما بإيتاء الله له.

لذلك يقول تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشآء وتنزع الملك ممن تشآء وتعز من تشآء وتذل من تشآء. .﴾ [آل عمران: ٢٦] .

فلو كان ملك هؤلاء الملوك ذاتيا ما نزع منهم، ألا ترى الملك من ملوك الدنيا يقوي ويستتب له الأمر، ويكون له صولجان وبطش وفتك. . إلخ، ومع كل هذا لا يستطيع الاحتفاظ بملكه؟ وفي لحظة ينهار هذا الملك ولو على يد جندي من جنوده، بل وربما تلفظه بلاده، ولا تقبل حتى أن يدفن بها، وتتطوع له بعض الدول، وتقبل أن تواري رفاته بأرضها، فأي ملك هذا؟ وهذه آية من الآيات نراها في كل عصر – وكأنها قائمة – دليلا على صدق الآية: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٨٢/٣

تشآء وتنزع الملك ممن تشآء وتعز من تشآء وتذل من تشآء. ﴾ [آل عمران: ٢٦] إذن: إن ملكك الله فاعلم أنه ملك موهوب، مهما استتب لك فلا تضمن بقاءه؛ لأن الله تعالى ملكك لغاية، ولا يملك الغاية إلا هو سبحانه.

لذلك كان الحق - سبحانه وتعالى - ﴿الملك الحق. ﴾ [المؤمنون: ١١٦] يعني: الذي لا يزحزحه أحد عن ملكه، أو يسلبه منه، وهو الذي يتصرف في ملكه كيف يشاء لا ينازعه فيه أحد، وإن أعطى من باطن ملكه تعالى ملكا لأحد، فيظل في يده سبحانه زمام هذا الملك، إن شاء بسطه، وإن شاء سلبه ونزعه. فهو وحده الملك." [١]

"عن مرة، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن للشيطان لمة من ابن آدم، وللملك لمة: فأما **لمة الشيطان**، فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق. وأما **لمة الملك**، فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك، فليعلم أنه من الله وليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان، ثم قرأ:"الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء". (١)

٦١٧١ - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير بن سليمان، قال: حدثنا عمرو، عن عطاء بن السائب، عن مرة، عن عبد الله، قال: إن للإنسان من الملك لمة، ومن الشيطان لمة. فاللمة من الملك إيعاد بالخير، وتصديق بالحق، واللمة من الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق. وتلا عبد الله:"الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا"= قال عمرو: وسمعنا في هذا الحديث أنه كان يقال: إذا أحس أحدكم من **لمة الملك** شيئا فليحمد الله، وليسأله من فضله، وإذا أحس من **لمة الشيطان** شيئا، فليستغفر الله وليتعوذ من الشيطان. (٢) .

٦١٧٢ - حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، قال: حدثنا عطاء بن السائب، عن أبي الأحوص= أو عن مرة= قال: قال عبد الله: ألا إن للملك لمة وللشيطان لمة. **فلمة الملك**: إيعاد بالخير وتصديق بالحق، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وذلكم بأن الله يقول: (٣) .

"الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم"، فإذا وجدتم من هذه شيئا فاحمدوا الله عليه، وإذا وجدتم من هذه شيئا فتعوذوا بالله من الشيطان. (٤) .

---

(١) الحديث: ٦١٧٠ -أبو الأحوص: هو سلام بن سليم الكوفي الحافظ. سبق توثيقه: ٢٠١٥٨.

عطاء بن السائب: مضى في: ١٥٨، ٤٤٣٣ أنه تغير في آخر عمره، وأن من سمع منه قديما فحديثه صحيح. والظاهر من مجموع كلامهم أن اختلاطه كان حين قدم البصرة. قال أبو حاتم: "في حديث البصريين عنه تخاليط كثيرة، لأنه قدم عليهم في آخر عمره". وعطاء كوفي، والراوي عنه هنا أبو الأحوص كوفي أيضا. فالظاهر أنه سمع منه قبل الاختلاط.

مرة: هو مرة الطيب، وهو ابن شراحيل الهمداني الكوفي. مضت ترجمته: ٢٠٢١.

عبد الله: هو ابن مسعود.

والحديث رواه الترمذي ٤: ٧٧ -٧٨، عن هناد -وهو ابن السري، شيخ الطبري هنا -بهذا الإسناد. وقال: "هذا حديث

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ١٦/١٠١٧٥

حسن غريب [وفي بعض نسخه: حسن صحيح غريب] . وهو حديث أبي الأحوص. لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث أبي الأحوص".

وذكره ابن كثير ٢: ٤٤، من رواية ابن أبي حاتم، عن أبي زرعة، عن هناد. ووقع في إسناده هناك تخليط من الناسخين. ثم أشار إلى بعض رواياته مرفوعا وموقوفا.

وذكر ابن كثير أنه رواه أيضا النسائي في كتاب التفسير من سننه، عن هناد بن السري. وأنه رواه ابن حبان في صحيحه، عن أبي يعلي الموصلي، عن هناد. وكتاب التفسير في النسائي إنما هو في السنن الكبرى.

وذكره السيوطي ١: ٣٤٨، وزاد نسبته لابن المنذر، والبيهقي في الشعب.

وسيأتي بنحوه، موقونا على ابن مسعود: ٦١٧١، ٦١٧٢، ٦١٧٤، ٦١٧٦، من رواية عطاء، عن مرة، عن مسعود. ويأتي موقونا أيضا: ٦١٧٣، من رواية الزهري، عن عبيد الله، عن ابن مسعود. و: ٦١٧٥، من رواية المسيب بن رافع، عن عامر بن عبدة، عن ابن مسعود.

وكأن الترمذي -وتبعه ابن كثير -يريدان الإشارة إلى تعليل هذا الإسناد المرفوع، برواية الحديث موقوفا. ولكن هذه علة غير قادحة بعد صحة الإسناد. فإن الرفع زيادة من ثقة، فهي مقبولة.

وأيضا: فإن هذا الحديث مما يعلم بالرأي، ولا يدخله القياس، فلا يعلم إلا بالوحي من المعصوم صلى الله عليه وسلم. فالروايات الموقوفة لفظا، هي مرفوعة حكما.

(٢) الحديث: ٦١٧١ -الحكم بن بشير بن سلمان: مضت ترجمته في: ١٤٩٧. ووقع اسم جده في المطبوعة هنا"سليمان"، وهو خطأ.

عمرو: هو ابن قيس الملائي. مضت ترجمته في: ٨٨٦.

والحديث في معنى ما قبله. وهو هنا موقوف لفظا، ولكنه مرفوع حكما، كما ذكرنا. ولكن قول عمرو بن قيس في آخره: "وسمعنا في هذا الحديث أنه كان يقال ... " -يكون بلاغا منقطعا في هذا الإسناد، وأن كان صحيحا في ذاته بالأسانيد الأخر.

(٣) في المطبوعة: "وذلكم بأن الله ... " بزيادة واو، وأثبت ما في المخطوطة.

(٤) الحديث: ٦١٧٢ -أبو الأحوص -شيخ عطاء بن السائب: هو عوف بن مالك ابن نضلة، وهو تابعي ثقة معروف، وثقه ابن معين وغيره.

وتردد عطاء بن السائب في أنه عن"أبي الأحوص" هذا، أو عن"مرة الطيب" -لا يؤثر في صحة الحديث، فأنه انتقال من ثقة إلى ثقة. ولعله مما أخطأ فيه عطاء، لأن ابن علية بصري، فيكون ممن سمع منه بعد تغيره. وقد نص على ذلك الدار قطي، كما في ترجمة عطاء في التهذيب.

ولكن ذكر ابن كثير ٢: ٤٤ أنه رواه"مسعر، عن عطاء بن السائب، عن أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة، عن ابن مسعود. فجعله من قوله. فهذا يثبت حفظ رواية عطاء إياه عن أبي الأحوص أيضا. لأن مسعر بن كدام كوفي قديم، من طبقة شعبة والثوري، فهو ممن سمع من عطاء قبل تغيره.

ولم يشر ابن كثير إلى شيء من الروايات الموقوفة لهذا الحديث، إلا إلى رواية مسعر وحده. والروايات الموقوفة بين يديه في الطبري ستة كما ترى.." (١)

"٦١٧٣ - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود في قوله:"الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء"، قال: إن للملك لمة، وللشيطان لمة. **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجدها فليحمد الله؛ **ولمة الشيطان**: إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فمن وجدها فليستعذ بالله. (١) .

٦١٧٤ - حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا حجاج بن المنهال، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني أن ابن مسعود قال: إن للملك لمة، وللشيطان لمة. **فلمة الملك**: إيعاده بالخير وتصديق بالحق، **ولمة الشيطان**: إيعاد بالشر وتكذيب بالحق. (٢) فمن أحس من **لمة الملك** شيئا فليحمد الله عليه، ومن أحس من **لمة الشيطان** شيئا فليتعوذ بالله منه. ثم تلا هذه الآية:"الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم". (٣) .

٦١٧٥ - حدثني المثنى، قال: حدثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن فطر، عن المسيب بن رافع، عن عامر بن عبدة، عن عبد الله، بنحوه. (٤) .

---

(١) الحديث: ٦١٧٣ -وهذا إسناد صحيح آخر للحديث، من وجه آخر، يؤيد رواية عطاء بن السائب. وهو وإن كان موقوفا لفظا فهو مرفوع حكما، كما قلنا من قبل.

(٢) في المطبوعة: "إيعاد بالخير ... إيعاد بالشر" بغير إضافتها إلى الضمير. وأثبت ما في المخطوطة، وهو صواب. وصواب أيضا يقرآ جميعا"ايعادة"، على معنى المرة من"الإيعاد".

(٣) الحديث: ٦١٧٤ -وهذا إسناد صحيح. لأن حماد بن سلمة سمع من عطاء قبل تغيره، كما نص عليه يعقوب بن سفيان وابن الجارود، في نقل التهذيب عنهما ٧: ٢٠٧.

(٤) الحديث: ٦١٧٥ -فطر -بكسر الفاء وسكون الطاء المهملة وآخره راء: هو ابن خليفة الكوفي، وهو ثقة، وثقه أحمد، وابن معين، وغيرهما.

المسيب بن رافع الكاهلي الكوفي: تابعي ثقة، مضى في: ١٢٨.

عامر بن عبدة -بفتح العين المهملة والباء الموحدة -البجلي، أبو إياس الكوفي: تابعي ثقة، والكنى للدولابي ١: ١١٥، والمشتبه للذهبي، ص: ٣٣٩.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٥٧٢/٥

وهذا إسناد ثالث للحديث صحيح، من وجه آخر، يؤيد روايات عطاء عن مرة، وأبي الأحوص عن ابن مسعود، ورواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود.." (١)

"٦١٧٦ - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن عطاء، عن مرة بن شراحيل، عن عبد الله بن مسعود، قال: إن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فتكذيب بالحق وإيعاد بالشر، وأما **لمة الملك**: فإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله عليه. ومن وجد الأخرى فليستعذ من الشيطان. ثم قرأ:"الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا". (١) .

* * *

القول في تأويل قوله: ﴿والله واسع عليم (٢٦٨) ﴾

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره:"والله واسع" الفضل الذي يعدكم أن يعطيكموه من فضله وسعة خزائنه= (٢) "عليم" بنفقاتكم وصدقاتكم التي تنفقون وتصدقون بها، يحصيها لكم حتى يجازيكم بها عند مقدمكم عليه في آخرتكم.

* * *

---

(١) الحديث: ٦١٧٦ -وهذا إسناد حسن، لأن سماع جرير -وهو ابن عبد الحميد الضبي -من عطاء كان بعد تغيره ولكنه يرتفع إلى درجة الصحة بالمتابعات السابقة الصحيحة.

(٢) انظر تفسير"واسع عليم"فيما سلف ٢: ٥٣٧ /ثم ٥: ٥١٦.." (٢)

"حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن مرة، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن ﷺللشيطان لمة من ابن آدم وللملك لمة: فأما **لمة الشيطان**: فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق؛ وأما **لمة الملك**: فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان "، ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ [البقرة: ٢٦٨]." (٣)

"حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكيم بن بشير بن سلمان، قال: ثنا عمرو، عن عطاء بن السائب، عن مرة، عن عبد الله، قال: " إن ﷺللإنسان من الملك لمة، ومن الشيطان لمة؛ فاللمة من الملك: إيعاد بالخير، وتصديق بالحق، واللمة من الشيطان: إيعاد بالشر، وتكذيب بالحق "، وتلا عبد الله: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ [البقرة: ٢٦٨] ، قال عمرو: وسمعنا في هذا الحديث أنه كان يقال: «إذا أحس أحدكم من **لمة الملك** شيئا فليحمد الله، وليسأله من فضله، وإذا أحس من **لمة الشيطان** شيئا، فليستغفر الله وليتعوذ من الشيطان»." (٤)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٥/٥٧٤

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٥/٥٧٥

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥/٦

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥/٦

"حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا عطاء بن السائب، عن أبي الأحوص، أو عن مرة، قال: قال عبد الله: " ألا إن ﷺللملك لمة، وللشيطان لمة؛ **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق؛ وذلكم بأن الله يقول: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم﴾ [البقرة: ٢٦٨] فإذا وجدتم من هذه شيئا فاحمدوا الله عليه، وإذا وجدتم من هذه شيئا فتعوذوا بالله من الشيطان "." [١]

"حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿ﷺالشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ [البقرة: ٢٦٨] قال: " إن للملك لمة، وللشيطان لمة؛ **فلمة الملك**؛ إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجدها فليحمد الله؛ **ولمة الشيطان**: إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فمن وجدها فليستعذ بالله "." [٢]

"حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: ثنا حجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني أن ابن مسعود قال: " إن ﷺللملك لمة، وللشيطان لمة؛ **فلمة الملك**: إيعاد بالخير وتصديق بالحق، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فمن أحس من **لمة الملك** شيئا فليحمد الله عليه، ومن أحس من **لمة الشيطان** شيئا فليتعوذ بالله منه " ثم تلا هذه الآية: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم﴾ [البقرة: ٢٦٨] حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن فطر، عن -[٨]- المسيب بن رافع، عن عامر بن عبدة، عن عبد الله، بنحوه." [٣]

"حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن مرة بن شراحيل، عن عبد الله بن مسعود، قال: «إن ﷺللشيطان لمة، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فتكذيب بالحق وإيعاد بالشر، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله عليه، ومن وجد الأخرى فليستعذ من الشيطان» ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ [البقرة: ٢٦٨]." [٤]

"والثاني: مضاعفة العذاب. ﴿والله واسع عليم﴾ روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن للشيطان لمة من ابن آدم ، وللملك لمة ، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله ، ومن وجد الأخر فليتعوذ بالله). ثم تلا هذه الآية. قوله تعالى: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ في الحكمة سبعة تأويلات: أحدها: الفقه في القرآن ، قاله ابن عباس. والثاني: العلم بالدين ، قاله ابن زيد.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥/٧

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥/٧

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥/٧

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥/٨

والثالث: النبوة. والرابع: الخشية ، قاله الربيع. والخامس: الإصابة ، قاله ابن أبي نجيح عن مجاهد. والسادس: الكتابة ، قاله مجاهد.." (١)

"والسجود لله قسمان: سجود العقلاء تعبدا على الوجه المعروف شرعا، وسجود المخلوقات كلها بانقيادها وخضوعها لمقتضى إرادته كما قال: (والنجم والشجر يسجدان) وقال: (ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها) .

والملائكة من عالم الغيب لا نعرف حقيقتهم، والكتاب الكريم يرشد إلى أنهم أصناف، لكل صنف عمل، وقد جاء في لسان الشرع إسناد إلهام الحق والخير إلى الملائكة كما يستفاد من خطابهم لمريم عليها السلام، وإسناد الوسوسة إلى الشياطين وهو مشهور في الكتاب والسنة،

فقد روى الترمذي «إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله على ذلك، ومن وجد الآخر فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ: (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) »

واللمة: الإلمام والإصابة.

فالملائكة والشياطين أرواح لها اتصال بأرواح الناس لا نعرف حقيقته، بل نؤمن بما ورد فيه ولا نزيد عليه شيئا آخر.

ويرى بعض المفسرين أن ما ورد من أن الملائكة موكلون بالأعمال من إنماء نبات وخلق حيوان وحفظ إنسان، فمعناه أن هذا النمو في النبات إنما هو بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة المخصوصة، وكذلك يقال في الحيوان والإنسان.

فكل شيء قائم بنظام خاص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده، فإنما قوامه بروح إلهى سمى في لسان الشرع ملكا، ومن لا يعترف بالغيب يسميه قوة طبيعية أو ناموسا طبيعيا فالمؤمن بالغيب يرى للأرواح وجودا لا يدرك كنهه، والذي لا يؤمن به يقول أعرف قوة لا أفهم حقيقتها، وإذا فلا خلاف بين الناس في وجود شيء غير ما يرى ويحس، لا يفهم حق الفهم ولا يصل العقل إلى إدراك كنهه.." (٢)

"وكذلك فى الدنيا لا يخافون مما يخاف منه غيرهم من الكفار وضعفاء الإيمان وعبيد الدنيا من مكروه يتوقع كما قال تعالى: «فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين» .

(الذين آمنوا وكانوا يتقون) التقوى- هى اتقاء كل ما لا يرضى الله من ترك واجب وفعل محرم، واتقاء مخالفة سنن الله تعالى فى خلقه من أسباب الصحة والقوة والنصر والعزة وسيادة الأمة، أي أولياء الله الذين جمعوا بين الإيمان الصحيح بالله وملائكته وكتبه، وملكة التقوي له عز وجل وما تقتضيه من عمل.

هم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة)

أي لهم البشرى فى الحياة الدنيا بالنصر وحسن العاقبة فى كل أمر- وباستخلافهم فى الأرض ما أقاموا شرع الله وسننه ونصروا

---

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٣٤٤/١

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٨٦/١

دينه وأعلوا كلمته، وبإلهام الحق والخير كما

ورد من حديث ابن مسعود مرفوعا عند الترمذي والنسائي «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله تعالى، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان»

وفى الآخرة بما أشارت إليه الآية الكريمة: «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون. نزلا من غفور رحيم» .

تبديل لكلمات الله)

أي لا تغيير ولا خلف فى مواعيده تعالى، ومن جملتها بشارة المؤمنين المتقين بجنات النعيم والخير العميم.

لك هو الفوز العظيم)

أي ذلك الذي ذكر من البشرى بسعادة الدارين هو الفوز الذي ليس بعده فوز، لأنه ثمرة الإيمان الحق والتقوى فى حقوق الله وحقوق الخلق.." (١)

"الإيضاح

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) تقدم أن قلنا فى سورة البقرة: إن الملائكة عالم من العوالم الغيبية لا نعرف حقيقتهم، والقرآن الكريم يرشد إلى أنهم أصناف، لكل صنف عمل، وقد جاء على لسان الشرع إسناد إلهام الحق والخير إليهم، كما يستفاد من خطابهم لمريم عليها السلام، وإسناد الوسوسة إلى الشياطين كما

ورد فى الحديث «إن للشيطان امة بابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإبعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، وليحمد الله على ذلك، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ: «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء» .

الملائكة والشياطين أرواح لها اتصال بأرواح الناس على وجه لا نعرف حقيقته، بل نؤمن به كما ورد، ولا نزيد عليه شيئا. وكلنا نشعر بأنا إذا هممنا بأمر فيه وجه للحق أو الخير، ووجه للباطل أو الشر- بأن فى نفوسنا تنازعا وكأن هاجسا يقول افعل، وآخر يقول: لا تفعل، حتى ينتصر أحد الطرفين على الآخر، فهذا الذي أودع فى النفوس ونسميه قوة وفكرا- لا يبعد أن نسميه ملكا إن كان يميل إلى الخير، وشيطانا إن كان يميل إلى الشر.

والسجود: الخضوع والانقياد، وكان تحية للملوك عند بعض القدماء كما جاء من سجود يعقوب وأولاده ليوسف، والسجود قسمان: سجود العقلاء تعبدا على الوجه المخصوص، وسجود سائر المخلوقات لمقتضى إرادته تعالى كما قال «والنجم والشجر يسجدان» .

والمعنى- واذكر أيها الرسول لقومك وقت قولنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية وإكرام اعترافا بفضله، واعتذارا عما

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٣٠/١١

قالوه فى شأنه من نحو قولهم:

«أتجعل فيها من يفسد فيها» فسجدوا كلهم أجمعون امتثالا إلا إبليس أبى واستكبر.." (١)

"فى الحفظ من غوايته، فإذا هم أولو بصيرة يربئون بأنفسهم أن تطيعه، فهو إنما تأخذ وسوسته الغافلين عن ربهم الذين لا يراقبونه فى شئونهم وأعمالهم، ولا شيء أقوى على طرد وساوس الشيطان من ذكر الله ومراقبته فى السر والعلن، من قبل أنه يقوى فى النفس حب الحق وداعى الخير، ويضعف فيها الميل إلى الشرور والآثام، فما مثل المؤمن المتقى الذي لا يتمكن الشيطان من إغوائه وإن تمكن من مسه، إلا مثل الصحيح الجسم القوى المزاج النظيف البدن والثوب والمكان لا تجد النسم (الميكروبات) طريقا لإفساد مزاجه وإصابته بالأمراض، فإن مسه شيء منها بدخوله فى جمسه فتكت بها نسم الصحة فحالت دون فتكها به، وهذا ما يسميه الأطباء (المناعة) .

فقوى الروح بالإيمان والتقوى غير قابل لتأثير الشيطان فى نفسه، لكن الشيطان دائما يتحين الفرص وعروض بعض الأهواء النفسية من شهوة أو غضب أو داعية حسد أو انتقام، حتى إذا وجد الفرصة سانحة افترصها ولا بس النفس وقوى فيها داعى الشر كالحشرات القذرة التي تعرض للنظيف إذا أهملها بالغفلة عنها فعلت فعلها، وإذا تداركها نجا من شرها وضرها، وما سر هذا إلا المناعة النفسية أو الروحية.

وإن الإنسان ليشعر بتنازع دواعى الخير والشر فى نفسه، وإن لداعية الخير والحق ملكا يقويها، ولداعية الشر والباطل شيطانا يقويها، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله على ذلك، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ:

الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء» .

(وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون) أي إن إخوان الشياطين وهم الجاهلون الذين لا يتقون الله- يتمكن الشياطين من إغوائهم فيمدونهم فى غيهم وإفسادهم، لأنهم لا يذكرون الله إذا شعروا بالنزوع إلى الشر ولا يستعيذون به من تزغ الشيطان ومسه، إما لأنهم لا يؤمنون بالله وإما لأنهم لا يؤمنون بأن للإنسان شيطانا." (٢)

"الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله على ذلك، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان)) ثم قرأ: (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) (٣: ٢٦٨) قال الترمذي: حسن غريب لا نعلمه مرفوعا إلا من حديث أبي الأحوص. والرواية: ((إيعاد)) في الموضعين كما أن الآية من الثلاثي في الموضعين، فما قالوه في التفرقة بين الوعد والإيعاد أغلبي فيما يظهر، وإلا فهو غير صحيح. واللمة بالفتح الإلمام بالشيء والإصابة.

(قال الأستاذ) وذهب بعض المفسرين مذهبا آخر في فهم معنى الملائكة: وهو أن مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٦١/١٥

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٥١/٩

موكلين بالأعمال من إنماء نبات وخلقة حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة، وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة، وكذلك يقال في الحيوان والإنسان، فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده، فإنما قوامه بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكا، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني القوى الطبيعية، إذا كان لا يعرف من عالم الإمكان إلا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة. والأمر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمرا هو مناطها، وبه قوامها ونظامها، لا يمكن لعاقل أن ينكره، وإن أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا وزعم أنه لا دليل على وجود الملائكة، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموسا طبيعيا؛ لأن هذه الأسماء لم ترد في الشرع. فالحقيقة واحدة والعاقل من لا تحجبه الأسماء عن المسميات (وإن كان المؤمن بالغيب يرى للأرواح وجودا لا يدرك كنهه، والذي لا يؤمن بالغيب يقول: لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها. ولا يعلم إلا الله علام يختلف الناس، وكل يقر بوجود شيء غير ما يرى ويحس ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم، ولا يصل بعقله إلى إدراك كنهه، وماذا على هذا الذي يزعم أنه لا يؤمن بالغيب وقد اعترف بما غيب عنه لو قال: أصدق بغيب أعرف أثره، وإن كنت لا أقدره قدره، فيتفق مع المؤمنين بالغيب، ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي، ويحظى بما يحظى به المؤمنون؟) .

يشعر كل من فكر في نفسه ووازن بين خواطره عندما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير، ووجه للباطل أو للشر، بأن في نفسه تنازعا كأن الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع، واحد يقول: افعل، وآخر يقول: لا تفعل، حتى ينتصر أحد الطرفين، ويترجح أحد الخاطرين، فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا، ونسميه قوة وفكرا – وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، وروح لا تكتنه حقيقتها، لا يبعد أن يسميه الله – تعالى – ملكا." (١)

"النصارى هي أساس الدين أو ركنه الأعظم، فلو كانت عقيدة إلهية موحى بها إلى الأنبياء لصرحوا كلهم بها تصريحا لا يقبل التأويل كما صرحوا بالتوحيد الذي اعترف هو وغيره بأنه ظاهر (وبين جدا) في العهد القديم، وهاتان العقيدتان على أتم التناقض. وما ذكره من الإشارة إليها في أول سفر التكوين بذكر الله ولفظ (روح الله) غير مسلم ؛ فإنه لم يفهم ذلك منهما أحد من اليهود، ولا غيرهم قبل ابتداع هذه العقيدة، ولا يجوز بل لا يعقل أن يكون أساس العقيدة في كتاب الله مبهما لا يفهمه المخاطبون منه، كما علمت آنفا من استشهاده بالمزمار (٣٣: ٦) وهذان اللفظان موجودان في القرآن المجيد الذي يصرح بكفر القائلين بالتثليث.

(٦) ما ذكره في مسألة (وحدة الله) من سبب التصريح بتوحيد الله تعالى

بأقوى النصوص في العهد القديم، وهو سد ذريعة الوثنية التي كانت كثيرة الشيوع في الأزمنة الأولى هو حجة عليه، فإن تلك الوثنية التي أراد الله تعالى سد ذرائعها بنصوص التوحيد القطعية لموسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام، كان من أركانها عقيدة التثليث الهندية المصرية اليونانية، فما وقع فيه النصارى من الوثنية هو الذي أريد وقاية أتباع الأنبياء منه بتلك النصوص الإلهية في كتبهم، ولا سيما الوصية الأولى من وصايا التوراة، وإنما أوقعهم فيه هذه الألفاظ المجملة في رسائل بولس وأناجيل

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٢٣/١

تلاميذه، وعدم تأويلهم لها بما يوافق توحيد جميع الأنبياء ونصوص التنزيه فيها وفي الإنجيل أيضا.

(٧) إن استشهاده على "كلمة ابن الله " بما جاء في الفصل ٣ من سفر دانيال غريب جدا جدا، فإن عادته في قاموسه أن يذكر بجانب كل كلمة تفسيرا لها وشاهدا عليها من كلام الله أو كلام الأنبياء، والعبارة التي ذكرها هنا هي **كلمة الملك** بابل نبوخذ نصر الوثني قالها في أحد الأفراد الذين ألقاهم في أتون النار ولم يحترقوا، وهي " ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة " فلينظر المسلمون وغيرهم من العقلاء بم يؤيد هؤلاء النصارى تسميتهم المسيح ابن الله؟ ! وبم يثبتون أن لله ابنا حقيقيا؟ إنهم يحاولون إثبات هذا أو يؤيدونه بكلام الوثنيين في عقائدهم، ثم ينكرون أنهم وثنيون.

(٨) إنه حاول أن يفرق بين ما أمر المسيح به المؤمنين من خطابهم لله تعالى في الصلوات بقوله في أول الصلاة الربانية " أبانا الذي في السماوات " إلخ وما في معناه كقوله " أبي وأبيكم " وبين روايتهم عنه في بعض المواضع من قوله " أبي " فهو يزعم تقليدا لرؤساء ملته أن إضافة الأب إلى ضمير المتكلم منه عليه السلام، وإضافته إلى ضمير الجميع فيما أمرهم به من قول " أبانا " دليل على أن أبوته تعالى له حقيقية وأبوته للمؤمنين على سبيل التبني.

وهذا من أغرب ما يؤثر عنهم من التحكم والابتداع المخالف للغة وللعقل

وللنقل المأثور." [(١)]

"وأما ما وصفهم وعرفهم به فقوله: (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فهذا استئناف لبيان حال هؤلاء الأولياء النفسية العلمية والعملية. أي هم الذين جمعوا بين الإيمان الصحيح بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وملكة التقوى له عز وجل، وما تقتضيه من عمل. وعبر عن إيمانهم بالفعل الماضي لبيان أنه كان كاملا باليقين، لم يزلزله شك ولم يحصل بالتدريج، وعن تقواهم بالفعل الذي يدل على الحال والاستقبال لأن التقوى تتجدد دائما بحسب متعلقاتها: من كسب وحرب، وشهوة وغضب، والمعنى الجامع فيها أنها اتقاء كل ما لا يرضي الله تعالى من ترك واجب ومندوب، وفعل محرم ومكروه، واتقاء مخالفة سنن الله تعالى في خلقه من أسباب الصحة والقوة والنصر والعزة وسيادة الأمة. وقد فصلنا هذا في مواضع من أهمها تفسير قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) (٨: ٢٩) .

وأما البشرى التي زفها إليهم فهي قوله: (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) البشرى: الخبر السار الذي تنبسط به بشرة الوجه فيتهلل وتبرق أساريره. وهذه البشرى مبينة في مواضع من كتاب الله تعالى، وقد يراد بها متعلقها الذي يبشرون به، ولم يذكر هنا ليشمل كل ما بشروا به في كتاب الله تعالى وعلى لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم –، فأما البشرى في الحياة الدنيا فأهمها البشارة بالنصر، وبحسن العاقبة في كل أمر، وباستخلافهم في الأرض ما أقاموا شرع الله وسننه، ونصروا دينه وأعلوا كلمته، وأما في الآخرة فمن أكملها وأجمعها لمعاني الآية لأكملهم قوله: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم) (٤١: ٣٠ – ٣٢) المشهور في تنزل الملائكة عليهم أنه يكون

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٩٤/١٠

عند البعث، وكذا عند الموت، ولا مانع من شموله لما في الملائكة الذين أمد بهم أصحاب رسوله – صلى الله عليه وسلم – في غزوة بدر: (وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم (٨: ١٠) الآية. ثم قال: (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا) (٨: ١٢) وقد يكون منه إلهام الحق والخير كما ورد في حديث ابن مسعود مرفوعا عند
الترمذي والنسائي ((إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فيتعوذ بالله من الشيطان))
.
(لا تبديل لكلمات الله) أي لا تغيير ولا خلف في مواعيد الله عز وجل، ومنها هذه البشارات وما في معناها من الآيات (ذلك هو الفوز العظيم) أي ذلك الذي ذكر من البشرى بسعادة الدارين هو الفوز العظيم الذي لا يعلوه فوز وإنما هو ثمرة الإيمان الحق، والتقوى العامة في حقوق الله وحقوق الخلق.." (١)

"(النوع الثاني) ما يمنحه الله تعالى من التثبيت في الحق والإلهام لمن دون الأنبياء من خيار خلقه الذين سلمت فطرتهم، وصفت سريرتهم، وزكت بالعمل الصالح أنفسهم، حتى غلبت فيها الصفات الملكية على النزعات الحيوانية والنزعات الشيطانية، فالأرواح البشرية العالية قد تقوي المناسبة بينهما وبين الملائكة فتستفيد من أرواح الملائكة قوة في الخير والحق وثباتا على الصلاح والإصلاح (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا) (٨: ١٢) وقد تستفيد منها علما بالحق وبشارة بالخير، وهو ما يسمى التحديث والإلهام، ومنه بشارة الملائكة لمريم بعيسى عليه السلام، وتمثل جبريل لها عندما أراد الله أن تحمل بنفخه فيها، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن عمر بن الخطاب كان من المحدثين، وقد عبر عن ملك الإلهام بأنه " واعظ الله في قلب كل مؤمن " وفي حديث النواس بن سمعان عند أحمد والترمذي، ويوضحه حديث ابن مسعود " أن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله، ومن وجد الأخرى
فليتعوذ بالله من الشيطان " رواه الترمذي والنسائي وابن حبان، وعلم عليه في الجامع الصغير بالصحة.
وقد أطال الإمام الغزالي في إيضاح هذا المطلب في كتاب شرح عجائب القلب من الإحياء وتقدم في تفسير سورة البقرة من الجزء الأول بحث فيه، والماديون المحجوبون ينكرون مثل هذا " ومن جهل شيئا عاداه " ولو قيل لمن كان على شاكلتهم قبل كشفهم عن نسمة هذه الجنة (الميكروبات) إن في العالم أنواعا كثيرة من المخلوقات الخفية التي لا يمكن أن يراها أحد بعينه هي سبب الأدواء والأمراض التي لا تحصى، وهي سبب التغيرات والاختمارات التي نراها في المائعات والفواكه وغيرها لقالوا: إنما هذه خرافة من الخرافات، وقد كان غير المسلمين يعدون من هذا القبيل حديث أبي موسى " الطاعون وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة " رواه الحاكم وصححه، ثم صاروا بعد اكتشاف باشلس الطاعون يتعجبون منه بصدق كلمة " الجن " على ميكروب الطاعون كغيره، وقد ورد أن الجن أنواع منها ما هو من الحشرات وخشاش الأرض.
وقد بين الأستاذ الإمام النوع الأول في رسالة التوحيد أكمل بيان، بأوضح برهان، واختصر في بيان النوع الثاني فقال:

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٤٢/١١

" أما أرباب النفوس والعقول السامية من العرفاء، ممن لم تدن مراتبهم من مراتب الأنبياء، ولكنهم رضوا أن يكونوا لهم أولياء، وعلى شرعهم ودعوته أمناء: فكثير منهم نال حظه من الأنس، بما يقارب تلك الحال في النوع أو الجنس، لهم مشارفة في بعض أحوالهم على شيء من عالم الغيب، ولهم مشاهد صحيحة في عالم المثال لا تنكر عليهم لتحقق حقائقها في الواقع، فهم لذلك لا يستبعدون شيئا مما يحدث به من الأنبياء صلوات الله." (١)

"لنوع أو أنواع من حكمه في خلقه، ومن كماله في ذاته وصفاته، ولا

شيء منه بباطل ولا بشر محض (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) (١٥: ٨٥) (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) (٣٨: ٢٧)

وإذا كان من حكمته تعالى فيما ذكر من معصيتي أبوي الإنس والجن ظهور استعدادهم وإظهار حكمه تعالى في الجزاء على الذنوب في حالي التوبة منها والإصرار عليها، والعبرة والموعظة، وحسن الأسوة، وسوء القدوة، والابتلاء والجهاد وغيره مما بينا - وإذا كانت معصية الأول بسبب وسوسة الآخر - فلا خفاء في استمرار ذلك في ذريتهما؛ لأنه من مقتضى فطرة نوعيهما، التي هي مظهر أسماء الله وصفاته فيهما، فجنس الجن أو الجنة الغيبي الروحاني نوعان أو صنفان: صنف ملكي يلابس بعضه أرواح البشر الميالة إلى الحق والخير فتقوي داعيتهما فيها، وصنف شيطاني يلابس أرواح البشر الميالة إلى الباطل والشر فتقوي داعيتهما فيها، كما بينه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله على ذلك، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان " ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) (٢: ٢٦٨) الآية - رواه الترمذي وقال حسن غريب، والنسائي، وابن حبان، والبيهقي في الشعب، ورواة التفسير المأثور من حديث ابن مسعود - ومثل اتصال نوعي الجنة الروحية بروح الإنسان كل بما يناسب طبعه - كمثل اتصال نوعي الجنة المادية بجسده وتأثيرها فيه بحسب استعداده، وهي ما يسميه الأطباء بالميكروبات وسماها بعض الأدباء النقاعيات، فإن منها جنة الأمراض والأوبئة التي تؤثر في الجسم القابل لها بضعفه، والميكروبات التي تقوى بها الصحة كما بيناه من قبل.

قال الراغب في مفرداته: والجن يقال على وجهين (أحدهما) للروحانيين: المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس، فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة، وعلى هذا قال أبو صالح: الملائكة كلها جن. وقيل: بل الجن بعض الروحانيين، وذلك أن الروحانيين ثلاثة: أخيار وهم الملائكة. وأشرار وهم الشياطين، وأوساط فيهم أخيار وأشرار وهم الجن. ويدل على ذلك قوله تعالى: (قل أوحي إلي) (٧٢: ١) إلى قوله عز وجل: (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) (٧٢: ١٤) والجنة جماعة الجن اهـ. وأقول: إن هذا لا يخالف ما ذكر قبله من وحدة الجنس؛

فإنه غلب على قسمين منه اسمان مميزان لهما لتضادهما. وقد فسرت الجنة - بالكسر - في قوله تعالى: (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) (٣٧: ١٥٨) بالملائكة كما يدل عليه قوله قبل." (٢)

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٦٦/٧

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٠٤/٨

"بالغفلة مدخلا إلى قلب المؤمن المتقي، لا يلبث أن يشعر به؛ لأنه غريب

عن نفسه، ومتى شعر ذكر فأبصر فخنس الشيطان وابتعد عنه، وإن أصاب منه غرة قبل تذكره تاب من قريب.

فمثل المؤمن في عدم تمكن الشيطان من إغوائه، وإن تمكن من مسه، كمثل المرء الصحيح المزاج القوي الجسم النظيف الثوب والبدن والمكان، لا تجد الأمراض المفسدة للصحة؛ استعدادا لإفساد مزاجه وإصابته بالأمراض، فهي تظل بعيدة عنه، فإن مسه شيء منها بدخوله في معدته أو دمه فتكت بها نسم الصحة والعافية فحالت دون فتكها به – وهو ما يسمى في عرف الطب المناعة – وكذلك يكون قوي الروح بالإيمان والتقوى غير مستعد لتأثير الشيطان في نفسه، فهو يطوف بها يراقب غفلتها وعروض بعض الأهواء النفسية لها من شهوة أو غضب أو داعية حسد أو انتقام، فمتى عرضت افترصها، فلابس النفس وقواها فيها، كما تلابس الحشرات القذرة أو جنة الأمراض الخفية ما يعرض من القذر للنظيف والضعف للقوي، فإذا أهملها بالغفلة عنها فعلت فعلها، وإذا تداركها نجا من ضررها، ويحسن أن يعبر عن هذا بالحصانة، فيقال: مناعة جسدية وحصانة نفسية أو روحية.

ذكرنا في الكلام على الشيطان من أوائل سورة البقرة أن الإنسان يشعر بقدر علمه بتنازع دواعي الخير والشر والحق والباطل في نفسه، وأن لداعية الحق والخير ملكا يقويها، ولداعية الباطل والشر شيطانا يقويها، وأن النبي صلى الله عليه وسلم بين هذا بقوله: إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة: فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله على ذلك. ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ: الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (٢: ٢٦٨) رواه الترمذي والنسائي في الكبير وابن حبان عن ابن مسعود، وعلم عليه السيوطي في الجامع الصغير بالصحة، ولكن الترمذي قال: حسن غريب لا نعلمه مرفوعا إلا من حديث أبي الأحوص. وذكرنا هنالك بعض كلام الإمام الغزالي في هذا المقام، وله فيه تفصيل حسن طويل في كتاب شرح عجائب القلب وغيره من الإحياء، وللمحقق ابن القيم كتاب خاص في ذلك اسمه: (إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان) فمن قرأ أمثال هذه الكتب، كان من وسوسة الشيطان على حذر.

وما زال الصالحون المتقون يراقبون خواطرهم، ويجاهدون الوسواس الذي يلم بها، ولهم حكايات في ذلك غريبة. حدثني الشيخ عبد الغني الرافعي الفقيه الصوفي، أنه دخل في أيام سلوكه وهو في ميعة شبابه بستانا في طرابلس يعمل فيه نساء من نصارى لبنان، فإذا بشابة جميلة منهن في مكان خلو، فنزغ الشيطان بينه وبينها حتى هم بمباشرتها فتذكر." [(١)]

"وفي الحديث: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» «١»

ولا خلاف في أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأما الجن والشياطين فبخلاف ذلك.

قال صلى الله عليه وسلم في العظم: «إنه زاد إخوانكم من الجن» «٢»

وفي القرآن أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني [الكهف: ٥٠] .

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٩/٤٥٤

وأما كيفية الوسوسة

فيروى أن عيسى عليه السلام دعا ربه أن يريه موضع الشيطان من بني آدم، فأراه ذلك فإذا رأسه الحية واضع رأسه على قلبه فإذا ذكر الله خنس وأيس، وإذا لم يذكره وضع رأسه على حبة قلبه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات» «٣»

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: «إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء [البقرة: ٢٦٨] الآية، فمن الخواطر ما هو أصل العادة، ومنها ما هو أصل الشقاوة. وسبب اشتباه خطأ الخواطر بصوابها أحد أربعة أشياء: إما ضعف اليقين، أو قلة العلم بصفات النفس وأخلاقها، أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى، أو محبة الدنيا وجاهها ومالها. فمن عصم من هذه الأربعة يفرق بين **لمة الملك** **ولمة الشيطان**، ومن ابتلى بها فلا. واتفق المحققون على أن من كان أكله من الحرام لا يفرق بين الإلهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بأن النفس تطالب وتلح، فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها.

والشيطان إذا دعا إلى زلة ولم يجب، يوسوس بأخرى إذ مراده الإغواء كيف أمكن.

وحقيقة الوسوسة راجعة إلى أن الإنسان بينما هو ذاهل عن الشيء ذكره الشيطان ذلك فيحدث له ميل، ويترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكأن الذي أتى به الشيطان من خارج ليس إلا ذلك التذكير. وإليه الإشارة في القرآن حكاية عن إبليس وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي [إبراهيم: ٢٢] ، ولا يتسلسل هذا التذكير وإنما يقدم

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام باب ٢١. أبو داود في كتاب الصوم باب ٧٨. ابن ماجه في كتاب الصيام باب ٦٥. الدارمي في كتاب الرقاق باب ٦٦. أحمد في مسنده (٣/ ١٥٦، ٢٨٥) .

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٣٦، ٤٥٨) . الترمذي في كتاب تفسير سورة ٤٦ باب ٣.

(٣)

رواه أحمد في مسنده (٢/ ٣٥٣) بلفظ: « ... يحومون على بني آدم أن لا يتفكروا في ملكوت السموات والأرض» .."

(١)

"عاقبة اتباع خطوات الشيطان

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ [النور:٢١] هذا هو المقطع الثاني من الآية الكريمة، بين الله تبارك وتعالى فيه عاقبة من اتبع سبيل الشيطان، وأطاعه في اتباع تلك الخطوات، بين العاقبة التي ينتهي إليها في الدنيا، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ [النور:٢١] .

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٢٠/١

(فإنه) أي: الشيطان.

(يأمر بالفحشاء) وهي: جمع فاحشة، والفحشاء: المراد بها الفاحشة، وقد تطلق على القول الذي لا يحبه الله تبارك وتعالى، وقد تطلق على الفعل: فمن إطلاقها على الفعل: قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة﴾ [الإسراء:٣٢] فأخبر سبحانه وتعالى أن الزنا فاحشة مع أن الزنا فعل من الأفعال، فهذا من إطلاق لفظ: (الفاحشة) على الفعل.

ومن إطلاق الفاحشة على القول: قول عائشة رضي الله عنها: (إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا) صلوات الله وسلامه عليه، أي: ما كان ليقول أو يفعل ما لا خير فيه.

وقوله تعالى (والمنكر) : المنكر ضد المعروف، وهو ما أنكره الله تبارك وتعالى في كتابه، وأنكره رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، والمنكر وصف بذلك لما فيه من النكارة وهي كل ما لا يحبه الله ويرضاه فإذا فعل العبد ما حرم الله عليه فإنه قد أصاب منكرا؛ لأنه من أعظم ما يكون جريمة أن يعصي العبد ربه، فبمعصيته لمن خلقه ورزقه، وأطعمه وكساه كان بذلك مرتكبا لأمر منكر لا يحبه الله ولا يرضاه.

يقول الله تعالى: (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه) أي: الشيطان.

أما الفائدة الثانية: أن الآية فيها منهج تربوي لمن أراد أن يعلم أو يربي غيره، ذلك أن الله تبارك وتعالى نهى العباد عن متابعة الشيطان، وذكر عاقبة من اتبع الشيطان، قال بعض العلماء: ذكر عاقبة من اتبع الشيطان أبلغ في زجر الناس عن متابعة الشيطان، بمعنى إذا أراد الإنسان أن ينهى صبيا أو يعلم جاهلا فإنه ينبغي له أن يجمع في النهي بين أمرين: الأمر الأول: أن يحدد له الشيء الذي ينهاه عنه.

والأمر الثاني: أن يبين له عاقبة الشيء الذي نهاه عنه.

فذلك أبلغ في التربية والتوجيه والتعليم.

وقد اشتملت الآية الكريمة على كلا الأمرين، فحذرنا الله تبارك وتعالى عن اتباع سبيل الشيطان، وأخبرنا عن العاقبة التي ينتهي إليها كل من اتبعه وسار على نهجه وارتضاه، فقال: (فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) هذا الأمر الذي يوجهه الشيطان إلى الإنسان إنما يوجهه بالوسوسة، فهي سبيل الشيطان للإنسان، ولذلك إذا وقف الإنسان أمام معصية من المعاصي وجد في نفسه دعوة تدعوه إلى تلك المعصية، وهي **لمة الشيطان** والعياذ بالله، ووجد في نفسه ما يزجره عن فعل تلك المعصية وهي لمة الخير التي جعلها الله عز وجل للملك، ولذلك يعيش الإنسان بين اللمتين: منهما: **لمة الشيطان** كما بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: (فإن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان**: فتسويف بالخير وإيعاد بالشر، وأما **لمة الملك**: فنهي عن الشر وإيعاد بالخير) ، فهاتان لمتان موجودتان في الإنسان.

وبناء على ذلك: فكل ما يجده الإنسان في نفسه من الدعوة إلى الحرام ينبغي أن يعلم أنه من الشيطان، وعلاج ذلك بينه الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ [فصلت:٣٦] فمن أراد أن

ينجو من هذه الأوامر التي يسولها الشيطان لأوليائه، فما عليه إلا أن يستعيذ بالله عز وجل، فإنه نعم المولى ونعم النصير.." (١)

"قال عبد الرزاق

٣٤٨ - وحدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود ، في قوله تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ [البقرة: ٢٦٨] قال: «إن للملك لمة ، وللشيطان لمة ، **فلمة الملك** إيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجدها فليحمد الله ، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر ، وتكذيب الحق ، فمن وجدها فليستعذ بالله»." (٢)

"الخبيث منه تنفقون

ولستم بآخذيه﴾ . فقال عبيدة: إنما هذا في الواجب، ولا بأس أن يتطوع الرجل بالتمرة، والدرهم الزائف خير من التمرة.

وقوله تعالى: ﴿واعلموا أن الله غني حميد﴾ ، أي: غني عن صدقاتكم، حميد: بقبولها منكم، وإثباتكم على أعمالكم، وهو المحدود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره.

قوله عز وجل: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (٢٦٨) ﴾ .

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن للشيطان لمة من ابن آدم، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان» ثم قرأ: « ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ » . رواه ابن جرير وغيره.

قوله عز وجل: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب (٢٦٩) ﴾ .

قال قتادة: الحكمة: القرآن، والفقه في القرآن.

وقوله تعالى: ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ ، أي: العقول. قال الحسن: من أعطى القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه، إلا أنه لم يوح إليه.

وقال ابن كثير: جاء في بعض الأحاديث: «من حفظ القرآن فقد أدرجت." (٣)

---

(١) تفسير سورة النور محمد المختار الشنقيطي ٣/٦

(٢) تفسير عبد الرزاق عبد الرزاق الصنعاني ٣٧٣/١

(٣) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ٣٤٨/١

"٢٢٤ – حدثنا هشام بن عمار حدثنا حفص بن سليمان حدثنا كثير بن شنظير عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب»

قوله (طلب العلم فريضة) قال البيهقي في المدخل أراد والله تعالى أعلم العلم الذي لا يسع البالغ العاقل جهله أو علم ما يطرأ له أو أراد أنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم به من فيه كفاية وقال سئل ابن المبارك عن تفسير هذا الحديث فقال ليس هو الذي يظنون إنما هو أن يقع الرجل في شيء من أمور دينه فيسأل عنه حتى يعلمه وقال البيضاوي المراد من العلم ما لا مندوحة للعبد منه كمعرفة الصانع والعلم بوحدانيته ونبوة رسوله. صلى الله عليه وسلم. وكيفية الصلاة فإن تعلمه فرض عين وقال الثوري هو الذي لا يعذر العبد في الجهل به وقال الشيخ أبو حفص هو المشهور فإن غيره اختلف في العلم الذي هو فريضة فقيل هو علم الإخلاص مأمور به كما أن العلم مأمور به وشهوات النفس تخرب مباني الإخلاص من المأمور به فصار علم ذلك فرضا وقيل معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأن الخواطر في نشأة العقل وبذلك يعلم الفرق بين **لمة الملك** **ولمة الشيطان** وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقيل هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقيل هو علم الفرائض الخمس التي بني عليها الإسلام وقيل هو طلب علم التوحيد بالنظر والاستدلال والنقل وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهو الذي يكتسب بصحبة الصالحين والزهاد والمقربين فهم ورثة علم النبيين – صلوات الله وسلامه عليهم – أجمعين انتهى قوله (على كل مسلم)." (١)

"ويتبع غير سبيل المؤمنين اى غير ما هم مستمرون عليه من اعتقاد وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى اى نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلى بينه وبين ما اختار ونصله جهنم اى ندخله فيها وساءت مصيرا اى جهنم– روى– ان طعمة عاند حكم الله وخالف رسول الله خوفا من فضاحة قطع اليد فهرب الى مكة واتبع دين أهلها ومات كافرا فعلى العاقل ان لا يخالف الجماعة وهم المؤمنون فان الشاة الخارجة عن القطيع يأكلها الذئب وسبيل المؤمنين هو السبيل الحق الموصل الى الجنة والقربة والوصلة واللقاء. والاشارة انه لا خير في كثير من نجواهم اى الذين يتناجون من النفس والشيطان والهوى لانهم شرار ولا فيما يتناجون به لانهم يأمرون بالسوء والفحشاء والمنكر ثم استثنى وقال إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس اى الا فيمن امر بهذه الخيرات فان فيه الخير وهو الله تعالى فانه يأمر بالخيرات بالوحى عموما او يأمر بالخاطر الرحمانى والإلهام الربانى خواص عباده فالخاطر يكون بواسطة الملك وبغير الواسطة كما قال عليه السلام (ان للملك لمة وان للشيطان لمة **فلمة الملك** إيعاد بالخير **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر) والإلهام ما يكون من الله تعالى بغير الواسطة وهو على ضربين. ضرب منه مالا شعور به للعبد انه من الله. وضرب منه ما يكون باشارة صريحة يعلم العبد انه آت من الله تعالى لتعليم نور الإلهام وتعريفه لا يحتاج الى معرفة آخر انه من الله تعالى وهذا يكون للولى وغير الولي

---

(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجه السندي، محمد بن عبد الهادي ٩٨/١

كما قال بعض المشايخ حدثني قلبي عن ربي وقال عليه السلام (ان الحق لينطق على لسان عمر) وقال (كادت فراسته ان تسبق الوحى) ثم قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله

اى ومن يفعل بما ألهمه الله طلبا لمرضاته فسوف نؤتيه أجرا عظيما ذكر بفاء التعقيب قوله فسوف يعنى عقيب الفعل نؤتيه اجرا وهو جذبة العناية التي تجذبه عنه وتوصله الى العظيم ثم قال ومن يشاقق الرسول اى يخالف الإلهام الرباني الذي هو رسول الحق اليه من بعد ما تبين له الهدى بتعريف الإلهام ونوره ويتبع غير سبيل المؤمنين الموقنين بالإلهام بان يتبع الهوى وتسويل النفس وسبيل الشيطان نوله ما تولى اى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله بسلاسل معاملاته التي تولى بها الى جهنم سفليات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية وساءت مصيرا اى ما صار اليه من عبادة الهوى واتباع النفس والشيطان واشراكهم بالله فى المطاوعة كذا فى التأويلات النجمية إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يقال جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم أشرك بالله شيأ منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جراءة وما توقعت طرفة عين انى أعجز الله هربا وانى لنادم تائب فما ترى حالتى عند الله فنزلت هذه الآية. فالشرك غير مغفور الا بالتوبة عنه وما سواه مغفور سواء حصلت التوبة او لم تحصل لكن لا لكل أحد بل لمن يشاء الله مغفرته ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك أعظم انواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة.

قال الحدادي اى فقد ذهب عن الصواب والهدى ذهابا بعيدا وحرم الخير كله. والفائدة." (١)

"الإثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه كالشرك والزنى مطلقا خصوصا بحليلة جاره وقتل النفس مطلقا لا سيما الأولاد وهى الموءودة وقال ابن جبير هى مالا يستغفر منه لقوله عليه السلام لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وفي الحديث إياكم والمحقرات من الذنوب قال ابن عباس رضى الله عنهما هى الى سبعين اقرب وتمام التفصيل سبق في حمعسق في نظير الآية والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الزنى والقتل بغير حق وغيرهما فهو من قبيل التخصيص بعد التعميم قال الراغب الفحش والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والأقوال إلا اللمم اللمم مقاربة المعصية ويعبر به عن الصغيرة من قولك ألممت بكذا اى نزلت به وقاربته من غير مواقعة وألم الغلام قارب البلوغ والاستثناء منقطع لان المراد باللمم الصغائر وهى لا تدخل في الكبائر والمعنى الا ما قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر يعنى ان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات

وقال ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقيل هى النظر بلا تعمد فان أعاد النظر فليس بلمم وهو مذنب والغمزة والقبلة كما روى ان نبهان التمار أتته امرأة لتشترى التمر فقال لها ادخلى الحانوت فعانقها وقبلها فقالت المرأة خنت أخاك ولم تصب حاجتك فندم وذهب الى رسول الله عليه السلام فنزلت وقيل هى الخطرة من الذنب اى ما خطره من الذنب على القلب بلا عزم واز قوت بفعل نيايد وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقال بعضهم اللمم والإلمام

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٢/٢٨٥

ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا اقامة عليه قال محمد بن الحنفية كل ما هممت به من خير وشر فهو لم دليله قوله عليه السلام ان للشيطان وللملك لمة **فلمة الشيطان** الوسوسة **ولمة الملك** الإلهام وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه الا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ولم يثبت عليها فان الله يقبل توبته ويؤيده قوله عليه السلام ان تغفر اللهم فاغفر جما واى عبدلك لا الما فالاستثناء على هذا متصل وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما رأيت شيأ أشبه باللمم مما نقله ابو هريرة رضى الله عن رسول الله عليه السلام ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى فزنى العينين النظر وزنى اللسان النطق وزنى الشفتين القبلة وزنى اليدين البطش وزنى الرجلين المشي والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك كله او يكذبه فان تقدم فرجه كان زانيا والا فهو اللمم وفي الاسئلة المقحمة الذنوب كلها كبائر على الحقيقة لان الكل تتضمن مخالفة امر الله تعالى لكن بعضها اكبر من بعض عند الاضافة ولا كبيرة أعظم من الشرك واما اللمم فهو من جملة الكبائر والفواحش ايضا الا ان الله تعالى أراد باللمم الفاحشة التي يتوب عنها مرتكبها ومجترحها وهو قول مجاهد والحسن وجماعة من الصحابة منهم ابو هريرة رضى الله عنه إن ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان إخراجه من حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وفي التأويلات النجمية كبائر الإثم ثلاث مراتب محبة النفس الامارة بالسوء ومحبة الهوى النافخ في نيران." (١)

"ابن مسعود يرفعه: («إن للملك الموكل بقلب ابن آدم لمة، وللشيطان لمة، **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق ورجاء صالح ثوابه، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق وقنوط من الخير، فإذا وجدتم **لمة الملك**، فاحمدوا الله وسلوه من فضله، وإذا وجدتم **لمة الشيطان** فاستعيذوا بالله فاستغفروه»)

«وقال له عثمان بن أبي العاص: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، قال: (ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته، فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثا»)

«وشكا إليه الصحابة أن أحدهم يجد في نفسه - يعرض بالشيء - لأن يكون حممة أحب إليه من أن يتكلم به فقال: (الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة») .." (٢)

"وتبرؤه منه وإقباله على التحنث - وهو فعل البر - والقرب وذكرها ذلك من حاله يدل ويشير إشارة غلبة ظن أنه كان يفعل من الصلاة والصمت والإمساك نهارا عن الطعام بحسب ما يرى في منامه من ذلك احتذاء بما يشاهد إلى أن جاءه الملك، فجميع ما ذكرته ترشيح له وتوطئة لنفسه الكريمة، ورياضة لإتيان الملك، ولا بد أن يظهر له من الآيات الخاصة به ما يفرق بمعرفته بين **لمة الملك** وغيره.

قولها: " فجاءه الملك ":

يعني جبريل صرح بذلك في غير هذه الرواية.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي - وكان واعية - عن بعض أهل

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٩/٢٤٢

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٢/٤٢١

العلم:

" أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى يحسر عنه الثوب، ويفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، فيلتفت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة، فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء في رمضان ".." (١)

"كل إنسان وكل به قرين من الجن وقرين من الملائكة

قال المؤلف رحمنا الله تعالى وإياه: [وروى مسلم والإمام أحمد عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، ولكن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير) ، الرواية بفتح الميم من (فأسلم) ، ومن رواه (فأسلم) برفع الميم فقد حرف لفظه، ومعنى فأسلم أي: فاستسلم وانقاد لي في أصح القولين؛ ولهذا قال: (فلا يأمرني إلا بخير) ، ومن قال: إن الشيطان صار مؤمنا فقد حرف معناه فإن الشيطان لا يكون مؤمنا.

ومعنى: ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ [الرعد:١١] قيل: حفظهم لهم من أمر الله، أي: الله أمرهم بذلك، يشهد لهذا قراءة من قرأ: (يحفظونه بأمر الله) .

وقد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية؛ لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم ﴿يعلمون ما تفعلون﴾ [الانفطار:١٢] ، ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة، وإذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرا) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قالت الملائكة: ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به، قال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرائي) ، خرجاهما في الصحيحين واللفظ لـ مسلم]

.

الحديث الذي بدأ به الشارح فيه بيان أن الإنسان موكل به ملائكة يأمرونه بالخير، وهناك شياطين يأمرون الناس بالشر، يسمى هذا قرين وهذا قرين، الجني الذي هو الشيطان قرين سوء، والملك قرين خير، ورد في بعض الأحاديث: (إن للشيطان بقلب الإنسان لمة، وللملك لمة، **فلمة الشيطان** إيعاد بالشر، **ولمة الملك** إيعاد بالخير) ، أو كما في الحديث.

إبليس من أهل النار، ومن المعذبين بالنار، وهو مخلوق من النار، والشياطين خلقوا من النار، فأقدم على العذاب، وأقدم على اللعنة، وأقسم أن يغوي جنس الإنسان، وأن يحرص على أن يخرجهم من الإيمان، أقسم بذلك وقال: ﴿لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا * ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا * يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾ [النساء:١١٩-١٢٠] .

فهذا الشيطان عدو للإنسان، ليس من جنس بني آدم أحد إلا وقد وكل به أو سلط عليه شيطان، ووكل به ملك، فالملك

---

(١) شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى أبو شامة المقدسي ص/١١٠

يأمره بالخير، والشيطان يأمره بالشر.

الصحابة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أنت يا رسول الله مثلنا يعني: هل وكل بك ملك وشيطان؟ قال: نعم، ولكن الشيطان الذي وكل بالنبي صلى الله عليه وسلم أعانه عليه، فقال: (أعانني الله عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير) ، وليس معناه: أنه أصبح مسلما، بل المراد أنه أذعن واستسلم، ولم يعد يأمر إلا بالخير؛ وذلك لأن الله تعالى عصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يتسلط عليه الشيطان، فأعانه عليه، كما أن الله تعالى سخر الشياطين لسليمان أحد أنبياء الله تعالى، وذللهم له، فصاروا يعملون عنده، يقول تعالى: ﴿والشياطين كل بناء وغواص * وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾ [ص:٣٧-٣٨] سخرهم الله لسليمان، وأما نبينا عليه الصلاة والسلام فذلل الله له ذلك الشيطان فلم يعد يأمره إلا بخير، أما جنس بني آدم فكل إنسان لابد أن يتسلط عليه هذا الشيطان ويوسوس له، فإذا رزقه الله الإيمان، ورزقه قوة اليقين، فإن تلك الوساوس التي يوسوس بها لا تبقى في قلبه، ولا يصدق بها، بل ينكرها ويدفعها، وهذا حقيقة المؤمن الصحيح الإيمان، ثم يعوضه الله أن الملك الذي هو قرينه يثبته، ويذكره، وينشطه، ويدفعه ويدعوه إلى الخير، ويحثه عليه، فيقوى الجانب الإيماني، وإذا قوي الجانب الإيماني عزم على الأعمال الصالحة، وترك الأعمال السيئة، فهذا هو المؤمن القوي، أما الذي إيمانه ضعيف فإن الشيطان يتقوى عليه، وتتمكن وسوسته من قلبه، وتصده عن الهدى، وتوقعه في الردى، ولا يطيع نصح الناصحين، ولا ينيب إلى **لمة الملك**، ولا يلتفت إليها، فيبقى بعيدا عن الخير، مقبلا على الشر، فهكذا كل إنسان إما أن يكون إيمانه ضعيفا فيقوى عليه قرين السوء وهو الشيطان، وإما أن يكون إيمانه قويا فيقوى عليه قرين الخير وهو الملك.

والقوة والضعف ليست بالقوة البدنية، ولكنها القوة الإيمانية، القوة قوة الإيمان، كون الإيمان راسخا في القلب، إذا جاءته وساوس الشيطان اضمحلت، وإذا جاءته تثبيتات الملك تمكنت وقويت، فهذا هو السبب في انقسام الناس إلى من يكون عدوا لله ومن يكون وليا لله، من يكون وليا للشيطان ومن يكون وليا للرحمن، فأولياء الرحمن هم الذين أطاعوا الله تعالى، وأطاعوا رسله، وصارت الملائكة الذين معهم يرشدونهم إلى الخير، فيتبعونهم، وأولياء الشياطين هم الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله.." (١)

"الفصل الثاني

٧٣ - عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل، فقال: إني أحدث نفسي بالشيء لأن أكون حممة أحب إلي من أن أتكلم به. قال: ((الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة)). رواه أبو داود. [٧٣]

٧٤ - وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة: فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق. وأما **لمة الملك** فإيعاد

حرش الصياد الصيد إذا خدعه، أي يخدعهم ويغري بعضهم على بعض. أقول: لما ذكر العبادة سماهم المصلين تعظيما لهم، وحيث ذكر الفتنة أخرجه مخرج التحريش – وهو الإغراء بين الكلاب – توهينا وتحقيرا لهم.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٦/٥٨

الفصل الثاني

الحديث الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: ((بالشيء)) ((شف)): الشيء في قوة النكرة معنى – وإن كان معرفة لفظا – ويكون قوله: ((لأن أكون حممة) مبتدأ و ((أحب)) خبره، والجملة صفة له، أي شيء كوني حممة أحب إلي من التكلم به – انتهى كلامه. ونظيره قول الشاعر:

ولقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت ثمة، قلت: لا يعنيني

((الحمم)) الفحم والرماد، وكل ما احترق بالنار، والواحد حمة.

وقوله: ((رد أمره)) الضمير فيه يحتمل أن يكون للشيطان – وإن لم يجر له ذكر – لدلالة السياق عليه، والأمر يحتمل أن يكون واحد الأوامر؛ لقوله تعالى: ﴿ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام﴾ يعني: كان الشيطان يأمر الناس بالكفر قبل هذا، وعبادة الأوثان، وأما الآن فلا سبيل له إليهم سوى الوسوسة. ويجوز أن يكون بمعنى الشأن، ويحتمل أن يكون للرجل، والأمر بمعنى الشأن لا غير، أي رد شأن هذا الرجل من الكفر إلى الوسوسة التي سبقت من نحو قوله: ((من خلق الله)) ونحو معرفة كيفية الله تعالى من التشبيه والتجسيم والتعطيل.

الحديث الثاني عن ابن مسعود رضي الله عنه: قوله: ((لمة)) ((تو)): اللمة من الإلمام وهي كالخطرة والزورة، ومعناه: النزول به والقرب منه أي يقرب من الإنسان لهذيه السبيلين. وقيل:." (١)

"بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك؛ فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى؛ فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم)) ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾. رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب. [٧٤]

((اللمة)) الهمة تقع في القلب، والإيعاد في اللمتين من باب الإفعال، والوعيد في الاشتقاق كالوعد، إلا أنهم خصوا الوعد بالخير، والوعيد بالشر. ولما كان المبتدأ بذكره في هذا الحديث ((لمة الشيطان)) ذكره بلفظ الإيعاد ثم أجرى الوعد بالخير مجرى الأول اتباعا ومشاكلة.

أقول: والأظهر أن الحديث والآية المستشهد بهما جاريان على الاستعمال اللغوي؛ لما نيط بكل واحد ما لا يلبس على السامع المراد، فاستعمل في الحديث بالإفعال، وفي الآية بفعل، نعم! لو أطلق ميز بينهما. وتطبيق الآية على الحديث، هو أن يقال: خصت ((لمة الشيطان)) بالفقر وهو الحاجة، وأصله كسر الفقار، وبالأمر بالفحشاء، وهما تفسيران للشر، وخصت ((لمة الملك)) بوعد المغفرة، وبوعد الفضل، وهما المعنيان بالخير، وقوبل الفقر بالفضل، والأمر بالفحشاء بالمغفرة، نبه سبحانه وتعالى على ما عسى أن يمنع المكلف من الإنفاق والبذل، والعصمة من الذنوب، من تسويل الشيطان، وإغوائه النفس الأمارة خوف الفقر والإعدام، وتزيينه المعاصي والفواحش، ثم [ذيله] بما هو العمدة فيه، وهو قوله: ﴿والله واسع عليم﴾ المشتمل على سعة الإفضال والغفران، ووفور العلم بأحوال العباد ومصالحهم، وما هو خير لهم في الدارين؛ ليكون تمهيدا لذكر ما هو أجل المواهب وأسنى المطالب، من إيتاء الحكمة، ومعرفة مكائد النفس الأمارة، وخطرات الشيطان،

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢/٥٢٥

ومعرفة لمة الملك ولمة الشيطان، فعند ذلك يتنبه الطالب على أمر خطير، فاضطر إلى السؤال بلسان الحال – إلى أن قال – هذه الموهبة عامة، أو هي مختصة ببعض دون بعض، فنودي من سرادقات الجلال ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ أي خصه الله تعالى بالحكمة، ووفقه للعلم والعمل، ثم أبتعه بقوله: ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ [تعريضا] بمن لا يتفطن بهذا البيان الشافي، ولم يفرق بين اللمتين، ووهم أن الحكمة غير العلم والعمل.

وبهذا الاعتبار قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص السهرودي قدس الله سره: إنما يطلع على معرفة اللمتين وتمييز الخواطر طالب مريد يتشوق لذلك تشوق العطشان إلى الماء لما يعلم من موضع ذلك، وخطره، وصلاحه، وفساده. وليعلم أن الخواطر بمثابة البذر، فمنها ما هو بذر السعادة، ومنها ما هو بذر الشقاوة، وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء لا خامس لها: إما ضعف." (١)

"٧٥ – وعن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا: الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، ثم ليتفل عن يساره ثلاثا، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم)). رواه أبو داود. وسنذكر حديث عمرو بن الأحوص في باب خطبة يوم النحر إن شاء الله تعالى. [٧٥]

الفصل الثالث

٧٦ – عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لن يبرح الناس يتساءلون، حتى

اليقين، أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها، أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى، أو محبة الدنيا جاهها ومالها، وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس؛ فمن عصم عن هذه الأربعة، يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومن ابتلي بها لا يعلمهما ولا يتطلبهما – وإن كشف بعض الخواطر دون بعض – لوجود بعض هذه الأربعة دون البعض، وأقوم الناس بتمييز الخواطر أقومهم بمعرفة النفس، ومعرفة عشر المثال لا يكاد يتيسر إلا بعد الاستقصاء في الزهد والتقوى.

قال: واتفق المشايخ على أن من كال أكله من الحرام، لا يفرق بين الإلهام والوسوسة. قال أبو علي الدقاق: [من كان قوته معلوما، لا يفرق بين الإلهام والوسوسة].

الحديث الثالث عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: ((الله أحد)) ((مظ)): يعني قولوا في رد هذه الوسوسة: الله تعالى ليس مخلوقا، بل هوأحد، و ((الأحد)) هو الذي لا ثاني ولا مثل له في الذات والصفة، و ((التفل)) إسقاط البزاق من الفم، أي ليلق البزاق من الفم ثلاث مرات، وهو عبارة عن كراهة الرجل الشيء ونفوره عنه، مراغما للشيطان، وتبعيدا له. و ((الاستعاذة)) طلب المعاونة من الله الكريم على دفع الشيطان الرجيم.

أقول: الصفات الثلاث منبهة على أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مخلوقا، أما ((أحد)) فمعناه: الذي لا ثاني له ولا مثل، فإذا جعل مخلوقا لم يكن أحدا على الإطلاق؛ لأن خالقه أولى بالأحدية، والصمد هو السيد الذي يرجع الناس في أمورهم

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢/٥٢٦

وحوائجهم إليه فيكون ذلك الخالق أولى منه ((ولم يولد)) تصريح في المنفي. ((ولم يلد، ولم يكن له كفوا أحد)) يناديان بأنه إذا لم يكن له الكفو الذي هو المساوي، والولد الذي هو دونه في الإلهية، فأحرى بأن لا يكون فوقه شيء، والفرق بين الواحد والأحد مر في الحديث السابع عشر من الباب الأول.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أنس: قوله: ((لن يبرح)) ((غب)): برح ثبت في البراح، وهو المكان المتسع." (١)

"مرخاة، وعند رأس الصراط داع يقول: استقيموا على الصراط ولا تعوجوا، وفوق ذلك داع يدعو، كلما هم عبد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك! لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه)). ثم فسره فأخبر: ((أن الصراط هو الإسلام، وأن الأبواب المفتحة محارم الله، وأن الستور المرخاة حدود الله، وأن الداعي على رأس الصراط هو القرآن، وأن الداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مؤمن)) رواه رزين، ورواه أحمد [١٩١].

١٩٢ - والبيهقي في ((شعب الإيمان)) عن النواس بن سمعان، وكذا الترمذي عنه إلا أنه ذكر أخصر منه. [١٩٢].

من: أرخيت الشيء إرخاء. و ((حدود الله)) الحد الفاصل بين العبد ومحارم الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾.

و ((واعظ الله)) هو **لمة الملك** في قلب المؤمن، واللمة الأخرى هي **لمة الشيطان**، وإنما جعل **لمة الملك** التي هي واعظ الله فوق داعي القرآن لأنه إنما ينتفع به إذا كان المحل قابلا، ومن ثم قال الله تعالى: ﴿هدى للمتقين﴾ وفي قوله: ((وعن جنبتي الصراط سوران)) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ والسبل هي الخطوط التي على يمين الصراط ويساره كالسورين، والمشار إليه بـ ((هذا)) ما دل عليه قوله تعالى: ﴿أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا﴾ الآية، فإن تلك الخطوط أشار بها في الحديث السابق إلى الاعتقادات الفاسدة، والأهواء الزائغة التي ينبئ عنها قوله تعالى: ﴿ألا تشركوا به شيئا﴾.." (٢)

"٢١٧ - وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)). رواه الترمذي، وابن ماجه. [٢١٧].

٢١٨ - وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب)). رواه ابن ماجه، وروى البيهقي في ((شعب الإيمان)) إلى قوله ((مسلم)). وقال: هذا حديث متنه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روى من أوجه كلها ضعيف.

الحديث الخامس عن ابن عباس: قوله: ((أشد من ألف عابد)) لأن الشيطان كلما فتح بابا من الأهواء على الناس، وزين

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٥٢٧/٢

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٦٥٤/٢

الشهوات في قلوبهم، بين الفقيه العارف بمكائد ومكامن غوائله للمريد السالك ما سد ذلك الباب، ويجعله خائبا خاسرا، بخلاف العابد فإنه ربما يشتغل بالعبادة وهو في حبائل الشيطان، ولا يدري، وقد مر في حديث معرفة اللمتين- **لمة الملك** **ولمة الشيطان** ما يوضح هذا المعنى.

الحديث السادس عن أنس: قوله: ((طلب العلم فريضة)) ((قض)): المراد من العلم ما لا مندوحة للعبد من تعلمه، لمعرفة الصانع، والعلم بوحدانيته، ونبوة رسوله، وكيفية الصلاة؛ فإن تعلمه فرض عين، وعلى هذا كلام الشارحين.

وأقول: قوله: ((وواضع العلم عند غير أهله)) يشعر بأن كل علم يختص باستعداد وله أهل، فإذا وضعه في غير موضعه فقد ظلم، فمثل معنى الظلم بتقليد أخس الحيوان بأنفس الجواهر تهجينا لذلك الواضع، وتنفيرا عنه، وفي تعقيب هذا التمثيل قوله: ((طلب العلم)) إعلام بأن المراد بالطلب طلب كل من المستعدين بما يليق بحاله ويوافق منزلته، بعد حصول ما هو واجب من الفرائض العامة، وعلى العالم أن يخص كل طالب بما هو مستعد له.

قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص السهروردي- قدس [الله] سره-: اختلف في العلم الذي هو فريضة، قيل: هو علم الإخلاص، ومعرفة آفات النفوس، وما يفسد الأعمال؛ لأن الإخلاص مأمور به، وخدع النفس وغرورها وشهواتها تخرب مباني الإخلاص المأمور به، فصار علم ذلك فرضا. وقيل: معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة؛ لأن الخواطر هي منشأ الفعل، وبذلك يعلم الفرق بين **لمة الملك**، **ولمة الشيطان**، وقيل: هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة. وقيل: هو علم البيع، والشراء، والنكاح، والطلاق، إذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه، وقيل: هو علم الفرائض الخمس التي بني عليها الإسلام.." (١)

"عرف الحق فجار في الحكم؛ فهو في النار، ورجل قضى للناس علي جهل، فهو في النار)) رواه أبو داود، وابن ماجه. [٣٧٣٥]

٣٧٣٦ - وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم غلب عدله جوره؛ فله الجنة. ومن غلب جوره عدله؛ فله النار)). رواه أبو داود. [٣٧٣٦]

الحديث الرابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: ((حتى يناله)) غاية الطلب و ((حتى)) للتدرج، فيفهم منه أنه بالغ في الطلب وبذل المجهود فيه ثم ناله، فمثل هذ موكول إلي نفسه فلا ينزل عليه ملك يسدده. وقال في الحديث السابق: ((من ابتغى القضاء وسأل وكل إلي نفسه)) فكيف الجمع بينهما؟ ويمكن أن يقال: إن الطالب رجلان رجل مؤيد بتأييد الله محدث ملهم، كالصحابة ومن بعدهم من التابعين، فإذا طلبه بحقه فمثل هذا لا يكون موكلا إلي نفسه وهو يقضي بالحق. وهذا هو الذي غلب عدله جوره، ورجل ليس كذلك وهو الذي وكل إلي نفسه فيغلب جوره عدله. ((تو)): سبق إلي فهم بعض من لا يتحقق القول، أن المراد من الغلبة أن يزيد ما عدل فيه علي ما جار، وهذا باطل.

أقول: وفي تأويله وجوه أحدها: ((تو)): المراد من الغلبة في كلتا الصيغتين أن تمنعه إحداهما عن الأخرى فلا يجوز في حكمه

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٦٧٨/٢

ولا يعدل. وثانيها: ((مظ)): من قوى عدله بحيث لا يدع أن يصدر منه جور. وثالثها: ((قض)): الإنسان خلق في بدء فطرته بحيث يقوى علي الخير والشر والعدل والجور، ثم إنه يعرض له دواع داخلة وأسباب خارجة، تتعارض وتتصارع فيجذبه هؤلاء مرة وهؤلاء أخرى، حتى يفضي التطارد بينهما إلي أن يغلب أحد الجزئين ويقهر الآخر فينقاد له بالكلية ويستقر ما يدعوه إليه، فالحاكم إن وفق له حتى غلب له أسباب العدل، وتمكن فيه دواعيه صار بشراشره مائلا إلي العدل، مشغوفا به متحاشيا عما ينافيه فنال به الجنة، وإن خذل بأن كان حاله علي خلاف ذلك، جار بين الناس ونال بشؤمه النار.

أقول: قد سبق أن الطالب رجلان: محدث ملهم وغير ذلك، فالملهم من غلب **لمة الملكية** علي **لمة الشيطانية**، فإذا عن له حكم وقضى بين الناس يستمر علي ذلك ويجري قضاؤه علي المنهج. وهو المراد من قوله: ((ثم غلب عدله جوره)) ((فثم)) فيه كما في قوله تعالي: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ المعنى ثم ثبتوا علي الإقرار ومقتضياته." (١)

"٤٥٨٤ – وعن عبد الله بن مسعود، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الطيرة شرك)) قاله ثلاثا، وما منا إلا؛ ولكن الله يذهبه بالتوكل. رواه أبو داود، والترمذي، وقال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث: ((وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل)) هذا عندي قول ابن مسعود. [٤٥٨٤]

السانح مما كانوا يتيمنون به. أي قلت للنفس: أجيري أي خلفي حال نوى. والمشمولة المكروهة من الشمال، فإنهم يكرهونها لما فيها من البرد، وذهابها بالغيم الذي فيه الخصب [والحيا].

قوله: ((والطرق)) ((نه)): هو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء. وقيل: هو الخط في الرمل واقتصر في الفائق على الوجه الأول. وأنشد قول لبيد:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

((فا)): الجبت هو السحر والكهانة. وقيل: هو كل ما عبد من دون الله. وقيل: هو الساحر. قوله: ((من الجبت)) معناه من عمل الجبت. وقالوا: ليست بعربية. وعن سعيد بن جبير: هي هبشيةز وقال قطرب: الجبت عند العرب الخسيس الذي لا خير عنده. انتهى كلامه. وعن بعضهم: ولا بد من إضمار في الأولين، مثل: إنه يماثل عبادة الجبت، أو من قبيلها، أو من أعمال الجبت، أي الساحر.

أقول: ((من)) فيه إما ابتدائية أو تبعيضية، فعلى الأول المعنى: الطيرة ناشئة من الساحر. وعلى الثاني: الطيرة من جملة السحر والكهانة، أو من جملة عبادة غير الله، أي الشرك، يؤيده قوله في الحديث الآتي: ((الطيرة شرك)). ويجوز أن يكون على هذا أيضا ابتدائية، أي ناشئة من الشرك.

الحديث الثالث عن عبد الله: قوله: ((الطيرة شرك)) ((قض)): إنما سماها شركا؛ لأنهم كانوا يرون ما يتشاءمون به سببا مؤثرا في حصول المكروه، وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي، فكيف إذا انضم إليها جهالة وسوء اعتقاد؟. قوله: ((وما

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢٥٩٧/٨

منا إلا)) ((تو)): أي: إلا من يتعرض له الوهم من قبل الطيرة، كره أن يتم كلامه لك؛ لما يتضمنه من الحالة المكروهة. وهذا نوع من أدب الكلام يكتفي دون المكروه منه بالإشارة، فلا يضرب لنفسه مثل السوء.

قوله: ((يذهبه بالتوكل)) جاء بفتح الياء وضمها، وعلى الثاني اجتمع فيه حرفا التعدية للتأكيد. والمراد بالإذهاب ما يخطر في قلب المؤمن من **لمة الملك** المذهبية **للمة الشيطان**." (١)

"[٢١٥] أهل الله الخ قال في النهاية أي حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به

قوله واقرأوه وارقدوا والظاهر أن الواو في قوله وارقدوا بمعنى أو فهو مثل قوله تعالى أمنوا أو لا تؤمنوا فالمراد منه ان من شاء قرأ فله الأجر ومن شاء رقد فعليه الوزر ثم بين المثالين أو الواو للجمع أي اجمعوا القراءة مع الرقود كما كان دابه صلى الله عليه وسلم بحيث لا تشاء الا درايته مصليا ولا تشاء الا درايته نائما انجاح الحاجة لمولانا المحدث شاه عبد الغني الدهلوي رحمه الله تعالى

[٢١٩] يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم أية الخ الحديث يدل على أن تعلم العلم خير من كثرة الأعمال لأن تعلم أية خير من مائة ركعة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء وقال أحمد الجامي رحمه الله للشيخ المودود الحشتي الصوفي الجاهل مسخرة للشيطان فاذهب تعلم العلم اولا ثم ارشد الناس الى سبيل الرشاد كما كان آباؤك يفعلون ودل الحديث أيضا على أن العالم ان لم يعمل بعلمه بحيث جاءه الموت بغتة أو اشتغل في تعليم الناس بحيث فاته الأعمال جوزي بمثل ما جوزي العامل ولذا قال فقهاؤنا ان العالم إذا صار مرجعا للناس وسعة ترك السنن الرواتب ولم يجز له ان يخرج الى الغزوة والجهاد إذا لم يكن في البلد عالم غيره وفي الحديث دليل أيضا على ان تعلم العلم خير من تعلم القرآن إذا قرأ ما يصح به الصلاة بعشر درجة ولذلك قال الفقهاء الحنفية يؤم القوم أعلمهم بكتاب الله ثم أقرؤهم به (إنجاح الحاجة)

قوله

[٢٢١] الخير عادة والشر لجاجة الخ المراد منه والله اعلم ان الإنسان مجبول على الخير قال الله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم ما من مولود لا وقد يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه الحديث والشر لجاجة واللجاجة بالفتح الخصومة ويقال للنفس اللجوج لأنه منصوب بعداوة الإنسان كما جاء في الخبر اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك فالمراد منه ان النفس تتلج وتضطر الى الشرارة فالواجب على كل انسان ان يزيل تلك الشرارة عن نفسه بما جاء من موعظة الله ورسوله فإن الأنبياء قد بعثوا التزكية النفوس قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها (إنجاح)

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢٩٨٣/٩

قوله

[٢٢٣] ان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وذلك إشارة الى رذالة الدنيا وانهم لم يأخذوا منها الا بقدر ضرورتهم فلم يورثوا منها شيئا مبالغة في تنزيههم عنها ولذا قال قيل الصوفي لا يملك ولا يملك وفيه ايملو الى كمال توكلهم على الله تعالى في أنفسهم واولادهم وأشعار بأن طالب الدنيا ليس من العلماء الورثة ولا يرد الاعتراض بأنه كان لبعض الأنبياء غناء كثير لأن المراد أنهم ما تركوا بعدهم ميراثا لأولادهم وازواجهم ويذكر عن أبي هريرة رض أنه مر يوما في السوق على المشتغلين بتجاراتهم فقال أنتم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقاموا سراعا فلم يجدوا فيه الا القرآن أو الذكر أو مجالس العلم فقالوا أين ما قلت يا أبا هريرة فقال هذا ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقسم بين ورثته وليس مواريثه دنياكم (إنجاح)

قوله

[٢٢٤] طلب العلم فريضة على كل مسلم سئل الشيخ محي الدين النووي عن هذا الحديث فقال أنه ضعيف وان كان صحيحا وقال تلميذه الحافظ جمال الدين المزي هذا الحديث روى من طريق تبلغ رتبة الحسن وهو كما قال فأني رأيت له خمسين طريقا وقد جمعتها في جزء قال البيهقي في المدخل اما أرادوا الله اعلم العلم العام الذي لا يسع البالغ العاقل جهله أو علم ما يطرأ له خاصة أو أراد أنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم به من فيه كفاية ثم روى عن بن المبارك انه سئل عن تفسيرهذا الحديث فقال ليس هو الذي يظنون انما طلب العلم فريضة ان يقع الرجل في شيء من أمور دينه فيسأل عنه حتى يعلمه وقال البيضاوي المراد من العلم هنا مالا مندوحة للعبد عن تعلمه كمعرفة الصانع والعلم بوحدانيته ونبوة رسوله وكيفية الصلاة فإن تعلمه فرض عين (زجاجة)

قوله وواضع العلم عند غير أهله قال الطيبي يشعر بأن كل علم يختص باستعداد وله أهل فإذا وضعه في غير موضعه فقد ظلم فمثل معنى الظهر بتقليلد اخس الحيوان بأنفس الجواهر التسجين ذلك الوضع والتنفير عنه قال الشيخ أبو حفص السهروردي اختلف في العلم الذي هو فريضة قيل هو علم الإخلاص ومعرفة النفس والنفوس وما يفسد الأعمال لأن الإخلاص مأمور به كما ان العمل مأمور به وخدع النفس وغرورها وشهواتها تخرب مباني الإخلاص المأمور به فصار علم ذلك فرضا وقيل معرفة الخواطر وتفصيلها لأن الخواطر منشاء الفعل وبذلك يعرف الفرق بين **لمة الملك** وبين **لمة الشيطان** وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقيل هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقيل هو علم الفرائض الخمس التي بني عليه الإسلام وقيل هو علم التوحيد بالنظر والاستدلال أو النقل وقيل هو علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهو الذي يكتسب بصحبة الصالحين والزهاد والمتعبدين فهم وارثو علم النبي صلى الله عليه وسلم (زجاجة)

قوله

[٢٢٦] انبط العلم من الانباط نبط العلم أي ظهره ويفشيه والاستنباط الاستخراج والنبط والنبيط الماء الذي يخرج لمن فعر البئر إذا حضرت كذا في الدر النثير أي جئت لإظهار العلم وتحصيله من العلماء (إنجاح)

قوله." (١)

"ثم روي عن ابن المبارك أن سئل عن تفسير هذا الحديث، فقال: ليس هو الذي تظنون، إنما طلب العلم فريضة أن يقع الرجل في شيء من أمر دينه، فيسأل عنه حتى يعلمه. وقال البيضاوي: المراد بالعلم هنا، ما لا مندوحة للعبد عن تعلمه، كمعرفة الصانع، والعلم بوحدانيته، ونبوة رسوله، وكيفية الصلاة، فإن علمه فرض عين. وقال الشيخ السهروردي: قيل هو علم الإخلاص بمعرفته آفات النفوس، وما يفسد الأعمال، لأن الإخلاص مأمور به، وقيل: معرفة الخواطر، إذ به يعرف الفرق بين لمة الملك، ولمة الشيطان، وقيل هو طلب علم الحلال، حيث كان أكل الحلال فريضة، وقيل: هو علم البيع والشراء، والنكاح والطلاق، إذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه، وقيل هو طلب علم الفرائض الخمس التي بني الإسلام عليها.

وقيل هو علم التوحيد بالنظر والاستدلال، وقيل: هو طلب علم الباطن، وما يزداد به العبد يقينا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

- حديث السواك

أبو حنيفة (عن علي بن الحسن الرداد) بتشديد الراء (عن تمام) بتشديد الميم الأولى (عن جعفر بن أبي طالب) وهو ذو الجناحين، أسلم قديما، وكان أكبر من أخيه علي بعشر سنين، وكان أشبه الناس خلقا وخلقا برسول الله صلى الله عليه وسلم، روى عنه ابنه عبد الله، وخلق كثير من الصحابة والتابعين، قتل شهيدا يوم مؤتة سنة ثمان، وله إحدى وأربعون سنة، فوجد فيما أقبل من جسده، تسعون ضربة، ما بين طعنة برمح وضربة بسيف (أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إني أراكم قلحا) بضم القاف وتشديد المفتوحة، وبالحاء المهملة، جمع." (٢)

"٩٩٧ - أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن ﷺللشيطان لمة، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليحمد الله، ومن وجد الأخرى، فليتعوذ من الشيطان» ، ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ الآية [البقرة: ٢٦٨].

[١: ٩٥]

(٩٩٣z (

L________________

---

(١) شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره السيوطي ص/٢٠

(٢) شرح مسند أبي حنيفة الملا على القاري ص/٥٣٩

صحيح – «المشكاة» (١/ ٢٧ / ٧٤ / التحقيق الثاني).
S
عطاء بن السائب: اختلط، وأبو الأحوص- وهو سلامة بن سليم- سمع منه بعد الاختلاط، وباقي رجاله ثقات.." (١)

"وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن للملك بقلب ابن آدم لمة وللشيطان لمة **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالوعد **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ وإذا أراد خذلان عبد أمسك عنه تأييده وتثبيته وخلى بينه وبين نفسه ولم يكن بذلك ضالا له لأنه قد أعطاه قدرة وإرادة وعرفه الخير والشر وحذر طريق الهلاك وعرفه بها وحضه على سلوك طريق النجاة وعرفه بها ثم تركه وما اختار لنفسه وولاه ما تولى فإذا وجد شرا فلا يلومن إلا نفسه، قال القدري: فتلك الإرادة المعينة المستلزمة للفعل المعين إن كانت بإحداث العبد فهو قولنا وإن كانت بإحداث الرب سبحانه فهو قول الجبري وإن كانت بغير محدث لزم المحال، قال السني: لا تفتقر كل إرادة من العبد إلى مشيئة خاصة من الله توجب حدوثها بل يكفي في ذلك المشيئة العامة لجعله مريدا فإن الإرادة هي حركة النفس والله سبحانه شاء أن تكون متحركة وأما أن تكون كل حركة تستدعي مشيئة مفردة فلا وهذا كما أنه سبحانه شاء أن يكون الحي متنفسا ولا يفتقر كل نفس من أنفاسه إلى مشيئة خاصة وكذلك شاء أن يكون هذا الماء بجملته جاريا ولا تفتقر كل قطرة منه إلى مشيئة خاصة يجري بها الماء وكذلك مشيئته لحركات الأفلاك وهبوب الرياح ونزول الغيث وكذلك خطرات القلوب ووساوس النفس وكذلك مشيئته أن يكون العبد متكلما لا يستلزم أن يكون كل حرف بمشيئته غير مشيئة الحرف الآخر وإذا تبين ذلك فهو سبحانه شاء أن يكون عبده شائيا مريدا وتلك الإرادة والمشيئة صالحة للضدين فإذا شاء أن يهدي عبدا صرف داعيه ومشيئته وإرادته إلى معاشه ومعاده وإذا شاء أن يضله تركه ونفسه وتخلى عنه والنفس متحركة بطبعها لا بد لها من مراد محبوب هو مألوهها ومعبودها فإن لم يكن الله وحده هو معبودها ومرادها وإلا كان غيره لها معبودا ومرادا ولا بد فإن حركتها ومحبتها من لوازم ذاتها فإن لم تحب ربها وفاطرها وتعبده أحبت غيره وعبدته وإن لم تتعلق إرادتها بما ينفعها في معادها تعلقت بما يضرها فيه ولا بد فلا تعطيل في طبيعتها وهكذا خلقت فإن قلت فأين مشيئة الله لهداها وضلالها قلت إذا شاء إضلالها تركها ودواعيها وخلى بينها وبين ما تختاره وإذا شاء هداها جذب دواعيها وإرادتها إليه وصرف عنها موانع القبول فيمدها على القدر المشترك بينها وبين سائر النفوس بإمداد وجودي ويصرف عنها الموانع التي خلى بينها وبين غيرها فيها وهذا بمشيئته وقدرته فلم يخرج شيء من الموجودات عن مشيئته وقدرته وتكوينه البتة لكن يكون ما يشاء بأسباب وحكم ولو أن الجبرية أثبتت الأسباب والحكم لانحلت عنها عقد هذه المسألة ولو أن القدرية سحبت ذيل المشيئة والقدر والخلق على جميع الكائنات مع إثبات الحكم والغايات المحمودة في أفعال الرب سبحانه لانحلت عنها عقدها وبالله التوفيق.." (٢)

---

(١) شرح نظم عقيدة السفاريني عبد الكريم الخضير ٣/٢٧٨

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/١٧٨

"رقية جبريل للرسول صلى الله عليه وسلم:

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد: أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا محمد اشتكيت؟ قال: نعم، قال: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل ذي نفس، أو عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيك) (١) .

أعمال أخرى:

ومن ذلك أنه حارب مع الرسول صلى الله عليه وسلم في بدر والخندق، وصحب الرسول صلى الله عليه وسلم في الإسراء وغير ذلك.

لماذا لا يرسل الله رسله من الملائكة:

والله لا يرسل رسله إلى البشر من الملائكة؛ لأن طبيعة الملائكة مخالفة لطبيعة البشر، فاتصالهم بالملائكة ليس سهلا ميسورا؛ ولذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشق عليه مجيء جبريل إليه بصفته الملائكية كما مضى، وعندما رأى جبريل على صورته فزع، وجاء زوجته يقول: دثروني دثروني.

فلما كانت الطبائع مختلفة، شاء الله أن يرسل لهم رسولا من جنسهم، ولو كان سكان الأرض ملائكة، لأنزل إليهم ملكا رسولا، قال تعالى: (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) [الإسراء: ٩٥]

.

وعلى فرض أن الله اختار رسله إلى عموم البشر من الملائكة، فإنه لا ينزلهم بصورهم الملائكية، بل يجعلهم يتمثلون في صفة رجال يلبسون ما يلبس الرجال، كي يتمكن الناس من الأخذ عنهم: (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون - ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) [الأنعام: ٨-٩] .

وقد أخبر تعالى أن طلب الكفرة رؤية الملائكة، ومجيء رسول من الملائكة، إنما هو تعنت، وليس طلبا للهداية، وعلى احتمال حدوثه فإنهم لن يؤمنوا: (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) [الأنعام: ١١١] .

المطلب الرابع

تحريك بواعث الخير في نفوس العباد

وكل الله بكل إنسان قرينا من الملائكة، وقرينا من الجن، ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة) ، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: (وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير) (٢) .

ولعل هذا القرين من الملائكة، غير الملائكة الذين أمروا بحفظ أعماله، قيضه الله له ليهديه ويرشده.

وقرين الإنسان من الملائكة وقرينه من الجن يتعاوران الإنسان، هذا يأمره بالشر ويرغبه فيهي، وذاك يحثه على الخير ويرغبه فيه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان**، فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك**، فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئا

فليعلم أنه

---

(١) صحيح مسلم: ١٧١٨/٤. ورقمه: ٢١٨٦.

(٢) صحيح مسلم: ٢١٦٨/٤. ورقمه: ٢٨١٤.." [1]

"٢٣٨٤ - (إن للشيطان لمة) بالفتح قرب وإصابة من الإلمام وهو القرب (يابن آدم وللملك لمة) المراد بها فيهما ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك (فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق) فإن الملك والشيطان يتعاقبان تعاقب الليل والنهار فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره وآخر بضده ومنهم من يكون زمنه نهارا كله وآخر بضده قال القاضي: والرواية الصحيحة إيعاد على زنة إفعال في الموضعين (فمن وجد ذلك) أي إلمام الملك (فليعلم أنه من الله) يعني مما يحبه ويرضاه (فليحمد الله) على ذلك (ومن وجد الأخرى) أي **لمة الشيطان** (فليتعوذ بالله من الشيطان) تمامه ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ اه قال القاضي: والإيعاد وإن اختص بالشر عرفا يقال أوعد إذا وعد وعدا شرا إلا أنه استعمل في الخير للازدواج والأمن من الاشتباه بذكر الخير بعده اه ونسب **لمة الملك** إلى الله تعالى تنويها بشأن الخير وإشادة بذكره في التمييز بين اللمتين لا يهتدي إليه أكثر الناس والخواطر بمنزلة البذر فمنها ما هو بذر السعادة ومنها ما هو بذر الشقاوة وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء لا خامس لها كما قاله العارف السهروردي ضعف اليقين أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى أو محبة الدنيا ومالها وجاهها وطلب المنزلة والرفعة عند الناس فمن عصم من هذه الأربعة فرق بين **لمة الملك** **ولمة الشيطان** ومن ابتلى بها لم يفرق وانكشاف بعض الخواطر دون بعض لوجود هذه الأربعة دون بعض واتفقوا على أن كل من أكل من الحرام لا يفرق بين الوسوسة والإلهام [2] قال الغزالي: الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر سميت به لأنها تخطر بعد أن كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركة للإرادات وتنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى -[٥٠٠]- الخير أي ما ينفع في الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى إلهاما والمذموم يسمى وسواسا وهذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الأسباب فمهما استنار حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود علم أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذا الأنوار في القلب وظلماته سببان فسبب الخاطر الداعي للخير يسمى ملكا والداعي للشر شيطانا واللطف الذي به تهيأ القلب لقبول **لمة الملك** يسمى توفيقا واللطف الذي به تهيأ القلب لقبول وسواس الشيطان إغواءا وخذلانا فإن المعاني مختلفة إلى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف والشيطان عبارة عن خلق شأنه الوعيد بالشر والأمر بالفحشاء فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة

---

(١) عالم الملائكة الأبرار سليمان الأشقر، عمر ص/٤٤

(٢) تنبيه

الخذلان وإليه يشير بآية ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله أمضاه وما كان من عدوه جاهده والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة وآثار الشياطين صلاحا متساويا لكن يترجح أحدهما باتباع الهوى والاكباب على الشهوات والإعراض عنها ومخالفتها واعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعا أنه داعي إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة وإلى ما يعلم أنه داعي إلى الخير فلا يشك كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من **لمة الملك** أو **لمة الشيطان** فإن من مكايد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز بينهما غامض فحق العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه **لمة الملك** أو **لمة الشيطان** وأن يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور اليقين وغزارة العلم ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا﴾

(ت ن) كلاهما في التفسير (حب عن ابن مسعود) قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعا إلا من حديث أبي الأحوص وسندهما سند مسلم إلا عطاء بن السائب فلم يخرج له مسلم إلا متابعة." (١)

"٥٢١١ - (ضرب الله تعالى مثلا صراطا مستقيما) قال الطيبي: بدل من مثلا لا على إهدار المبدل كقوله زيد رأيت غلامه رجلا صالحا إذ لولا أسقط غلامه لم يتبين (وعلى جنبتي) بفتح النون والباء بضبط المصنف (الصراط) أي جانبيه وجنبة الوادي جانبه وناحيته وهي بفتح النون والجنبة بسكون النون الناحية ذكره ابن الأثير (سوران) تثنية سور قال الطيبي: -[٢٥٤]- سوران مبتدأ وعلى جنبتي خبره والجملة حال من صراطا وقوله (فيهما أبواب) الجملة صفة لسوران (مفتحة وعلى الأبواب ستور) جمع ستر (مرخاة) أي مسبلة (وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط) وفي رواية استقيموا على الصراط (جميعا ولا تعوجوا) أي لا تميلوا يقال عاج يعوج إذا مال عن الطريق (وداع يدعو عن فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك) زجر له من تلك الهمة وهي كلمة ترحم وتوجع يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها (لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه) أي تدخل الباب وتقع في محارم الله قال الطيبي: هذا يدل على أن قول أبواب مفتحة أنها مردودة غير مغلقة (فالصراط الإسلام والسوران حدود الله تعالى والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم) قال تعالى ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه﴾ الآية. قال الطيبي: ونظير هذا حديث ألا إن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في الأرض محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالسور بمنزلة الحمى وحولها بمنزلة الباب والستور حدود الله الحد الفاصل بين العبد ومحارم الله وواعظ الله هو **لمة الملك** في قلب المؤمن والأخرى **لمة الشيطان** وإنما جعل **لمة الملك** التي هي واعظ الله فوق داعي القرآن لأنه إنما ينتفع به إذا كان المحل قابلا ولهذا قال تعالى ﴿هدى للمتقين﴾ إنما ضرب المثل بذلك زيادة في التوضيح والتقريب ليصير المعقول محسوسا والمتخيل متحققا فإن التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل ورفع الحجاب عنه وإبرازه في صورة المشاهد ليساعد فيه الوهم العقل فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة الوهم لأن طبعه الميل إلى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية وفشت في عبارات البلغاء وإشارات الحكماء قال النووي: سر هذا الحديث

---

(١) فيض القدير المناوي ٢/٤٩٩

أنه أقام الصراط معنى للإسلام وأقام الداعي معنى للكتاب والداعي الآخر معنى للعظة في قلب كل مؤمن فأنت على الصراط الدائم وهو الإسلام وسامع النداء القائم وهو القرآن فإن أنت أقمت حركاتك وسكناتك بمدبرك وخالقك بسقوط من سواه أقامك إليه به وقمت به إليه بسقوطك عنك فحينئذ يكشف لك اسمه الأعظم الذي لا يخيب من قصده به قال القاضي: وضرب المثل احتماله من ضرب الخاتم وأصله وقع الشيء على الشيء

(حم ك) في الإيمان وكذا الطبراني (عن النواس) ابن سمعان قال الحاكم: على شرط مسلم ولا علة له وأقره الذهبي وقضية صنيع المصنف أن هذا لا يوجد مخرجا لأحد من الستة والأمر بخلافه فقد عزاه في الفردوس للترمذي في الأمثال." (١)

"٥٢٦٥ - (طلب العلم فريضة على كل مسلم) قال السهروردي: اختلف في العلم الذي هو فريضة قيل هو علم الإخلاص ومعرفة آفات النفس وما يفسد العمل لأن الإخلاص مأمور به كما أن العمل مأمور به وخدع النفس وغرورها وشهواتها يخرب مباني الإخلاص فصير علمه فرضا وقيل معرفة الخواطر وتفصيل عللها منشأ الفعل وذلك يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان وقيل علم نحو البيع والشراء وقيل علم التوحيد بالنظر والاستدلال والنقل علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهو الذي يكتسب لصحبة الأولياء فهم وراث المصطفى صلى الله عليه وسلم قال الغزالي في المنهاج: العلم المفروض في الجملة ثلاثة علم التوحيد وعلم السر وهو ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعة والذي يتعين فرضه من علم التوحيد ما تعرف به أصول الدين وهو أن تعلم أن لك إلها قادرا عالما حيا مريدا متكلما سميعا بصيرا لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها عن دلالات الحدث متفردا بالقدم وأن محمدا رسوله الصادق فيما جاء به ومن علم السر معرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل لك الإخلاص والنية وسلامة العمل ومن علم الشريعة كل ما وجب -[٢٦٨]- عليك معرفته لتؤديه وما فوق ذلك من العلوم الثلاثة فرض كفاية (وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب) يشعر بأن كل علم يختص باستعداد وله أهل فإذا وضعه في غير محله فقد ظلم فمثل معنى الظلم بتقليد أخس الحيوان بأنفس الجواهر لتهجين ذلك الوضع والتنفير عنه

(هـ) في السنة عن هاشم بن عمار عن حفص بن سليمان عن كثير بن شطير عن ابن سيرين (عن أنس) قال المنذري: سنده ضعيف وقال المناوي وغيره: حفص بن سليمان ابن امرأة عاصم ثبت في القراءة لا في الحديث وقال البخاري: تركوه وقال البيهقي: متنه مشهور وطرقه كلها ضعيفة وقال البزار: أسانيده واهية وقال السخاوي: حفص ضعيف جدا بل اتهم بالكذب والوضع لكن له شاهد وقال ابن عبد البر: روي من وجوه كلها معلولة لكن معناه صحيح لكن قال الزركشي في اللآلئ: روي من طرق تبلغ رتبة الحسن وقال المصنف: حديث حسن فقد قال المزني: روي من طرق تبلغ رتبة الحسن وقال المصنف في الدرر: في طرقه كلها مقال لكنه حسن." (٢)

"فإنه لا يجوز أن يستدل الإنسان على كونه عالما بدليل فإن علمه بمقدمات ذلك الدليل يحتاج إلى أن يجد نفسه عالمة بها فلو احتاج علمه بكونه عالما إلى دليل أفضى إلى الدور أو التسلسل؛ ولهذا لا يحس الإنسان بوجود العلم عند

---

(١) فيض القدير المناوي ٢٥٣/٤

(٢) فيض القدير المناوي ٢٦٧/٤

وجود سببه إن كان بديهيا؛ أو إن كان نظريا إذا علم المقدمتين. وبهذا استدل على منكري إفادة النظر العلم وإن كان في هذه المسألة تفصيل ليس هذا موضعه. فالغرض: أن من نظر في دليل يفيد العلم وجد نفسه عالمة عند علمه بذلك الدليل كما يجد نفسه سامعة رائية عند الاستماع للصوت والترائي للشمس أو الهلال أو غير ذلك. والعلم يحصل في النفس كما تحصل سائر الإدراكات والحركات بما يجعله الله من الأسباب وعامة ذلك بملائكة الله تعالى. فإن الله سبحانه ينزل بها على قلوب عباده من العلم والقوة وغير ذلك ما يشاء. ولهذا ﴿قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان: اللهم أيده بروح القدس﴾ " وقال تعالى: ﴿كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ وقال صلى الله عليه وسلم " ﴿من طلب القضاء واستعان عليه وكل إليه ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده﴾ " وقال عبد الله بن مسعود: "كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر " وقال ابن مسعود أيضا: " إن للملك لمة وللشيطان لمة **فلمة الملك**: إيعاد بالخير وتصديق بالحق. **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق " وهذا الكلام الذي قاله ابن مسعود هو محفوظ." (١)

"صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾ ؟ فقالوا. كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب ". وإذا كان الإنسان لا يتحرك إلا راجيا. وإن كان راهبا خائفا لم يسع إلا في النجاة ولم يهرب إلا من الخوف فالرجاء لا يكون إلا بما يلقى في نفسه من الإيعاد بالخير الذي هو طلب المحبوب أو فوات المكروه فكل بني آدم له اعتقاد؛ فيه تصديق بشيء وتكذيب بشيء وله قصد وإرادة لما يرجوه مما هو عنده محبوب ممكن الوصول إليه أو لوجود المحبوب عنده؛ أو لدفع المكروه عنه. والله خلق العبد يقصد الخير فيرجوه بعمله فإذا كذب بالحق فلم يصدق به ولم يرج الخير فيقصده ويعمل له: كان خاسرا بترك تصديق الحق وطلب الخير فكيف إذا كذب بالحق وكره إرادة الخير؟ فكيف إذا صدق بالباطل وأراد الشر؟ فذكر عبد الله بن مسعود أن لقلب ابن آدم لمة من الملك ولمة من الشيطان **فلمة الملك** تصديق بالحق وهو ما كان من غير جنس الاعتقاد الفاسد **ولمة الشيطان** هو تكذيب بالحق وإيعاد بالشر وهو ما كان من جنس إرادة الشر وظن وجوده: إما مع رجائه إن كان مع هوى نفس وإما مع خوفه إن كان غير محبوب لها. وكل من الرجاء والخوف مستلزم للآخر.." (٢)

"فمبدأ العلم الحق والإرادة الصالحة: من **لمة الملك**. ومبدأ الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة: من **لمة الشيطان**. قال الله تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ وقال تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ أي: يخوفكم أولياءه وقال تعالى: ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم﴾ . والشيطان وسواس خناس إذا ذكر العبد ربه خنس فإذا غفل عن ذكره وسوس فلهذا كان ترك ذكر الله سببا ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة في القلب ومن ذكر الله تعالى: تلاوة كتابه وفهمه ومذاكرة العلم كما قال معاذ بن جبل: " ومذاكرته تسبيح ".

وقد تنازع أهل الكلام في حصول العلم في القلب عقب النظر في الدليل فقال بعضهم: ذلك على سبيل التولد. وقال

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤/٣١

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤/٣٣

المنكرون للتولد: بل ذلك بفعل الله تعالى. والنظر إما متضمن للعلم وإما موجب له. وهذا ينصره المنتسبون للسنة من المتكلمين ومن وافقهم من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وقالت المتفلسفة: بل ذلك يحصل بطريق الفيض من العقل الفعال عند استعداد النفس لقبول الفيض. وقد يزعمون أن العقل الفعال هو " جبريل ". فأما قول القائلين " إن ذلك بفعل الله " فهو صحيح بناء على أن الله هو معلم كل علم وخالق كل شيء؛ لكن هذا كلام مجمل ليس فيه بيان لنفس السبب." (١)

"سئل:

عن قوله صلى الله عليه وسلم ﴿إذا هم العبد بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة﴾ الحديث. فإذا كان الهم سرا بين العبد وبين ربه فكيف تطلع الملائكة عليه؟ .

فأجاب:

الحمد لله، قد روي عن سفيان بن عيينة في جواب هذه المسألة قال: ﴿إنه إذا هم بحسنة شم الملك رائحة طيبة وإذا هم بسيئة شم رائحة خبيثة﴾ . والتحقيق: أن الله قادر أن يعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء كما هو قادر على أن يطلع بعض البشر على ما في الإنسان. فإذا كان بعض البشر قد يجعل الله له من الكشف ما يعلم به أحيانا ما في قلب الإنسان: فالملك الموكل بالعبد أولى بأن يعرفه الله ذلك. وقد قيل في قوله تعالى ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ أن المراد به الملائكة: والله قد جعل الملائكة تلقي في نفس العبد الخواطر كما قال عبد الله بن مسعود: " إن للملك لمة وللشيطان لمة **فلمة الملك** تصديق بالحق ووعد." (٢)

"سببها وهي عقوبة له؛ لأن النفس أرادت تلك الذنوب ووسوست بها. وتارة يقال باعتبار حسنات العمل وسيئاته وما يلقى في القلب من التصورات والإرادات فيقال للحق: هو من الله ألهمه العبد ويقال للباطل: إنه من الشيطان وسوس به ومن النفس أيضا لأنها أرادته كما قال عمر وابن عمر وابن مسعود فيما قالوه باجتهادهم: إن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمنا ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه. وهذا لفظ ابن مسعود في حديث بروع بنت واشق قال: إن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان لأنه حكم بحكم فإن كان موافقا لحكم الله فهو من الله لأنه موافق لعلمه وحكمه فهو منه باعتبار أنه سبحانه ألهمه عبده لم يحصل بتوسط الشيطان والنفس وإن كان خطأ فالشيطان وسوس به والنفس أرادته ووسوست به وإن كان ذلك مخلوقا فيه والله خلقه فيه؛ لكن الله لم يحكم به وإن لم يكن ما وقع لي من إلهام الملك كما قال ابن مسعود: إن للملك بقلب ابن آدم لمة وللشيطان لمة؛ **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق " فالتصديق من باب الخبر والإيعاد بالخير والشر من باب الطلب والإرادة. قال تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٣٤/٤

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢٥٣/٤

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٩٧/١٥

"الران الذي قال الله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ ﴾ . لكن طيف الشيطان غير رين الذنوب هذا جزاء على الذنب والغين ألطف من ذلك كما في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة﴾ فالشيطان يلقي في النفس الشر والملك يلقي الخير وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن. قالوا: وإياك يا رسول الله قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم وفي رواية فلا يأمرني إلا بخير﴾ أي استسلم وانقاد. وكان ابن عيينة يرويه فأسلم بالضم ويقول: إن الشيطان لا يسلم لكن قوله في الرواية الأخرى: فلا يأمرني إلا بخير دل على أنه لم يبق يأمره بالشر وهذا إسلامه وإن كان ذلك كناية عن خضوعه وذلته لا عن إيمانه بالله كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره وقد عرف العدو المقهور أن ذلك القاهر يعرف ما يشير به عليه من الشر. فلا يقبله بل يعاقبه على ذلك فيحتاج لانقهاره معه إلى أنه لا يشير عليه إلا بخير لذلته وعجزه لا لصلاحه ودينه؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ﴿إلا أن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير﴾ وقال ابن مسعود: إن للملك لمة وإن للشيطان لمة **فلمة الملك** إيعاد بالخير." (١)

"وتصديق بالحق. **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق. وقد قال تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ أي يخوفكم أولياءه بما يقذف في قلوبكم من الوسوسة المرعبة كشيطان الإنس الذي يخوف من العدو فيرجف ويخذل. وعكس هذا قوله تعالى: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ وقال تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ وقال تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ والتثبت جعل الإنسان ثابتا لأمر تابا وذلك بإلقاء ما يثبته من التصديق بالحق والوعد بالخير كما قال ابن مسعود: **لمة الملك** وعد بالخير وتصديق بالحق فمتى علم القلب أن ما أخبر به الرسول حق صدقه وإذا علم أن الله قد وعده بالتصديق وثق بوعد الله فثبت فهذا يثبت بالكلام كما يثبت الإنسان الإنسان في أمر قد اضطرب فيه بأن يخبره بصدقه ويخبره. بما يبين له أنه منصور فيثبت وقد يكون التثبت بالفعل بأن يمسك القلب حتى يثبت كما يمسك الإنسان الإنسان حتى يثبت. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿من سأل القضاء واستعان عليه وكل إليه ومن لم يسأل القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده﴾ فهذا الملك يجعله سديد القول بما يلقي." (٢)

"إضافته إلى قدره وأنه خالقه خلافا للقدرية لكن من تمام المعرفة إثبات الأسباب ومعرفتها. وأما القدرية من المعتزلة وغيرهم: فبنوه على أصلهم وهو أن كل ما تولد عن فعل العبد فهو فعله لا يضاف إلى غيره كالشبع والري وزهوق الروح ونحو ذلك فقالوا: هذا العلم متولد عن نظر العبد أو تذكر النظر. والمتفلسفة بنوه على أصلهم: في أن ما يحدث من الصور هو من فيض العقل الفعال عند استعداد المواد القابلة فقالوا: يحصل في نفوس البشر من فيض العقل الفعال عند استعداد النفس باستحضار المقدمتين وهذا القول خطأ والذي قبله أقرب منه والأول أقرب وليس في شيء منها تحقيق الأمر في ذلك. وحقيقته أن الله وكل بالإنس ملائكة وشياطين يلقون في قلوبهم الخير والشر فالعلم الصادق من الخير والعقائد الباطلة

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٧/٥٢٣

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٧/٥٢٤

من الشر كما قال ابن مسعود: **لمة الملك** تصديق بالحق **ولمة الشيطان** تكذيب بالحق وكما ﴿قال النبي صلى الله عليه وسلم في القاضي: أنزل الله عليه ملكا يسدده﴾ وكما أخبر الله أن الملائكة توحي إلى البشر ما توحيه وإن كان البشر لا يشعر بأنه من الملك كما لا يشعر بالشيطان الموسوس." (١)

"- ٢٦٧ - يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد

- ٢٦٨ - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم

- ٢٦٩ - يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإنفاق والمراد به الصدقة ههنا من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها، يعني التجارة بتيسيره إياها لهم، وقال علي والسدي: ﴿من طيبات ما كسبتم﴾ يعني الذهب والفضة، ومن الثمار والزروع التي أنبتها لهم من الأرض، قال ابن عباس: أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه وهو خبيثه فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، ولهذا قال: ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ أي تقصدوا الخبيث، ﴿منه تنفقون ولستم بآخذيه﴾: أي لو أعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تتغاضوا فيه، فالله أغنى منكم فلا تجعلوا لله ما تكرهون، وقيل معناه: لا تعدلوا عن المال الحلال وتقصدوا إلى الحرام فتجعلوا نفقتكم منه. وعن عبد الله بن مسعود قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه - قالوا: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال: غشه وظلمه - ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث" (رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود مرفوعا) قال ابن كثير: والصحيح القول الأول.

قال ابن جرير رحمه الله: عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قول الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ الآية، قال نزلت في الأنصار، كات الأنصار إذا كانت أيام جذاذ النخل أخرجت من حيطانها البسر فعلقوه على حبل بين الأسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل فقراء المهاجرين منه، فيعمد الرجل منهم إلى الحشف فيدخله مع أقناء البسر يظن أن ذلك جائز، فأنزل الله فيمن فعل ذلك: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ (أخرجه ابن ماجة والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين) وقال ابن أبي حاتم: عن البراء رضي الله عنه ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن -[٢٤١]- تغمضوا فيه﴾ قال: نزلت فينا؛ كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته، فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعصاه فسقط منه البسر والتمر، فيأكل وكان أناس ممن لا يرغبون في الخير يأتي بالقنو الحشف والشيص، فيأتي بالقنو قد انكسر

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٥٣١/١٧

فيعلقه فنزلت: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ قال: لو أن أحدكم أهدي له مثل ما أعطى ما أخذ إلا على إغماض وحياء، فكنا بعد ذلك يجيء الرجل منا بصالح ما عنده (رواه ابن أبي حاتم والترمذي، وقال الترمذي: حسن غريب)

وعن عبد الله بن مغفل في هذه الآية ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ قال: (كسب المسلم لا يكون خبيثا، ولكن لا يصدق بالحشف والدرهم الزيف وما لا خير فيه) (رواه ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مغفل)، وقال الإمام أحمد عن عائشة قالت: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بضب فلم يأكله ولم ينه عنه قلت: يا رسول الله نطعمه المساكين؟ قال: «لا تطعموهم مما لا تأكلون». وعن البراء ﴿ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ يقول: لو كان لرجل على رجل فأعطاه ذلك لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه؟ (رواه ابن جرير عن البراء بن عازب)، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ يقول: لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم، وحقي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه؟.

وقوله تعالى: ﴿واعلموا أن الله غني حميد﴾ أي وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها فهو غني عنها، وما ذاك إلا أن يساوي الغني الفقير، كقوله: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دمآؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ وهو غني عن جميع خلقه، وجميع خلقه فقراء إليه. وهو واسع الفضل لا ينفد ما لديه، فمن تصدق بصدقة من كسب طيب فليعلم أن الله غني واسع العطاء كريم؛ جواد، وسيجزيه بها ويضاعفها له أضعافا كثيرة، من يقرض غير عديم ولا ظلوم، وهو الحميد: أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، لا إله إلا هو ولا رب سواه

وقوله تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم﴾، قال ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان» ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ (رواه ابن أبي حاتم والترمذي والنسائي وابن حبان) الآية. ومعنى قوله تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ أي يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله، ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾: أي مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق، يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق، قال تعالى: ﴿واله يعدكم مغفرة منه﴾ أي في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء، ﴿وفضلا﴾ أي في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر ﴿والله واسع عليم﴾.

وقوله تعالى: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾، قال ابن عباس: يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه -[٢٤٢]- ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله. وقال مجاهد: ﴿الحكمة﴾ ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن، وقال أبو العالية: الحكمة خشية الله، فإن خشية الله رأس كل حكمة، وقد روى ابن مردويه عن ابن مسعود مرفوعا: «رأس الحكمة مخافة الله»، وقال أبو مالك: الحكمة السنة. وقال زيد بن أسلم: الحكمة العقل. قال مالك: وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله، وأمر يدخله في القلوب من رحمته وفضله، ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلا في أمر الدنيا إذا نظر

فيها، وتجد آخر ضعيفا في أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به، يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا، فالحكمة: الفقه في دين الله. وقال السدي: الحكمة النبوة. والصحيح أن الحكمة لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها وأعلاها النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع، كما جاء في بعض الأحاديث: «من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه» (رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن عبد الله بن عمر) وقال صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» (رواه البخاري ومسلم والنسائي)

وقوله تعالى: ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ أي وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من له لب وعقل، يعي به الخطاب ومعنى الكلام.." (١)

"وأما جعله فوق مقام الفراسة فقد احتج عليه بأن الفراسة ربما وقعت نادرة كما تقدم، والنادر لا حكم له، وربما استعصت على صاحبها واستصعبت عليه فلم تطاوعه، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد، يعني في مقام القرب والحضور. والتحقيق في هذا أن كل واحد من " الفراسة " و " الإلهام " ينقسم إلى عام وخاص، وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر، وعام كل واحد قد يقع كثيرا، وخاصه قد يقع نادرا، ولكن الفرق الصحيح أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام فموهبة مجردة، لا تنال بكسب البتة.

[فصل درجات الإلهام]

[الدرجة الأولى نبأ يقع وحيا قاطعا مقرونا بسماع]

فصل درجات الإلهام

قال: وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: نبأ يقع وحيا قاطعا مقرونا بسماع، إذ مطلق النبأ الخبر الذي له شأن، فليس كل خبر نبأ، وهو نبأ خبر عن غيب معظم.

ويريد بالوحي والإلهام: الإعلام الذي يقطع من وصل إليه بموجبه، إما بواسطة سمع، أو هو الإعلام بلا واسطة.

قلت: أما حصوله بواسطة سمع فليس ذلك إلهاما، بل هو من قبيل الخطاب، وهذا يستحيل حصوله لغير الأنبياء، وهو الذي خص به موسى، إذ كان المخاطب هو الحق عز وجل.

وأما ما يقع لكثير من أرباب الرياضات من سماع فهو من أحد وجوه ثلاثة لا رابع لها، أعلاها: أن يخاطبه الملك خطابا جزئيا، فإن هذا يقع لغير الأنبياء، فقد كانت الملائكة تخاطب عمران بن حصين بالسلام، فلما اكتوى تركت خطابه، فلما ترك الكي عاد إليه خطاب ملكي، وهو نوعان:

أحدهما: خطاب يسمعه بأذنه، وهو نادر بالنسبة إلى عموم المؤمنين.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ١/٢٤٠

والثاني: خطاب يلقى في قلبه يخاطب به الملك روحه، كما في الحديث المشهور «إن للملك لمة بقلب ابن آدم، وللشيطان لمة، **فلمة الملك**: إيعاد بالخير، وتصديق بالوعد." [1]

"رواه أبو داود.

٧٤- (١٢) وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله

الشيطان يأمر الناس بالكفر قبل هذا، وأما الآن فلا سبيل له إليهم سوى الوسوسة، ولا بأس بها مع العلم بأنها قبيحة والتعوذ بالله منها، أو المعنى: الحمد لله الذي رد شأن هذا الرجل من الكفر إلى الوسوسة، وهي معفوة – انتهى. (رواه أبوداود) في الأدب، وأخرجه أيضا أحمد والنسائي وابن أبي شيبه، وصححه ابن حبان.

٧٤- قوله: (إن للشيطان) أي إبليس أو بعض جنده (لمة) أي قربا أي وساوس، يوصلها إلى قلب العبد المكلف بحيث يقربه إلى المعاصي، واللمة بفتح اللام وشدة الميم من الإلمام ومعناه النزول والقرب والإصابة، والمراد بها ما يقع في القلب بواسطة الشيطان من خطرات الشر (بابن آدم) أي بهذا الجنس، فالمراد به الإنسان (وللملك لمة) المراد بها ما يقع في القلب من خطرات الخير، **ولمة الشيطان** تسمى وسوسة **ولمة الملك** إلهاما (فأما **لمة الشيطان**) أي وسوسته (فإيعاد) أي منه (بالشر) كالكفر والفسق والظلم (وتكذيب بالحق) أي في حق الله أو حق الخلق، أو بالأمر الثابت كالتوحيد والنبوة والبعث والقيامة والجنة والنار. قال المناوي: كان القياس مقابلة الشر بالخير أو الحق بالباطل، لكنه أتى بما يدل على أن كل ما جر إلى الشر باطل أو إلى الخير حق، فأثبت كلا ضمنيا (فإيعاد بالخير) كالصلاة والصوم (وتصديق بالحق) ككتب الله ورسله، والإيعاد في اللمتين من باب الإفعال، والوعيد في الاشتقاق كالوعد، إلا أن الإيعاد اختص بالشر عرفا، يقال: أوعد إذا وعد بالشر، إلا أنه استعمله في الخير للازدواج والأمر من عن الاشتباه بذكر الخير بعده. قال القاري: إن هذا التفصيل عند الإطلاق كما قال الشاعر:

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وأما عند التقييد فالأولى أن يقال بالتجريد فيهما أو بأصل اللغة، واختيار الزيادة لاختيار المبالغة – انتهى. وقال الشاه ولي الله الدهلوي: الحاصل أن صورة تأثير الملائكة في نشأة الخواطر الأنس والرغبة في الخير، وتأثير الشياطين فيها الوحشة وقلق النفس والرغبة في الشر (فمن وجد) أي في نفسه أو أدرك وعرف (ذلك) أي **لمة الملك** على تأويل الإلمام أو المذكور (فليعلم أنه من الله) أي منة جسيمة ونعمة عظيمة واصلة إليه ونازلة عليه، إذ أمر الملك بأن يلهمه، أو فليعلم أنه مما يحبه الله ويرضاه

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٦٩

(فليحمد الله) أي على هذه النعمة الجليلة حيث أهله لهداية الملك ودلالته على ذلك الخير (ومن وجد الأخرى) أي **لمة الشيطان**، ولم يصرح به كراهة لتوالي ذكره على اللسان، أو استهجانا لذكره (فليتعوذ بالله." [1]

"لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه. ثم فسره فأخبر: أن الصراط هو الإسلام، وأن الأبواب المفتحة محارم الله، وأن الستور المرخاة حدود الله، وأن الداعي على رأس الصراط هو القرآن، وأن الداعي من فوقه هو واعظ الله في قلب كل مؤمن)) رواه رزين.

١٩٢- (٥٣) ورواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان عن النواس بن سمعان، وكذا الترمذي عنه إلا أنه ذكر أخصر منه.

١٩٣- (٥٤) وعن ابن مسعود قال: "من كان مستنا، فيستن بمن قد مات، فإن الحي

الفتح. (لا تفتحه) أي شيئا من تلك الأبواب أي ستورها (تلجه) أي تدخله من الولوج، يعني لا تقدر أن تملك نفسك وتمسكها عن الدخول بعد الفتح. (ثم فسره) أي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (أن الصراط هو الإسلام) وهو طريق مستقيم، والمطلوب من العبد الاستقامة عليه أي امتثال جميع أحكامه. (وأن الأبواب المفتحة محارم الله) أي المعاصي التي حرمها الله على الناس، فإنها أبواب للخروج من كمال الإسلام والاستقامة، والدخول في العذاب والملامة. (وأن الستور المرخاة حدود الله) قيل: الحد الفاصل بين العبد ومحارم الله والمانع له من ارتكابها، كما قال الله تعالى: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ [٢:٢٢٩] ، وهي عبارة عن أحكامه، وقيل: المراد من الستور الأمور المستورة الغير المبينة من الدين المسماة بالشبهة المعبر عنها بحول الحمى. (وأن الداعي من فوقه) أي من فوق الداعي الأول. (هو واعظ الله في قلب كل مؤمن) هو **لمة الملك** في قلب المؤمن، والهم **لمة الشيطان**. (رواه رزين) أي عن ابن مسعود.

١٩٢- قوله: (ورواه أحمد) الخ. (ج٤:ص١٨٢، ١٨٣) من طريقين في أحدهما بقية بن الوليد، وهو صدوق كثير التدليس، لكن صرح بسماعه من بحير بن سعدﷺ وأخرجه أيضا الحاكم (ج١:ص٧٣) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علة. ووافقه الذهبي. (عن النواس) بفتح النون وتشديد الواو (بن سمعان) بفتح السين المهملة، وقيل بكسرها وسكون الميم، وبالعين المهملة، العامري الكلابي، سكن الشام، صحابي، ولأبيه أيضا صحبة. روي له سبعة عشر حديثا، انفرد له مسلم بثلاثة. (وكذا الترمذى عنه) أي روى عن النواس في الأمثال، وحسنه (إلا أنه) أي الترمذي (ذكر أخصر منه) أي من هذا الحديث، أو أخصر مما ذكر غيره.

١٩٣- قوله: (مستنا) بتشديد النون، أي مقتديا بسنة أحد وطريقته. (فليستن بمن قد مات) أي على الإسلام، أو العلم والعمل، وعلم حاله وكماله على وجه الاستقامة. أخرج الكلام مخرج الشرط والجزاء تنبيها به على الاجتهاد، وتحري طريق الثواب بنفسه بالاستنباط من معاني نصوص الكتاب والسنة، فإن لم يتمكن منه فليقتد بأصحاب النبي – صلى الله عليه

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ١٥٢/١

وسلم -، لأنهم اتبعوا أثر النبي - صلى الله عليه وسلم - على ما شاهدوا من أقواله وأفعاله وأحواله وتقريره، فالاستنان بهم متعين. وكأن ابن." (١)

"٧٤ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - («إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة: فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق فمن وجد ذلك؛ فليعلم أنه من الله، فيحمد الله، ومن وجد الأخرى؛ فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم) . ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ [البقرة: ٢٦٨] ») . رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

---

٧٤ - (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن للشيطان) أي: إبليس، أو بعض جنده (لمة) : اللمة بالفتح من الإلمام، ومعناه النزول، والقرب، والإصابة، والمراد بها ما يقع في القلب بواسطة الشيطان، أو الملك (بابن آدم) أي: بهذا الجنس فالمراد به الإنسان (وللملك لمة) : **فلمة الشيطان** تسمى وسوسة، **ولمة الملك** إلهاما (فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر) : كالكفر، والفسق، والظلم (وتكذيب بالحق) أي: في حق الله، أو حق الخلق، أو بالأمر الثابت كالتوحيد، والنبوة، والبعث، والقيامة، والنار، والجنة (وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير) : كالصلاة، والصوم (وتصديق بالحق) : ككتب الله، ورسله، والإيعاد في اللمتين من باب الإفعال، والوعيد في الاشتقاق كالوعد." (٢)

"إلا أن الإيعاد اختص بالشر عرفا يقال أوعد إذا وعد بشر إلا أنه استعمله في الخير للازدواج، والأمن عن الاشتباه بذكر الخير بعده كذا قالوا، والظاهر أن هذا التفصيل عند الإطلاق كما قال الشاعر:

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وأما عند التقييد فالأولى أن يقال بالتجريد فيهما، أو بأصل اللغة، واختيار الزيادة لاختيار المبالغة (فمن وجد) : أي في نفسه، أو أدرك، وعرف (ذلك) أي: **لمة الملك** على تأويل الإلمام، أو المذكور (فليعلم أنه من الله) : أي: منة جسيمة، ونعمة عظيمة، واصلة إليه، ونازلة عليه إذ أمر الملك بأن يلهمه (فليحمد الله) أي: على هذه النعمة الجليلة حيث أهله لهداية الملك، ودلالته على ذلك الخير تصديقا وتحصيلا، ثم معرفة الخواطر والتمييز بينها محل بسطها كتب الصوفية، وقد بينها الغزالي في منهاج العابدين تبيينا لطيفا، واتفق المشايخ على أن من كان مأكله من الحرام لا يميز بين الوسوسة والإلهام، بل قال الدقاق: من كان قوته معلوما أي: بأن لم يتوكل على الله حق توكله لا يفرق بينهما، ثم الإلهام، وإن كان غير معتبر في حق الأحكام لكنه معتبر في معرفة وساوس النفس، ومكايد الشيطان، وإنما قدمها هنا، وأخرها أولا لأن **لمة الشيطان** شر، والابتلاء بها أكثر، فكانت الحاجة ببيانها أمس، ولما فرغ منه قدم **لمة الملك** تعظيما لشأنها، وإشعارا بأن رحمته سبقت غضبه (ومن وجد الأخرى) أي: **لمة الشيطان** (فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم) : وليخالفه، وفيه إيماء إلى أن الكل من

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ١/٢٩٤

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ١/١٤٣

الله تعالى، وإنما الشيطان عبد مسخر أعطي له التسليط على بعض أفراد الإنسان كما قال تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢] وإنما لم يقل هنا فليعلم أنه من الله تأدبا معه إذ لا يضاف إليه إلا الخير (ثم قرأ) : - صلى الله عليه وسلم - استشهادا ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ [البقرة: ٢٦٨] أي: يخوفكم به، ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ [البقرة: ٢٦٨] أي: بالبخل، والحرص، وسائر المعاصي، فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة، أو معناه الشيطان يعدكم الفقر ليمنعكم عن الإنفاق في وجوه الخيرات، ويخوفكم الحاجة لكم، أو لأولادكم في ثاني الحال سيما في كبر السن، وكثرة العيال، ويأمركم بالفحشاء أي المعاصي، وهذا الوعد، والأمر هما المرادان بالشر في الحديث، وتتمة الآية: ﴿والله يعدكم مغفرة﴾ [البقرة: ٢٦٨] أي: لذنوبكم على الصبر في الفقر، والطاعة (منه) أي: من عنده عدلا، أو فضلا، أي: يعدكم زيادة الخير على المغفرة، وثواب الطاعة بالأضعاف المضاعفة، أو خلفا في الدنيا، وعوضا في العقبى ﴿والله واسع عليم﴾ [البقرة: ٢٤٧] : تذييل للكلام السابق إشارة إلى سعة مغفرته، ورحمته، ووفور علمه بأحوال العباد ومصالحهم. (رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب) : وتعريف الغرابة، وتفصيلها متنا، وإسنادا مذكور في أصول الحديث.." (١)

"قال الطيبي: عطف على " استقيموا " على الطرد والعكس، لأن مفهوم كل منهما يقرر منطوق الآخر وبالعكس (وفوق ذلك) : عطف على: وعند رأس الصراط، والمشار إليه بذلك الصراط أو الداعي (داع يدعو، كلما هم عبد) أي: قصد وأراد (أن يفتح شيئا) أي: قدرا يسيرا (من تلك الأبواب) أي: ستورها.

قال الطيبي: كلما ظرف يستدعي الجواب وهو: قال اهـ. والضمير في (قال) : راجع إلى الداعي (ويحك) : زجر له عن تلك الهمة، وهي كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها كذا قاله الطيبي، يعني ثم استعمل لمجرد الزجر عما هم به من الفتح (لا تفتحه) أي شيئا من تلك الأبواب أي ستورها. وقال الأبهري: هذا يدل على أن تلك الأبواب مردودة، فمعنى قوله سابقا " أبواب مفتحة ": غير مغلقة اهـ. وهو خلاف الظاهر (فإنك إن تفتحه تلجه) أي: تدخله يعني: لا تقدر أن تملك نفسك وتمسكها عن الدخول بعد الفتح. (ثم فسره) أي: أراد تفسيره (فأخبر: أن الصراط هو الإسلام) : وهو طريق مستقيم والمطلوب من العبد الاستقامة عليه (وأن الأبواب المفتحة محارم الله) : فإنها أبواب للخروج عن كمال الإسلام والاستقامة والدخول في العذاب والملامة (وأن الستور المرخاة حدود الله) : قال الطيبي: الحد الفاصل بين العبد ومحارم الله كما قال الله تعالى: ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾ [البقرة: ١٨٧] اهـ.

والظاهر والله أعلم أن المراد من الستور الأمور المستورة غير المبينة من الدين المسماة بالشبهة المعبر عنها ب " حول الحمى " في الحديث المشهور. (وأن الداعي) : وفي نسخة: والداعي بالرفع (على رأس الصراط هو القرآن، وأن الداعي من فوقه) أي: فوق الصراط أو من فوق الداعي الأول (هو واعظ الله في قلب كل مؤمن) . قال الطيبي: هو لمة الملك في قلب المؤمن، واللمة الأخرى هي لمة الشيطان اهـ. أي: التي أثرها الهم، وكان الأظهر أن يقول: والهم لمة الشيطان. (رواه رزين) . أي: عن ابن مسعود (ورواه أحمد) .." (٢)

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ١٤٤/١

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٢٧٣/١

"٢١٨ - وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - («طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللولؤ والذهب») رواه ابن ماجه، وروى البيهقي في (شعب الإيمان) إلى قوله (مسلم) . وقال: هذا حديث متنه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روي من أوجه كلها ضعيف.

---

٢١٨ - (وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم) أي: الشرعي (فريضة) أي: مفروض فرض عين (على كل مسلم) : أو كفاية والتاء للمبالغة أي ومسلمة كما في رواية.

قال الشراح: المراد بالعلم ما لا مندوحة للعبد من تعلمه كمعرفة الصانع والعلم بوحدانيته ونبوة رسوله وكيفية الصلاة، فإن تعلمه فرض عين، وأما بلوغ رتبة الاجتهاد والفتيا ففرض كفاية. قال السيد: ويمكن أن يعم العلم ويحمل الكلام على المبالغة اهـ. وفيه تأمل.

قال الأبهري: واختلف في العلم الذي هو فرض وتحزبوا فيه أكثر من عشرين فرقة، فكان فريق نزل الوجوب على العلم الذي بصدده اهـ.

قال الشيخ العارف الرباني السهروردي: اختلف في هذا العلم الذي هو فريضة. قيل: هو علم الإخلاص ومعرفة آفات النفس وما يفسد الأعمال لأن الإخلاص مأمور به، فصار علمه فرضا آخر، وقيل: معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأن الخواطر هي منشأ الفعل، وبذلك يعلم الفرق بين **لمة الشيطان** و**لمة الملك**، وقيل: هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال واجبا، وقيل: علم البيع والشراء والنكاح إذا أراد الدخول في شيء منها، وقيام علم الفرائض الخمس، وقيل: هو طلب علم التوحيد بالنظر والاستدلال والنقل، وقيل: هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا، وهو الذي يكتسب بصحبة الصالحين والزهاد المقربين، فهم وراث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اهـ.

فإن قيل: ما الفرض قبل الفرض؟ فقل: العلم قبل العمل، وإن قيل: ما الفرض في الفرض؟ فقل: الإخلاص في العلم والعمل، وإن قيل: ما الفرض بعد العمل؟ فقل: الخوف والرجاء. (واضع العلم عند غير أهله) : بأن يحدثه من لا يفهمه، أو من يريد منه غرضا دنيويا، أو من لا يتعلمه لله (كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ) : بسكون الهمزة ويبدل (والذهب) : قيل: يشعر بأن كل علم يختص باستعداد وله أهل، فإذا وضعه في غير موضعه فقد ظلم، فمثل معنى الظلم بتقليد أخس الحيوانات بأنفس الجواهر تهجينا لذلك الوضع وتنفيرا عنه، ولذا قال علي كرم الله وجهه: حدثوا الناس بما يفهمون أو يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله، أي: إذا سمعوا ما لم تحط به عقولهم، فإنهم يبادرون إلى تكذيبه، وفي تعقيب هذا التمثيل بقوله: طلب العلم إعلام بأن المراد بالطلب طلب من المستعدين ما يليق بحاله: يوافق منزلته بعد حصول ما هو واجب من الفرائض العامة، وعلى العالم أن يخص كل طالب بما هو مستعد له. (رواه ابن ماجه) . يعني: بكماله، وغيره. كذا في الترغيب للمنذري (وروى البيهقي في شعب الإيمان إلى قوله: (مسلم) وقال: أي: البيهقي (هذا حديث متنه مشهور) أي: على ألسنة الناس كذا في بداية الجزري (وإسناده ضعيف) ، أي: وإن كان معناه صحيحا كذا قاله النووي (وقد روي من أوجه كلها ضعيفة) . لكن كثرة الطرق تدل على ثبوته ويقوى بعضه ببعض. قال المزي تلميذ النووي: إن طرقه تبلغ رتبة الحسن،

وقال العلقمي في شرح الجامع الصغير: رأيت له خمسين طريقا جمعتها في جزء وحكمت بصحته، لكن من القسم الثاني وهو الصحيح بغيره، فقول الجزري في البداية: لا أصل له، أي: ليس له أصل صحيح، وقد مثل به ابن الصلاح للمشهور الذي ليس بصحيح، لكن قال العراقي. قد صحح بعض الأئمة بعض طرقه، هذا وقد ألحق بعض المصنفين بآخر الحديث (ومسلمة) وليس لها ذكر في شيء من طرقه.." (١)

"وقال بعض العارفين: معناه إذا كنت صحيح الخاطر طاهر الباطن، مراقبا للغيب وتعرف **لمة الملك** من **لمة الشيطان**، والإلهام من حديث النفس، وكنت مميزا بين الحق والباطل بنور الفراسة وصفاء القلب. دع ما يريبك من الأغلوطات والشبهات النفسانية والشيطانية إلى ما لا يريبك مما ينزل بقلبك وعقلك وروحك من الإلهام الإلهي والعلم اللدني المطابق للكتاب والحديث النبوي، وكما أن ترك ما يريبك مأمور، فترك ما يريب الغير مما يصعب على أفهام العامة أولى كما أشار إليه الحسن بن علي - كرم الله وجهه الأعلى -:

إني لأكتم من علمي جواهره ... كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يرونه حسنا

(رواه أحمد، والترمذي، والنسائي) ، أي: الحديث بكماله (وروى الدارمي الفصل الأول) أي الجملة الأولى فقط وهي: (دع ما يريبك) وسماه فصلا لأن الأخير مفرع والأول: مفرع عليه، فصارا كالفصلين من الكلام، وإن كان بينهما ارتباط تام. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.." (٢)

"٤٥٨٤ - وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " «الطيرة شرك " قاله ثلاثا " وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل» ". رواه أبو داود، والترمذي، وقال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث: «وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل» . هذا عندي قول ابن مسعود.

٤٥٨٤ - (وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: الطيرة شرك) : أي لاعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا، فإذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا بالله في ذلك ويسمى شركا خفيا. وقال شارح: يعني من اعتقد أن شيئا سوى الله ينفع أو يضر بالاستقلال فقد أشرك أي شركا جليا. وقال القاضي: إنما سماها شركا لأنهم كانوا يرون ما يتشاءمون به سببا مؤثرا في حصول المكروه، وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي، فكيف إذا انضم إليها جهالة وسوء اعتقاد. (قاله ثلاثا) مبالغة في الزجر عنها (وما منا) : أي أحد (إلا) . أي إلا من يخطر له من جهة الطيرة شيء ما لتعود النفوس بها، فحذف المستثنى كراهة أن يتفوه به. قال التوربشتي: أي إلا من يعرض له

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٣٠١/١

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ١٩٠٠/٥

الوهم من قبل الطيرة، وكره أن يتم كلامه ذلك لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا نوع من أدب الكلام يكتفي دون المكروه منه بالإشارة فلا يضرب لنفسه مثل السوء. (ولكن الله) : الرواية بتشديد النون ونصب لفظ الجلالة ويجوز تخفيفه ورفعها (يذهبه) : بضم الياء من الإذهاب على ما في الأصول المعتمدة والنسخ المصححة أي يزيل ذلك الوهم المكروه. (بالتوكل) : أي بسبب الاعتماد عليه والإسناد إليه سبحانه.

وحاصله: أن الخطرة ليس بها عبرة، فإن وقعت غفلة لا بد من رجعة وأوبة من حوبة، كما ورد عنه - صلى الله عليه وسلم - من حديث عبد الله بن عمرو برواية أحمد والطبراني ولفظه: " «من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك، وكفارة ذلك أن يقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك. ولا إله غيرك» ". وسيأتي في الفصل الثالث ما ينصره، وأغرب الطيبي في اشتغاله بالمبنى وغفلته عن المعنى، فقال في قوله: " يذهبه بالتوكل " جاء بفتح الياء وضمها، وعلى الثاني اجتمع فيه حرفا التعدية للتأكيد، والمراد بالإذهاب ما يخطر في قلب المؤمن من **لمة الملك** المذهبة **للمة الشيطان** اهـ.

وفيه أبحاث ثلاثة: أما الأول، فقوله بفتح الياء غير صحيح، لأنه يصير فعلا لازما، وقد اجتمعت النسخ على وجود الضمير البارز، وعلى تقدير عدمه يختل المعنى، إذ يصير التقدير: ولكن الله يذهب. وفساده لا يخفى، وأما الثاني: فقوله بضم الياء أي مع كسر الهاء صحيح، لكن قوله اجتمع فيه حرفا التعدية للتأكيد غلط صريح، فإن الباء للسببية لا للتعدية، وإلا لفسد المعنى، لأنه يصير مآل الكلام لكن الله يزيل التوكل. وفساده ظاهر، لا سيما مع الاستدراك، فإنه وهم باهر. وأما الثالث: فقوله والمراد بالإذهاب ما يخطر في قلب المؤمن من **لمة الملك** المذهبة **للمة الشيطان**، فإنه مع عدم صحة الحمل وكونه مناقضا لكلامه السابق المفهوم منه أن التوكل هو المذهب بسبب الهمزة، وباء التعدية مقلوب المعنى هنا، لأن الصواب أن يقال: المراد بالضمير البارز أو بالمذهب ما يخطر في قلب المؤمن من **لمة الشيطان** المذهبة **للمة الملك**، لأنهما لا يجتمعان كما تحقق بحثهما في أول الكتاب، والله أعلم بالصواب. (رواه أبو داود، والترمذي) : أي الحديث بكماله مرفوعا، لكن فيه بحث للمحدثين.." (١)

"ولكن المشاهد في أحوال كثيرة أن من الناس من يعلم أن شيئا يضره ومع ذلك يفعله، ويعلم أن شيئا ينفعه ومع ذلك يتركه، فما تعليل ذلك؟

ويرى شيخ الإسلام أن ذلك عارض ما في نفسه من طلب لذة أخرى أو دفع ألم آخر، فأصبح جاهلا، حيث قدم هذا على ذلك ولهذا قال أبو العالية (متوفى ٩٠ هـ) (وهو من كبار التابعين) سألت أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - عن قوله تعالى: (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) [النساء، الآية: ١٧] (١) فقالوا: كل من عصى الله فهو جاهل، وكل من تاب من قبل الموت فقد تاب من قريب.

وإذا عدنا إلى مبدأ الثنائية في خلق الإنسان، وعرفنا حقيقة العداء بينه وبين الشيطان، استطعنا الوقوف على أسباب أخرى للمفاسد والمعاصي لأن مبدأ العلم الحق والإرادة الصالحة من **لمة الملك**، ومبدأ الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة من **لمة**

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٧/٢٨٩٧

الشيطان، وذلك تفسير قول الله تعالى: (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) [البقرة، الآية: ٢٦٨] وقال تعالى أيضا: (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) [آل عمران، الآية: ١٧٥] أي يخوفكم أولياؤه.

الأصل إذن أن الله تعالى خلق عباده على الفطرة التي إن تركت على سجيتها عرفت الحق وعملت به – لأنها جلبت على الصحة في الإدراك وفي الحركة (٢) لذلك يأتي دور الرسل عليهم السلام بتكميل الفطرة الإنسانية لا بتغييرها. قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) [فصلت، الآية: ٥٣] وهذا التطابق والتوافق بين آيات الله تعالى في الآفاق والأنفس يأتي متطابقا مع الآيات القرآنية السمعية (لأن القرآن الذي أخبر به عباده حق، فتتطابق الدلالة البرهانية القرآنية والبرهانية العيانية ويتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول) .

ومما يساعد الإنسان في الوصول إلى معرفة الحق أن يهتدي بالطرق العقلية التي استخدمها القرآن الكريم والتوافق بين آيات الله تعالى في الآفاق وفي الأنفس – أي

---

(١) ابن تيمية: نقض المنطق ص ٢٩ – ٣٠.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة ج ١ ص ٨٣ والنبوات ص ٣٠٣.." (١)

"ولما بين أن محط حال القاعد عن الجهاد الدنيا، علم أن قصد المجاهد الآخرة، فسبب عن ذلك قوله: ﴿فليقاتل في سبيل الله﴾ أي بسبب تسهيل طريق الملك الذي له الأمر كله وحفظ الناس عليه ﴿الذين يشرون﴾ أي يبيعون برغبة ولجاجة وهم المؤمنون، أو يأخذون وهم المنافقون – استعمالا للمشترك في مدلوليه ﴿الحياة الدنيا﴾ فيتركونها ﴿بالآخرة﴾ ولما كان التقدير: فإنه من قعد عن الجهاد فقد رضي في الآخرة بالدنيا، عطف عليه قوله: ﴿ومن يقاتل في سبيل الله﴾ أي فيريد إعلاء **كلمة الملك** المحيط بصفات الجمال والجلال ﴿فيقتل﴾ أي في ذلك الوجه وهو على تلك النية بعد أن يغلب القضاء والقدر على نفسه ﴿أو يغلب﴾ أي الكفار فيسلم ﴿فسوف نؤتيه﴾ أي بوعد لا خلف فيه بما لنا من العظمة المحيطة بالخير والشر، والآية من الاحتباك:." (٢)

١-"ومن حكمة الله تعالى أن جعل قلوب العباد ميدان حرب وصراع، فالقلب يتعاوره ملك وشيطان، هذا يلم به مرة، وهذا يلم به أخرى.

---

(١) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين مصطفى حلمي ص/٢٢٤

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٥/٣٢٦

يقول تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ (١).

ووضح الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك، ففي الحديث: "إن للملك بقلب ابن آدم لمة، وللشيطان لمة، **فلمة الملك** إيعاد بالخير، وتصديق بالوعد، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر، وتكذيب بالموعد، ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم﴾ (٢).

يقول ابن القيم معقبا على الحديث: "فالملك والشيطان يتعاقبان على القلب تعاقب الليل والنهار، فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره، وآخر بضده، ومنهم من يكون زمنه كله نهارا، وآخر بضده" (٣).

وقال الحسن البصري: "وإنما هما همان يجولان في القلب: هم من الله، وهم من العدو، فرحم الله عبدا وقف عند همه، فما كان من الله أمضاه، وما كان من عدوه جاهده ... " (٤).

والشيطان إنما يصارع ليملك القلب ويستولي عليه، فيفسده، وبفساده يفسد الجسد كله، يقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" (٥)، ويقول: "إنما الأعمال كالوعاء، إذا طاب أسفله طاب أعلاه، وإذا فسد أسفله فسد أعلاه" (٦).

---

(١) سورة البقرة /٢٦٨.

(٢) سورة البقرة /٢٦٨، والحديث رواه الترمذي، وقال فيه: هذا حديث غريب، (انظر مشكاة المصابيح ١/ ٢٨).

(٣) إغاثة اللهفان: ١/ ٢٨.

(٤) الغنية ١/ ٨٩.

(٥) رواه البخاري ومسلم، (صحيح الجامع ج ٣، حديث رقم ٣١٨٨).

(٦) رواه ابن ماجه في سننه، وأحمد في مسنده، (صحيح الجامع ج ٢، حديث رقم ٢٣١٦)."[١]

٢-"٤٢ – وقال أحمد في الزهد [٨٦٢]:

حدثنا إسرائيل، عن سعيد بن مسروق، عن المسيب بن رافع، حدثني أبو إياس البجلي قال: سمعت عبد الله بن مسعود، يقول: من تطاول تعظيما خفضه الله عز وجل، ومن تواضع لله تخشعا رفعه الله عز وجل، وإن للملك لمة وللشيطان لمة، **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فإذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله عز وجل، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فإذا رأيتم ذلك فتعوذوا بالله عز وجل.".[٢]

٣-"التواضع وأثره وتأثير الملك والشيطان في سلوك الناس

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [من تطاول تعظما حطه الله، ومن تواضع تخشعا رفعه الله].

---

(١) مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين ص/٣٦٣

(٢) الصحيح المسند من آثار الصحابة في الزهد والرقائق والأخلاق والأدب ٢/ ٩

ف قارون تعالى على قومه وقال: ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾ [القصص:٧٨]، فقال الله: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ [القصص:٨١].

قال: [وإن للملك لمة، وللشيطان لمة]، يعني: الملك له معك جولة، والشيطان كذلك له جولة.

قال: **[فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فإذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله].

يعني: عندما تلقى الطمأنينة في نفسك، وحضورك لمجلس العلم، وتريد أن تفتح المصحف لا تغلقه، وتريد أن تصلي باستمرار، وتريد أن تعمل خيرا وتريد أن تصل الرحم، فكل هذه ساعة **لمة الملك**.

قال: **[ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فإذا رأيتم ذلك فتعوذوا بالله.

إن الناس قد أحسنوا القول، فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه، ومن خالف قوله فعله فذاك إنما يوبخ نفسه.

لا ألفين -يعني: لا أجدن- أحدكم جيفة ليل قطرب نهار].

يعني: نائما مثل الجيفة المنتنة، والقطرب: ذكر النحل، يعني: في النهار مثل النحلة ذاهبا للعمل وآتيا منه، لكن يأتي في الليل فيقوم بين يدي الله سبحانه ولا ينام، قال تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ [السجدة:١٦]، وقال تعالى: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل﴾ [المزمل:٢٠] وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أغلب أوقاته صلاة، فجربوا ركعتين في جوف الليل والناس نائمون ولا أريد إيحاءات ولا كلمات تشير إلى أن بعضا منكم يقوم الليل؛ لأن هذا سر بين العبد وربه.

وكل واحد منا له باب يدخل به على الله، فمنا من بابه في الصيام مثلا، والآخر بابه كثرة قراءة القرآن، والآخر بابه الصدقات، وذاك بابه صلة الرحم، وهذا بابه حضور مجالس العلم، وهذا بابه المذلة لله، وهذا بابه كثرة الذكر، وهذا بابه قيام الليل، وهذا بابه العطف على الأرملة واليتامى، فكل واحد له باب.

قال: [من لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا].

إن الصلاة قد تقرب صاحبها إلى الله وقد تبعده من الله، والصلاة التي تقرب إلى الله هي التي تخلو من الكذب والغيبة والنميمة وقلة اليقين، فالصلاة عبارة عن يقين بالله عز وجل بأن أكون بما في يد الله أكثر ثقة مني بما في يدي، إذا: يكون عند العبد توكل على الله وصدق ويقين، ويعرف أن الله سبحانه وتعالى سوف يرزقه في الوقت الذي يريد وفي المكان الذي يريد.

قال: [ومن أنزل همه بالله زال، ومن أنزل همه بالناس زاد].

أي: من أنزل همه بالله زال باللام، ومن أنزل همه بالناس زاد بالدال.

قال: [من اليقين ألا ترضي الناس بسخط الله].

أي: لا ترض الناس وتغضب الله، والذي يعد فرحا لابنه في الفندق فإنه يغضب الله سبحانه.

قال: [ولا تحمد أحدا على رزق الله] أي: عندما يرزقك الله لا تفكر أن هذا شخص أتى به إليك.

قال شقيق البلخي لحاكم أسوان: أين كنت؟ قال: كنت عند عالم في الشام يقول كلاما جيدا، قال: أخبرني ماذا قال؟ قال:

لو كانت السماء من فضة والأرض من حديد، لا السماء تمطر قطرة من مطر ولا الأرض تنبت نبتة من زرع، وفيما بين المشرق والمغرب عيال ما حملت هم رزقهم، لعلمي أن الله سوف يرزقهم، فماذا قال له شقيق: لا تجلس معه مرة أخرى إن هذا عالم سوء، قال له: كيف ذلك؟ قال له: كيف يجري ذكر الرزق على لسانه أولم يقرأ: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات:٢٢]، يعني: مسألة ذكر الرزق ليست جيدة، لأنها قاعدة أننا مادمنا موجودين فرزقنا جار، فهو قانون بديهي مثل ألف وباء، ولو فر ابن آدم من الرزق كما يفر من الموت لأدركه الرزق كما يدركه الموت، ولو ركب ابن آدم الريح ليلحق برزقه لركب الرزق البرق فسبقه ثم دخل في فمه، ولو رجا الإنسان الجنة كما يرجو الغنى لفاز بهما جميعا، ولو خاف من النار مخافته من الفقر لنجا منهما جميعا، ولو خاف من الخالق كما يخاف من المخلوق لسعد في الدنيا والآخرة.

ولا يعرف المؤمن إلا بالعقيدة، فما حالة المسلمين في هذا الزمان إلا لأن العقيدة ضعيفة، فتسمع الشخص يقول: نخاف من الناس ومن كلامهم فإنهم يستهزئون منا.

إن الذي يريد أن يستهزئ فليستهزئ، فإن هذا كله بثوابه إن شاء الله طالما أنك ترضي الله عز وجل، اللهم اجعلنا من الذين يحاولون أن يرضوك يا رب العباد وترضى عنهم يا أكرم الأكرمين! قال: [ولا تلم أحدا على ما لم يؤتك الله].

لو أنه جيء لك ببعثة، فإذا بالمدير الذي أنت تتبعه كان سببا في أنك لم تسافر، فهل تقول: هو الذي لم يجعلني أسافر، أو أن الله هو الذي لم يأذن؟ فإذا أخذت في نفسك عليه؛ فإن ذلك لضعف يقينك، ولو كان عندك قوة يقين لرضيت بأن قدر الله يجري مجراه، كذلك لو أن صبيا يريد أن يقطع الشارع فصدمته سيارة، وانكسرت رجله، وإذا لم تصدمه السيارة، هل كانت رجله ستنكسر؟ نعم كانت ستنكسر بإرادة الله وفي نفس الوقت.

كذلك لو أن الولد مات في حادث سيارة لو أن السيارة لم تصدمه هل كان سيموت أم لا؟ نعم، كان سيموت بقدر الله.

وعلى سبيل المثال: لو أن هناك رجلا جالسا في المطار ومنتظرا ميعاد الطائرة، وهو رجل أعمال، وأخرج الشنطة ليتفقد بعض الأشياء، فاندمج في حساباته وإذا بالطائرة تطير فغضب وحزن؛ لأنه كان عنده اجتماع في روما أو في أي مكان، فمكث قليلا مشغولا، حتى دخل المطار وجلس بداخله وأكمل إجراءاته والطائرة فاتته، وقدر الله لهذه الطائرة أن سقطت عندما فارقت المطار بقليل ومات من فيها، وذلك الرجل مازال جالسا، فأتى شخص آخر يهزه فإذا به وجده قد مات، فقد قدر أن يموت معهم في نفس الوقت ولكن ليس في الطائرة، فعندما يأخذونه وهو ميت يقولون: الحمد لله أننا وجدنا جثته، اللهم الطف بنا فيما جرت به المقادير.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهة كاره] عندما يريد شخص أن يجلب لك مصلحة أو مناقصة، وأنت تكره ذلك ولا تريده، فوالله لو كان ذلك من نصيبك فإن الدنيا كلها لو وقفت ضدك لا تستطيع أبدا أن تمنع شيئا قد كتبه الله لك.

قال: [وإن الله بقسطه] يعني: بعدله، وحلمه.

[جعل الروح والفرح في اليقين والرضا].

والروح: الراحة.

[وجعل الهم والحزن في الشك والسخط].

قال: [ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يفتح له].

قال: [إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها]؛ لأن الذنوب تنسي العلم وتضيع النعم.

قال: [كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب] يعني: قلوبكم جديدة بالإيمان باستمرار.

قال: [خلقان الثياب، تعرفون في السماء وتخفون على أهل الأرض.

إن للقلوب شهوة وإدبارا فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها ودعوها عند فترتها وإدبارها].

عندما تلقى قلبك مقبلا على الطاعة فأكثر من الطاعات، وعندما تلقى القلوب كلت وملت وتعبت ولا تريد فاتركها.

قال: [إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسما وأمرضه قلبا، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلبا وأمرضه جسما، وأيم الله -يعني: والله- لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان] والجعلان: جمع جعل، أي: دويبة.". (١)

"بيان العلم الذي هو فرض عين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين واختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا نطيل بنقل التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها

وقال المتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل

وقال بعضهم هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس وتمييز **لمة الملك** من **لمة الشيطان**

وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه

وقال أبو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الإسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله (١) إلى آخر الحديث لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب

والذي ينبغي أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سنذكره وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة اعتقاد وفعل وترك فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير

---

(١) شرح كتاب الفوائد ٤/١٣

بحث ولا برهان إذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم دليل (٢) فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه أمر وراء هذا في الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله عز وجل غير عاص له وإنما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك وتلك العوارض إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في الاعتقاد

أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فإن كان صحيحا وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت

ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والوقاع وأن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال أو شاهدين فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال إنما يلزمه عند

---

(١) حديث بني الإسلام على خمس الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر

(٢) حديث اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم دليل مشهور في كتب السير والحديث فعند مسلم قصة ضمام بن ثعلبة." (١)

"تمام الحول من وقت الإسلام فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل وكذلك في سائر الأصناف فإذا دخل في أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الإسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله فإن فعل ذلك نفل فعلمه أيضا نفل فلا يكون تعلمه فرض عين وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين

وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لابسا للحرير أو جالسا في الغصب أو ناظرا إلى غير ذي محرم فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى إذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل

---

(١) إحياء علوم الدين؟ أبو حامد الغزالي ١٤/١

لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه

وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فإن خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك

فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئي وأنه ليس محلا للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الإسلام إجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسماع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يصان في أول بلوغه عنها بتلقين الحق فإنه لو ألقى إليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو **ولمة الملك** حق أيضا ولكن في حق من يتصدى له فإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا إليه وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب وأكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني

ومما لا ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة فإنه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا

---

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع الحديث أخرجه البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف." (١)

"المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمة في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للإنسان وكيفية ظهور الملك للأنبياء وكيفية وصول الوحي إليهم والمعرفة بملكوت السموات والأرض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين **لمة الملك** **ولمة الشيطان** ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ ومعنى

---

(١) إحياء علوم الدين؟ أبو حامد الغزالي ١/١٥

قوله تعالى ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدري في جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس في معاني هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذي أعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء

وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي أمورا عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حد معرفة الله عز وجل ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا وإنما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرأة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار وهذا هو العلم الخفي الذي أراده صلى الله عليه وسلم بقوله إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه (١)

وأما القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب أما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحوال والإحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والإخلاص فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التي با تكتسب وثمرتها وعلامتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة

---

(١) حديث إن من العلم كهيئة المكنون الحديث رواه أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين له في التصوف من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف." (١)

"الوظيفة الثانية في وقت الأداء ومن آداب ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب إظهارا للرغبة في الامتثال بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات وعلما بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب

ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي أن يغتنم فإن ذلك **لمة الملك** وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فما

---

(١) إحياء علوم الدين؟ أبو حامد الغزالي ١/ ٢٠

أسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب **لمة الملك** فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاتها إن كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فإنه أول السنة وهو من الأشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا (١) ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن

وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فإنه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان

وذو الحجة أيضا من الشهور الكثيرة الفضل فإنه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام المعلومات وهي العشر الأول والأيام المعدودات وهي أيام التشريق وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر وأفضل أيام ذي الحجة العشر الأول

الوظيفة الثالثة الإسرار فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سر (٢) وقال بعض العلماء ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة (٣) وقد روي أيضا مسندا

وقال صلى الله عليه وسلم إن العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله له سرا فإن أظهره نقل من السر وكتب في العلانية فإن تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء (٤) وفي الحديث المشهور سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه (٥) وفي الخبر صدقة السر تطفىء غضب الرب (٦) وقال تعالى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملأ من الناس يبغي الرياء والإخفاء والسكوت هو المخلص منه (٧) وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه كل ذلك توصلا إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازا من الرياء والسمعة

ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس في معرفة المتوسط إلا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له

---

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود ما يكون في رمضان الحديث أخرجاه من حديث ابن عباس

(٢) حديث أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سر أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم من حديث أبي ذر ولأبي داود من حديث أبي هريرة أي الصدقة أفضل قال جهد المقل

(٣) حديث ثلاث من كنوز البر فذكر منها إخفاء الصدقة أخرجه أبو نعيم في كتاب الإيجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٤) حديث إن العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله له سرا فإن أظهره نقل من السر الحديث أخرج الخطيب في التاريخ

من حديث أنس نحوه بإسناد ضعيف

(٥) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة

(٦) حديث صدقة السر تطفيء غضب الرب أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب والبيهقي في الشعب من حديث أبي سعيد كلاهما ضعيف والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة إن الصدقة لتطفيء غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضا

(٧) حديث لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان لم أظفر به هكذا." (١)

"وقال بأبي وجه من لا يفلح (١) حديث إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم تقدم وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الإسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسمائك فعصاه وهاجر هو قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد (٢) حديث ما من أحد إلا له شيطان الحديث تقدم

فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن كان جسما فكيف يدخل بدن الإنسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لا محالة وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو لا محال فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وقال تعالى ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نعوذ بالله منه وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في علم المعاملة إلى معرفته نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعا أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من **لمة الملك** أو من **لمة الشيطان** فإن من مكايد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار

---

(١) إحياء علوم الدين؟ أبو حامد الغزالي ٢١٥/١

(١) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بأبي وجه من لا يفلح لم أجد له أصلا

وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع

(٢) حديث إن الشيطان قعد لابن آدم بطريق الحديث أخرجه النسائي من حديث سبرة بن أبي فاكه بإسناد صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فإذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور أن ينفك عنه آدمي وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه السلام ما من أحد إلا وله شيطان." [١]

"أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم وهو لا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطيف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم (١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم ولذلك روي أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة

وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس إبليس فإنه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها كل ذلك إذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده

فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه من **لمة الملك** أو من **لمة الشيطان** وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا أي رجعوا إلى نور العلم فإذا هم مبصرون أي ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل

---

(١) إحياء علوم الدين؟ أبو حامد الغزالي ٢٩/٣

طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي أعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجى من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر وأبوابها الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم أنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فإذا ما دام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة

---

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم أخرجه النسائي من حديث أنس بإسناد جيد وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر." (١)

"ففرع الطيبة النور والإسلام، وفرع الخبيثة الكفر والضلال. فإن قيل: ما الفرق بين الشهوة والهوى، قيل: الشهوة ضربان: محمودة ومذمومة.

فالمحمودة من فعل الله سبحانه، وهي قوة جعلت في الإنسان لتنبعث بها النفس لنيل ما يظن فيه صلاح البدن.

المذمومة من فعل البشر ... وهي استجابة النفس لما فيه لذتها البدنية، والهوى هو هذه الشهوة الغالبة إذا استتبعت الفكرة، وذلك أن الفكرة بين العقل والشهوة، فالعقل فوقها والشهوة تحتها، فمتى ارتفعت الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة فولدت المحاسن، وإذا اتضعت ومالت نحو الهوى والشهوة صارت وضيعة وولدت المقابح.

والنفس قد تريد ما تريد بمشورة العقل تارة وبمشورة الهوى تارة، ولهذا قد يسمى الهوى إرادة.

في ذكر الخاطر الذي يعرض من جهة العقل والهوى

أول ما يعرض من ذلك السانح ثم الخاطر، وإلى ذلك أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: " إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما **لمة الملك** فوعد بالخير وتصديق بالحق، وأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق "، ثم قرأ: (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (٢٦٨)

ثم من بعدهما الإرادة ثم العزم ثم العمل.

فالسانح علة الخاطر، والخاطر علة الإرادة، والإرادة - وهي الهمة - علة العزم، والسانح والخاطر يعبر عنهما بالهاجس

---

(١) إحياء علوم الدين؟ أبو حامد الغزالي ٣/٣٠

والواجس ويتجافى عنهما ما لم يصيرا إرادة وعزما.

فحق الإنسان إذا خطر له خاطر أن يسبره عاجلا، فإن وجده خيرا رباه حتى يجعله فعلا، وإن وجده شرا بادر إلى قلعه وقمعه قبل أن يصير إرادة، ويطهر قلبه منه تطهير أرضه من خبيثات النبات، وهذا المعنى أراد الحسن – رحمه الله – بقوله: رحم الله عبدا وقف عند همه، فإن كان لله أمضى وإلا كف.

قال بعض الحكماء: إن تداركت الخطرة اضمحلت وإلا صارت شهوة، وإن." (١)

"تداركت الشهوة تلاشت وإلا صارت طلبا، وإن تداركت الطلب تلاشى وإلا صار عملا.

وقال بعض الحكماء: إن ولي الله سبحانه إذا أتته **لمة الشيطان** انزعج لذلك، ورأى ببصيرته ظلمة، ووجد روعة، فإذا أتته **لمة الملك** انشرح صدره، وأولياء الشيطان بخلافه. قال الله تعالى: (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون (٤٥) .

والله ولي الرشاد.

حصول الخلق المحمود بطهارة النفس

قد تقدم أن طهارة النفس تكون لإصلاح القوى الثلاث:

فإصلاح الفكرة: بالتعلم حتى يميز بين الحق والباطل في الاعتقاد، وبين الصدق والكذب في المقال، وبين القبيح والجميل في الفعال.

وإصلاح الشهوة: بالعفة حتى تسلس للجود والمواساة المحمودة بقدر الطاقة.

وإصلاح الحمية: بإسلاسها حتى يحصل الحلم؛ وهو كف النفس عن قضاء وطر الغضب، وتحصل الشجاعة؛ وهي كف النفس عن الخوف وعن الحرص المذمومين.

وبإصلاح القوى الثلاث يحصل للنفس العدالة والإحسان، وهذه جماع المكارم، وطهارة النفس وحسن الخلق الممدوح يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا وألطفهم بأهله "، ويعني باللطافة بالأهل تهذيبهم وتأديبهم المشار إليه بقوله

تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) .

والممدوح أيضا بقوله – صلى الله عليه وسلم –: " أحبكم إلي أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون "." (٢)

"٨٥٤ – حدثنا عبد الله، حدثنا أبي، حدثنا إسرائيل، عن سعيد بن مسروق، عن المسيب بن رافع، حدثني أبو إياس البجلي قال: سمعت عبد الله بن مسعود، يقول: ﷺمن تطاول تنظيما خفضه الله عز وجل، ومن تواضع لله تخشعا

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة؟ الراغب الأصفهاني ص/٩٤

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة؟ الراغب الأصفهاني ص/٩٥

رفعه الله عز وجل، وإن للملك لمة وللشيطان لمة، **فلمة الملك** إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فإذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله عز وجل، **ولمة الشيطان** إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فإذا رأيتم ذلك فتعوذوا بالله عز وجل." (١)

"وفرضية الطلب تابعة لفرضية المطلوب فعلم الحال فرض أو يقال المطلوب طلب علم الحال بحذف المضاف لكن إنما يثبت الفرض بهذه الآية بعد أن كان المراد من الذكر هو العلم قطعا ومن العلم علم الحال قطعا أيضا وكلاهما محل عناية فافهم.

(وخرج مج) ابن ماجه (عن أنس – رضي الله تعالى عنه – أنه قال قال – صلى الله تعالى عليه وسلم – «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» .

قال المناوي تباينت الأقوال وتناقضت الآراء في هذا العلم المفروض على نحو عشرين قولا وكل فرقة تقيم على علمها وكل لكل معارض وبعض لبعض مناقض وأجود ما قيل قول القاضي ما لا مندوحة عن تعلمه كمعرفة الصانع ونبوة رسله وكيفية الصلاة ونحوها فإن تعلمه فرض عين.

قال الغزالي: المراد العلم بالله تعالى وصفاته الذي نشأ عنه المعارف القلبية، وذلك لا يحصل من علم الكلام بل قد يكون حجابا مانعا منه وإنما يتوصل إليه بالمجاهدة فجاهد تشاهد ثم أطال في تقريره بما يشرح الصدور ويملأ القلب من النور ثم قال عن السهروردي اختلف في هذا العلم قيل علم الإخلاص، وهو معرفة آفات النفس وخدع النفس وغرورها وشهواتها يخرب مباني الإخلاص فعلمه فرض. وقيل معرفة الخواطر من **لمة الملك** ومن **لمة الشيطان** وقيل علم نحو البيع، والشراء وقيل علم التوحيد وقيل علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهو الذي يكتسبه الأولياء فهم وارثو المصطفى.

قال الغزالي في المنهاج: العلم المفروض ثلاثة علم التوحيد وعلم السر أي القلب وعلم الشريعة وما فوق ذلك فرض كفاية.

ثم قال أيضا عن الغزالي اختلفوا وتجاذبوا في معنى الحديث فالمتكلم يحمل على علم الكلام، والفقيه على الفقه، والمفسر، والمحدث عليهما، والنحوي على علم العربية إذ الشرع إنما يؤخذ من الكتاب، والسنة وقال الله تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ [إبراهيم: ٤] .

فلا بد من إتقان علم البيان، والتحقيق حمله على ما يعم ذلك من علوم الشرع انتهى.

وقال المصنف في بعض رسائله العلوم التي هي فرض عين ثلاثة:

علم التوحيد مقدار ما يعرف به ذات الله تعالى وصفاته على ما يليق به تعالى وتصديق نبيه في جميع ما جاء به عن الله تعالى، وعلم الأخلاق مقدار ما يحصل به تعظيم الله وإخلاص عمله وإصلاحه. وعلم الفقه ما يتعين عليه فعله وتركه لعل هذا هو الأوجه في إرادة هذا المقام، وآخر هذا الحديث في رواية أخرى في الجامع الصغير وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر، واللؤلؤ، والذهب فقال شارحه يشعر بأن كل علم يختص باستعداد وله أهل فإذا وضعه في غير محله فقد ظلم.

وفي رواية أخرى فيه أيضا زاد قوله «وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر» قال شارحه حكمته أن

---

(١) الزهد لأحمد بن حنبل؟ أحمد بن حنبل ص/١٢٩

صلاح العالم منوط بالعالم وتمامه فيه (وقال في تعليم المتعلم) قيل صاحبه تلميذ صاحب الهداية ومن أفاضل تلامذته (ويفترض) (على المسلم طلب ما) علم (يقع له في حاله) فعلا." [(١)]

"﴿لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] طرقنا الموصلة إلينا، وقال الله تعالى ﴿والذين اهتدوا﴾ [محمد: ١٧] بإتيان العبادات ﴿زادهم﴾ [محمد: ١٧] الله ﴿هدى﴾ [محمد: ١٧] بخواطر تدلهم على كيفية الوصول إليه سبحانه وتعالى (أو) أن يكون (شرا عقيب ذنب) كبيرة أو صغيرة (إهانة) لذلك العبد من الله تعالى بشؤم ذلك الذنب قال الله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [المطففين: ١٤] فيؤدي الذنب إلى قسوة القلب أولها خاطر ثم يؤدي إلى القسوة والرين (وعقوبة) عاجلة في الدنيا (فيسمى) الخاطر (خذلانا) هو ترك العون وضد التوفيق (وإضلالا) قيل أي إضاعة وتحييرا وقيل هذا إذا أبقى للعبد في الجملة اختيارا.

وأما إذا اشتد حتى سلب الاختيار منه بالكلية فيسمى ختما وطبعا في هذه الحالة لا يتصور العلاج (وإما بواسطة ملك) عطف على قوله إما ابتداء (موكل من الله – تعالى – على ابن آدم جاثم) مكب وملازم (على أذن قلبه اليمنى) يلهمه (يقال له الملهم ولدعوته الإلهام ولا تكون) هذه الدعوة (إلا إلى خير) قال النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة» يعني نزلة بالدعوة كما في المنهاج.

وزاد في الجامع الصغير قوله – عليه الصلاة والسلام – «فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد هذه فليعلم أنها من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان»
.

قال عبد الرءوف المناوي الإيعاد يستعمل في الشر والخير أيضا ثم قال الفرق والتمييز بين اللمتين لا يهتدي إليه أكثر الناس والخواطر بمنزلة البذر فمنها ما هو بذر السعادة ومنها ما هو بذر الشقاوة.

وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء لا خامس لها ضعف اليقين أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى أو محبة الدنيا مالها وجاهها، وطلب المنزلة والرفعة عند الناس فمن عصم من هذه الأربعة فرق بين **لمة الملك** **ولمة الشيطان** ومن ابتلي بها لم يفرق، وانكشاف بعض الخواطر دون بعض لوجود بعض هذه الأربعة دون بعض واتفقوا على أن كل من أكل الحرام لا يفرق بين الوسوسة والإلهام.

(وعلامته) أي خاطر الملك (كونه مترددا) إذ الملك بمنزلة ناصح يدخل معك من كل وجه ويعرض عليك كل نصح رجاء إجابتك ورغبتك في الخير (وفي الفروع والأعمال الظاهرة) في الأكثر؛ لأن الملك لا يطلع على العقائد والأعمال الباطلة في أكثرهم كما في المنهاج فالإطلاق ليس بحسن (وبلا سبق طاعة أو معصية في الأغلب) هذا مخالف أيضا لما في المنهاج حيث قال: وإن كان أي خاطر الخير مبتدأ فمن الملك في الأغلب.

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية؟ محمد الخادمي ٢٥١/١

واعلم أنه قال فيه أيضا معرفة خاطر الخير من الله أو من الملك بثلاثة إن قويا فمن الله – تعالى – وإن مترددا فمن الملك وإن عقيب اجتهاد وطاعة فمن الله وإن ابتداء فمن الملك في الأغلب وإن في الأصول فمن الله وإن في الفروع والأعمال الظاهرة فمن الملك في الأكثر فقد عرفت زيادة قوله أو معصية فافهم (أو بواسطة) الظاهر عطف على قوله وأما بواسطة ملك أو على قوله إما ابتداء فالأولى وإما بواسطة (طبيعة مائلة إلى الشهوات) ونيل اللذات كيف كانت من حسن أو قبح (يقال لها النفس) لعل هي النفس الأمارة بالسوء التي تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب إلى الجهة السفلية فهي مأوى الشر ومنبع الأخلاق الذميمة والأفعال السيئة (و) يقال أي يسمى (لدعوتها هوى) . وفسر أيضا بميل النفس إلى مقتضيات الطبع والإعراض عن الجهة العلوية." (١)

"على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد قل قال ما قول قال قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن: قال فطفئت نارهم وهزمهم الله تعالى.

أنبأنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا عاصم بن الحسن نا أبو الحسين بن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي حدثني أبو سلمة المخزومي ثنا ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه" قال القرشي ثنا هناد بن السري ثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمذاني عن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه قال إن للشيطان لمة١ بابن آدم وللملك لمة فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ الآية. قال الشيخ رحمه الله وقد رواه جرير عن عطاء فوقفه على ابن مسعود أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا عبد الرزاق نا سفيان عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ثم يقول هكذا كان أبي إبراهيم صلى الله عليه وآله٢ وسلم يعوذ إسماعيل وإسحاق أخرجاه في الصحيحين قال أبو بكر بن الأنباري الهامة واحد الهوام ويقال هي كل نسمة تهم بسوء واللامة الملمة وإنما قال لامة ليوافق لفظ هامة فيكون ذلك أخف على اللسان.

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية؟ محمد الخادمي ١٣٧/٢

١ اللمة الهمة والخطرة تقع في القلب فما كان من خطرات الخير فهو من الملك وما كان من خطوات الشر فهو من الشيطان.
٢ هكذا في النسخ التي بأيدينا ولعل بآله زيادة من النساخ.." (١)

"القرآن ان يكون باكيا محزونا حليما حكيما سكيتا ولا ينبغي لحامل القرآن ان يكون جافيا ولا غافلا ولا سخابا ولا صياحا ولا حديدا رواه الإمام أحمد.

وعن الأعمش قال كان عبد الله يقول لإخوانه أنت جلاء قلبي.

وعن أبي اياس البجلي قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول من تطاول تعظما خفضه الله ومن تواضع تخشعا رفعه الله وان للملك لمة وللشيطان لمة **فلمة الملك** ايعاد بالخير وتصديق بالحق فإذا رأيتم ذلك فأحمدوا الله عز وجل ولمة الشطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق فإذا رأيتم ذلك فتعوذوا بالله".

وعن عمران بن أبي الجعد عن عبد الله قال ان الناس قد احسنوا القول فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه ومن لا يوافق قوله فعله فذاك الذي يوبخ نفسه".

وعن خيثمة قال قال عبد الله لا الفين أحدكم جيفة ليل قطرب نهار".

وعن المسيب بن رافع قال قال عبد الله بن مسعود اني لأبغض الرجل أن أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة". رواه الإمام أحمد.

وروي أيضا عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال من لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بها من الله إلا بعد".

وروي عن عمر بن ميمون عن ابن سعود قال أن الشيطان اطاف بأهل مجلس ذكر ليفتنهم فلم يستطع ان يفرق بينهم فأتى على حلقة يذكون الدنيا فاغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا".

وعن موسى بن أبي عيسى المزني قال قال عبد الله بن مسعود من اليقين ان لا يرضى الناس بسخط الله ولا تحمدن أحدا على رزق الله ولا تلومن أحدا على ما لم يؤتك الله فان رزق الله لا يسوقه حرص الحريص ولا يرده كره الكاره وان الله بقسطه وحكمه وعدله وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط".

وعن مرة عن عبد الله قال ما دمت في صلاة فانت تقرع باب الملك ومن يقرع باب الملك يفتح له".

وعن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعد قالا قال عبد الله أني لاحسب الرجل ينسى العمل كان يعلمه بالخطيئة يعملها رواه الإمام أحمد.

وعن إبراهيم بن عيسى عن عبد الله بن مسعود قال كونوا ينابيع العلم مصابيح." (٢)

"الثاني، وهو عند اتباع هذا الطريق أو ذاك يعلم أنه خير أم شر ﴿ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها﴾ ١، وفلاحه مرهون باتباع طريق الخير ﴿قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها﴾ ٢.

---

(١) تلبيس إبليس؟ ابن الجوزي ص/٣٤

(٢) صفة الصفوة؟ ابن الجوزي ١٥٦/١

وميزة الإنسان هنا على الحيوان أنه ليس محكوما بفطرته البيولوجية، بل إنه يستطيع أن يتسامى على هذه الفطرة فيستطيع أن يكف عن الأكل والشرب بالرغم من حاجته إليهما ووجودهما أمامه حتى الموت، وهو في الوقت نفسه ليس كالملائكة محكوما عليه باتباع الخير وليس كإبليس مدفوعا إلى اتباع الشر بل فيه القدرة على أن يكون كالحيوان، لا يسير إلا بناء على ما تدفعه دوافعه وغرائزه المادية، ويستطيع أن يكون كملك كريم لا يتبع إلا الخير ويستطيع أن يكون شيطانا ماردا يفسق ويلحق الضرر بالناس ويسوقهم إلى المهالك والعصيان ويملأ الأرض ظلما وطغيانا وفسادا.

ثم يستطيع أن يتأله فيكون كالإله العزيز الجبار المتكبر يجعل الناس يعظمونه ويقدسونه ويعبدونه، وعندما ننظر إلى تاريخ الإنسانية نجد أنماطا من الناس من هذا النوع وذاك.

هنا نجد الرسول -صلى الله عليه وسلم- يعبر عن هذه الحقيقة عندما يقول: "إن للشيطان لمة بابن آدم -في قلبه- وللملك لمة، فأما **لمة الشيطان** فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما **لمة الملك** فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا

١- الشمس: ٧.

٢- الشمس: ١٠.." (١)

"الثانية: توجيه الذات الإنسانية وتوحيدها:

عرفنا فيما مضى أن طريق الخير هو الطريق السوي وهو الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه. وأن الأخلاق الإسلامية توجه الإنسان إلى هذا الطريق وتدعوه إليه؛ لأنه طريق الفلاح والنجاح في هذه الحياة قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ ١.

وعرفنا أيضا عندما درسنا الطبيعة الإنسانية وجود دوافع ونوازع مختلفة فيها تتصارع هذه الدوافع والنوازع فيما بينها وكل واحد يدفع الإنسان إلى تحقيق رغبته بدون قيد أو شرط وبينا أيضا أن في الإنسان **لمة الملك** تدعو إلى فعل الخيرات وفيه أيضا **لمة الشيطان** تدعو إلى اتباع الهوى وإشباع الغرائز الشهوية ولو ترك كل قوة من هذه القوى والنزاعات وفي ذلك شقاء للإنسان ويقول علماء النفس: إن الصراع النفسي في داخل الذات من أهم أسباب الأمراض النفسية وتعاسة الإنسان في الحياة فقالوا: "الأساس الأول في تكوين العقد هو الكبت نتيجة الصراع"٢، وقالوا: إن توحيد الذات هو وسيلة السعادة وهو وسيلة القضاء على القلق والصراع والخوف٣، وقالوا أيضا: إنه لازدياد سعادة شخص لا يجوز أن نزيد فقط من مجموع لذاته وإنما نعمل أيضا على تحسين شخصيته وتقويتها وانسجام عناصرها وتوحيد وجهتها٤، ولهذا يرى بعض علماء التربية الأخلاقية: "الغرض من التربية هو تكوين شخصيات قوية متماسكة".٥

---

١ الأنعام: ١٥٣.

---

(١) علم الأخلاق الإسلامية؟ مقداد يالجن ص/١٩٣

٢ أسس الصحة النفسية للدكتور عبد العزيز القوصي ط ٥ ص ١٣٣.

٣ علم النفس: أسسه وتطبيقاته التربوية، الدكتور عبد العزيز القوصي ط ٧ ص ٢٩٨.

٤ المرجع نفسه ص ٣٠٠.

٥ علم النفس: أسسه وتطبيقاته التربوية، الدكتور عبد العزيز القوصي ط ٧ ص ٣٠٠.." (١)

"بهوى النفس إلى العقل فرجع العقل إلى النفس فسولت وطوعت فسكن العقل واطمأن إلى تسويل النفس وطوعها فانشرح الصدر بالهوى لسكون العقل وانتشر الهوى في القلب لشرح الصدر وتوسعته فقوي سلطان العدو لاتساع مكانه فأقبل بتزيينه وغروره وأمانيه ووعده يوحي بذلك زخرفا من التحول وغرورا فيضعف سلطان الإيمان لقوة سلطان العدو وخفاء نور اليقين فغلب الهوى لقوة الشهوة فأحرقت الشهوة العلم والبيان فارتفع الحياء واستتر الإيمان بالشهوة فظهرت المعصية لغلبة الهوى وارتفاع الحياء، وهذان المعنيان من ظهور الخيروالشر والطاعة والمعصية فلهذه الأسباب يوجدان في طرفة عين فتصير أجزاء العبد جزأ واحدا ومفصلاته تعود بالمراد منه فصلا واحدا كالبرق في السرعة بتغليب القدرة على المشيئة إذا قال جل وعلا له: (كن فيكون) آل عمران: ٥٩.

وإن أراد الله تعالى إظهار خير وإلهام تقوى من خزائن الملكوت حرك الروح بخفي اللطف فتحركت بأمره جلت قدرته فقدح من جوهرها نور سطع في القلب همة عالية وهمة الخير ترى بأحد ثلاثة معان لا تحصى فروعها لأن كل عبد همته في الخير مبلغ علمه ومنتهي مقامه، فأحد الأصول مسارعة إلى أمر يفرض أو ندب لفضل يكون عن عمل حال العبد أو علم يكون فطنة له أظهر عليه من مكاشفة غيب من ملك أو ملكوت، والمعنى الثالث بتحمل مباح من تصرف فيما يعني مما يعود صلاحه عليه واستراحة النفس بما أبيح له يكون نفعه لغيره أو ترويحات من الأفكار لقلبه الغائص في البحار يكون حملا لكربه وتخفيفا لثقله، فهذه مرافق للعبد باختيار من المعبود وحكمة من الحكيم وفي كلها رضاه سبحانه وتعالى فإمضاؤها أفضل للعبد وبعضها أفضل من بعض، وهذه الأصول الستة من الخير والشر هي الفرق بين **لمة الملك** وبين لمة العدو وبين إلهام التقوى وإلهام الفجور التي هي النية والوسوسة، وهما الاختيار أو الاختبار، وقد تكون هذه المعاني مكاشفات مزيد للعبد ينظر إلى الله منها ويجد الله تعالى بما أوجده منه عندها ويكون تعريفا من الله يتعرف إليه بها ويفتح له باب الأنس والشوق منها ثم تتفاوت العباد في مشاهدتها على حسب علوهم في اليقين وعلى قدر قوتهم ومكانهم من التمكين إلا أن أصول معاني الخير وأواسطها إلهام الملك والإلقاء في الروح وقوادح الأنوار في كتب الإيمان وفروعها الآخرة والعلم مما أمر به أو ندب إليه والمباح وأصول معاني الشر أضدادها أواسطها النفس والعدو وأسبابها الشهوة والهوى يظهرن عن الجهل ويوقعن الحجاب ويصدرن إلى عقاب.

فإذا أراد الله تعالى إظهار خير من خزانة الروح حركها فسطعت نورا في القلب فأثرت فينظر الملك إلى القلب فيرى ما أحدث

(١) علم الأخلاق الإسلامية؟ مقداد يالجن ص/٣٤٩

الله تعالى فيه فيظهر مكانه فيتمكن على مثال فعل العدو في خزانة الشر، وهي النفس، والملك مجبول على الهداية مطبوع على." (١)

"حب الطاعة كما أن العدو مجبول على الغواية مطبوع على حب المعصية فيلقي الملك الإلهام وهو خطوره على القلب بقدح خواطره يأمر بتقييد ذلك ويحسنه له ويحثه عليه وهذا هو إلهام التقوى والرشد وينظر الملك إلى اليقين كما ينظر العدو إلى النفس فيشهد اليقين للملك بذلك فيطمئن العقل ويسسكن إلى شهادة اليقين ويصير العقل الآن بإذن الله تعالى مع الملك بتأييد الله تعالى كما كان مع النفس أول مرة مطمئنا إليها فينشرح الصدر لطمأنينة العقل فتظهر أدلة العلم لانشراح الصدر فيقوى سلطان اليقين لصفاء الإيمان وتندرج ظلمة الهوى في نور اليقين وتنطفئ شعلة الشهوة لظهور نور الإيمان ويزين الإيمان بزينة الحياء فتضعف صفات النفس لسقوط الشهوة ويقوى القلب لضعف النفس ويزيد الإيمان بقوة اليقين وظهور أدلة العلم فتغلب الهدايةلمزيد الإيمان ولبسة الحياء فتظهر الطاعة لغلبة الحق والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ذكر نوع آخر من البيان

وقد تختلف اللمتان من الملك والعدو ويتفاوت الإلهام والوسوسة في المعاني من الخير والشر، فربما تقدمت لمة العدو بالأمر بالشر وتقدح بعدها **لمة الملك** نصرة للعبد وتثبيتا على الخير وعناية من الرب تعالى فينهي عن ذلك، فعلى العبد أن يعصي الخاطر الأول ويطبع الخاطر الثاني، وقديتقدم إلهام الملك بالأمر بالخير ثم يقدح بعده خاطر العدو بالنهي عنه والتثبيط والإملاء فيه بالتأخير محنة من الله تعالى للعبد لينظر كيف يعمل وحسدا من العدو فعليه أن يطيع الخاطر الأول ويعصي الخاطر الثاني، ثم تدق الخواطر من إلهام الملك بالخير ومن وسوسة العدو بالشر، وقد يتفاوت ذلك من ضعف خاطر الخبر لقوة الرغبة في الدنيا ومن قوة خاطر الشر لقوة الشهوة والهوى وفي المزيد والنقص منهما والتقديم والتأخير بهما لتفاوت الأحكام والإرادة من الحاكم ومن قبل تقليب القدرة وغرائب الأحكام بالمشيئة لأن له في خزانة الخير خزانة الشر إذا شاء وله في خزانة الشر خزائن الخير إذا أحب لمن يحبه لئلا يسكن إلى سواه ولا يدل العبد بما منه أبداه، فإذا شهد العارف ذلك لم يقطع بخير ولم يدل به أبدا لأنه لا يأمن مكر الله تعالى بتقليب خزائن الشر من خزائن الخير إذا عليه أبداه ولم ييأس من شر عليه أبداه لأنه يرجو تقليب خزائن الخير من خزئان الشر فيكون بين الخوف والرجاء ولا يدرك ذلك إلا بدقائق العلوم ولطائف الفهوم وغوامض الفطن وصفاء الأنوار من تعليم الرحيم الجبار، فما كان للعبد يجد بعد خطرة الشر خطرة خير منها تنهاه عنها فهو منظور إليه متدارك وهذا هو الواعظ القائم في القلب والزاجر المؤيد للعقل، وقد تترادف خواطر الشر من النفس والهوى فلا يتعاقبها خاطر خير من الملك وهذا علامة البعد ونهاية قسوة القلب، وقد تتابع خواطر الخير والبر من الروح والملك ويعافى العبد من خاطرياهوى." (٢)

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد؟ أبو طالب المكي ٢١٤/١

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد؟ أبو طالب المكي ٢١٥/١

"الفصل الحادي والثلاثون

كتاب العلم وتفضيله

وأوصاف العلماء وذكر فضل علم المعرفة على سائر العلوم وكشف طرق العلماء من السلف الصالح وذكر بيان تفضيل علوم الصمت وطريق الورعين في العلم والفرق بين العلم الظاهر والباطن وبين علماء الدنيا والآخرة وفضل أهل المعرفة على علماء الظاهر وذكر علماء السوء الآكلين بعلومهم الدنيا ووصف العلم وطريق التعليم وذم ما أحدثه المتأخرون من القصص والكلام وباب ذكر ما أحدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف وبيان فضل الإيمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الرأي.

وذكر معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وفي الحديث الآخر اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم، قال عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله: أراد بذلك علم حال يعني علم حال العبد من مقامه الذي أقيم فيه بأن يعلم أحدكم حاله الذي بينه وبين الله عز وجل في دنياه وآخرته خاصة فيقوم بأحكام الله تعالى عليه في ذلك، وقال بعض العارفين معناه طلب علم المعرفة وقيام العبد بحكم ساعته وما يقتضي منه في كل ساعة من نهاره، وقال بعض علماء الشام إنما عنى به طلب علم الإخلاص ومعرفة آفات النفس ووساوسها ومعرفة مكايد العدو وخدعه وغروره وما يصلح الأعمال ويفسدها فريضة كله من حيث كان الإخلاص في الأعمال فريضة ومن حيث أعلم بعداوة إبليس ثم أمر بمعاداته وذهب إلى هذا القول عبد الرحيم ابن يحيى الأرموي ومن تابعه، وقال بعض البصريين في معناه: طلب علم القلوب ومعرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأنها رسل الله تعالى إلى العبد ووسواس العدو والنفس فيستجيب لله تعالى بتنفيذ ما منه إليه ومنها ابتلاء الله تعالى للعبد واختبار تقتضيه مجاهدة نفسه في نفيها ولأنها أول النية التي هي أول كل عمل وعنها تظهر الأفعال وعلى قدرها تضاعف الأعمال فيحتاج أن يفرق بين **لمة الملك** ولمة العدو وبين خاطر الروح ووسوسة النفس وبين علم اليقين وقوادح العقل ليميز بذلك الأحكام، وهذا عند هؤلاء فريضة وهو مذهب مالك بن دينار وفرقد السنجي وعبد الواحد بن زيد وأتباعهم من النساك وقد كان أستاذهم الحسن البصري يتكلم في ذلك وعنه حملوا علوم القلوب، وقال عباد أهل الشام معناه طلب علم." (١)

"الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستيعنه.... إلخ.

أما بعد: فيا عباد الله: القلب يطلق على معنيين على العضو اللحمي الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وفي بطنه تجويف، وفي التجويف دم أسود. والثاني أمر معنوي وهو لطيفة ربانية رحمانية روحانية لها بهذا العضو تعلق واختصاص وتلك هي حقيقة الإنسانية وهي «الروح» .

عباد الله وللملك لمة بالقلب، وللشيطان لمة فإذا ألم به الملك حدث من لمته والانفساح والانشراح والنور والرحمة والإخلاص والإنابة ومحبة الله وإيثاره على ما سواه وقصر الأمل والتجافي عن دار البلاء والامتحان والغرور. فلو دامت له تلك الحالة

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد؟ أبو طالب المكي ١/٢٢٤

لكان في أهنأ عيش وألذه وأطيبه؛ ولكن تأتيه **لمة الشيطان** فتحدث له من الضيق والظلمة والهم والغم والخوف، والسخط على المقدور، والشك في الحق، والحرص على الدنيا وعاجلها، والغفلة عن الله ما هو من أعظم عذاب القلب.

ثم من الناس من تكون **لمة الملك** أغلب من **لمة الشيطان** وأقوى. ومنهم من تكون **لمة الشيطان** أغلب عليه وأقوى. والشيطان يلم بالقلب لما كان هناك من جواذب تجذبه؛ فإذا كانت الجواذب صفات قوي سلطانه هناك، واستفحل أمره، ووجد موطنا ومقرا- فتأتي الأذكار والدعوات كحديث النفس لتدفع سلطان الشيطان. فإذا قلع العبد تلك الصفات وعمل على التطهير منها والاغتسال." [1]

"بالتوبة النصوح بقي للشيطان بالقلب خطرات ووساوس ولمات من غير استقرار، وذلك يضعفه ويقوي **لمة الملك**، فتأتي الأذكار والدعوات والتعوذات فتدفعه بأسهل شيء ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ [النحل: ٩٨، ٩٩] .

عباد الله: وجماع الطرق والأبواب التي يصان منها القلب وجنوده أربعة فمن ضبطها وعدلها وأصلح مجاريها وصرفها في محالها اللائقة بها استفاد منها قلبه وجوارحه ولم يشمت به عدوه، وهي: الحرص، والشهوة، والغضب، والحسد. فمن كان حرصه إنما هو على ما ينفعه، وحسده منافسة في الخير: وغضبه لله على أعدائه، وشهوته مستعملة فيما أبيح له وعونا له على ما أمر به: لم تضره هذه الأربعة؛ بل انتفع بها أعظم انتفاع (١) . إن أحسن الحديث ...

---

(١) مفتاح دار السعادة ج (١/١٨٩- ١٩١، ٢٧١، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٦٤) التبيان ص (١٨٨، ٢٤٩- ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ١٩٠، ١٩٧- ٢٥٨، ١٢٧، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٢) .." [2]

"قلوب الفقراء، ومبادرة لعوائق الزمان أن يعوق عن الخيرات، وعلما بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب. ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي أن يغتنم فإن ذلك **لمة الملك** وما أسرع تقلب المؤمن و (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) [البقرة: ٢٦٨] والمنكر وله لمة عقيب **لمة الملك** فليغتنم الفرصة فيه.

[الثالثة] : الإسرار فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة. قال تعالى: (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) [البقرة: ٢٧١] وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي، فكان بعضهم يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي، وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه، كل ذلك توصلا إلى رضاء الرب واحترازا من الرياء والسمعة، ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله.

---

(١) موضوعات صالحة للخطب والوعظ؟ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ص/١١٨

(٢) موضوعات صالحة للخطب والوعظ؟ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ص/١١٩

[الرابعة] : أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيبا للناس في الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء، فقد قال تعالى: (إن تبدوا الصدقات فنعما هي) [البقرة: ٢٧١] وذلك حيث يقتضي الحال الإبداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصدق خيفة من الرياء في الإظهار، بل ينبغي أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الإمكان. وهذا لأن في الإظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير، فإنه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج، فمن أظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره، وقد قال الله تعالى: (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) [الرعد: ٢٢، وفاطر: ٢٩] ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب. فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيها، ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال.

[الخامسة] : أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى، قال الله تعالى: (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) [البقرة: ٢٦٤] والمن أن يذكرها ويتحدث بها أو يستخدمه بالعطاء أو يتكبر عليه لأجل عطائه، والأذى أن يظهرها أو يعيره بالفقر أو ينتهره أو يوبخه بالمسألة. وأصل المن أن يرى نفسه محسنا إلى الفقير ومنعما عليه، وحقه أن يرى الفقير محسنا إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذي هو طهرته ونجاته من النار، وأنه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به، فحقه أن يتقلد منة الفقير، ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرها في الفصل قبل لم ير نفسه محسنا إلا إلى نفسه إما ببذل ماله إظهارا لحب الله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل أو شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد.
وأما الأذى فمنبعه رؤيته أنه خير من الفقير، وهذا جهل لأنه لو عرف فضل الفقر على الغنى وخطر الأغنياء لما استحقر الفقير، بل تمنى درجته، كيف وقد جعله الله تعالى متجرة له حتى يخلصه من عهدته بقبوله منه.

[السادسة] : أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها، والعجب من المهلكات." (١)

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين؟ القاسمي ص/٥٢